

المركز الوطني للترجمة
تونس

فريدريش نيتشه

في جنياالوجيا الاخلاق

ترجمة
فتحي المسكيني



دار النشر سيناترا

في جنين الوجيا الاُخلاق

المركز الوطني للترجمة

فريدريتش نيتشه

في جنياالوجيا الاٲلاق

كتاب سجالِيّ

ترجمه وقَدّم له:

فتحي المسكيني

مراجعة :

محمّد محجوب

دار سينا ترا

نيتشه، فريدريتش، في جنياالوجيا الأخلاق، ترجمة المسكيني، فتحي، الحجم: 15.5x24 سم، عدد الصفحات: 235 صفحة، منشورات دار سيناترا - المركز الوطني للترجمة، تونس 2010، سلسلة: ديوان الفلسفة.

ر.د.م.ك.: 2 - 39 - 084 - 9973 - 978

الفلسفة الألمانية - فلسفة الأخلاق - ترجمة - نيتشه، فريدريتش - المسكيني، فتحي - محجوب، محمد.

الأفكار الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن آراء يتبناها المركز الوطني للترجمة.

Friedrich Nietzsche
Jenseits von Gut und Böse
Zur Genealogie der Moral
Deutscher Taschenbuch Verlag Walter de Gruyter

حقوق النشر والتوزيع محفوظة
وزارة الثقافة والمحافظة على التراث

دار سيناترا

© المركز الوطني للترجمة، تونس 2010، ط 1.

9، نهج المنستيري - 1006 - تونس
الهاتف: 71 567 377 (+216) / الفاكس: 567 308 (+216)

الويب: www.cenatra.nat.tn

البريد الإلكتروني: tarjamah@cenatra.nat.tn

مقدمة الترجمة العربية

"جنيالوجيا الأخلاق" و"الأنوار الجديدة"

«...وها أنا أعود من جديد إلى المشكل الذي يخصني، إلى المشكل الذي يخصنا، يا أصدقائي الذين لا أعرفهم: أي معنى سيكون لوجودنا برمته، إن لم يكن، أنه في ذات أنفسنا إنها تبلغ كلّ شاكلة من إرادة الحقيقة إلى الوعي بنفسها بوصفها مشكلا؟...»

نيتشه

1 - نيتشه وتأويلية الاقتدار:

كثيرا ما نعثر في كتابات نيتشه على تنبيهات من هذا القبيل: "حتى أقول ذلك في لغتي"¹ أو "حتى أستعمل لغتي الخاصة"² أو "متى تكلمنا في لغتي"³... إنّ الأمر يتعلق بضرب طريف من الترجمة: إنه الترجمة النشطة، كضرب من السيرة الذاتية المتعالية للعقل الحرّ. لا نترجم إلّا بقدر ما تحرّر من المعنى. ولكن لماذا؟ - تحت قلم نيتشه كلّ مفهوم بل قل كلّ لفظ هو ثمرة جهد مرير ولكن مقتدر ونضر لنقل اللغة من معجم ردّ الفعل إلى معجم الفعل: من معجم "الكاهن" إلى معجم "المحارب" أو "العقل الحرّ". في كلّ مرة ينبغي أن ننصت إلى السؤال المتواري تحت قلم نيتشه: كيف نفكر قبل ظهور الكهان على الأرض؟ كيف نعيد للحيوان البشري قدرته "الحرية" على الحرية البدائية الصلابة المتهوّرة؟ تلك التي أصبحت فجأة في خطر منذ ظهور الكاهن واختراع

1 - جنيالوجيا الأخلاق، التصدير § 7.

2 - نفسه، المقالة I، § 2.

3 - نفسه، المقالة II، 18.

معجم "العبودية" (خير وشر، أخلاق، خطيئة، محبة، ثواب، عقاب، واجب، عدالة، ضغينة، ذاكرة، مسؤولية، وعي، ضمير، ذنب، مثل عليا، آلهة، تنسك، شفقة، ...)، وهو ما يسجله نيتشه تحت اسم الكاهن اليهودي. كما ينسبه إلى ورثته المسيحيين، وخاصة بولس. وإن كان علينا أن نتساءل عن مغزى غياب الحديث عن المسيح نفسه. كأن الأمر في واقع الأمر لا يتعلق إلا بالمؤسسة الدينية بما هي في جوهرها مؤسسة القيم المتخفية وراء كل أنواع القيم.

ضد أي تصور أحادي الجانب للأخلاق، سواء يردّها إلى "المنفعة"¹ أو إلى "الواجب"²، يتبّه نيتشه إلى أنّ القيم لها مصدر متردّم وسحق القدم، هو ذاك الصراع بين قيم النبلاء وقيم العبيد، بين من يقول "أنا كريم" و"أنت لئيم" ومن يقول "أنا خير" و"أنت شرير"، بين "الروح الحرة" للمحارب و"الاضطغان" الدفين للكاهن.

كل تفكير هو، في تقدير نيتشه، محاربة لصورة الكاهن المختبئة في قاع العقل الإنساني الحالي. ولكن إلى أي مدى يمكننا ذلك؟

يقول: «في الحقيقة، للمرء طاقة على كل ذلك، متى كان قد وُلد من أجل وجود كمين تحت الأرض ومحارب؛ فشأن المرء أن يعود دوماً من جديد إلى وضّح النور، شأن المرء أن يعيش دوماً من جديد ساعته الذهبية وأن ينتصر، - ومن ثمّ أن ينتصب هناك، كما وُلد، غير قابل للانكسار، متوتراً، متأهباً للجديد، للأمر الأعسر والأبعد، كما قوس لا تزيدها الشدة إلا انتصاباً» (المقالة الأولى، 12)³.

التأويل هو فنّ القوس المشدودة التي تعلّم المرء كيف يذهب إلى أبعد من نفسه ويتغلب على حدود نفسه. هو فنّ "التغلب على النفس"، تلك النفس التي ورثها ورائة ولم يشارك في صنعها إلى حدّ الآن، وانقلبت إلى حجر عثرة أمام الطريق إلى هدف أبعد فأبعد.

قال: «أن نفّس حياتنا الغريزية برمتها بوصفها تهيئة وتفرّيعاً لشكل أساسي واحد من الإرادة- ألا وهي إرادة الاقتدار، تلك هي أطروحتي الخاصة...»⁴

1 - نفسه، المقالة I، §§ 1-3.

2 - نفسه، التصدير، § 3، المقالة III، § 25؛ ما وراء الخير والشر، §§ 11 و 54.

3 - قارن: ما وراء الخير والشر، التصدير.

4 - ما وراء الخير والشر، § 36.

كلّ كهنوت هو ارتكاس إزاء الحياة، تقنية للسيطرة على إرادة الاقتدار التي تحرّكها وذلك تحت عنوان مربب: "تربيتها" و"تهذيبها"، ولا يعني ذلك في لغة نيتشه سوى "تدجينها" ومعاقبتها من الداخل: بتحميلها "ذنب" كونها "هي" نفسها، أي كونها "حية"، ذنب الحياة أو الحياة نفسها بوصفها ذنباً لا يُغتفر. "الحياة" هي كلّ ما وجدنا عليه أنفسنا من حيوانية دفيئة، من غرائز ودوافع وحرّيات ورغبات وآمال وطاقت ولذات وذكاء وحقوق، سابقة على الطبقة "الإنسانية" أو "المؤنسة" والتي ندعوها "تخلّقا" بأخلاق "أفضل" أو "حسنى" أو "مثلى".

بيد أنّه لا يكفي أن نميّز مثل نيتشه بين "أخلاق الأسياد وأخلاق العبيد" حتى نفهم قصده ونمسك برهانه ونجاريه في مغامرته غير المسبوقة. ذلك تمييز كان رائجا حتى بين العبيد. - إنّ الخطير هو ما يقوم به "الكهان"، مهما كان لوهم أو اسمهم أو قومهم أو عصرهم، من صبّ للسمّ في الدسم، وفرضية "التسميم" متواترة تحت قلم نيتشه.

قال في الفقرة 7 من المقالة الأولى: «إنّ الكهان، كما هو معلوم، هم أشدّ الأعداء- ولكن لماذا؟ لأنهم أكثر الناس عجزا. ومن العجز يتولّد عندهم الكُره، مرعباً وموحشاً، روحياً ومسموماً كأشدّ ما يكون. لقد كان أشدّ الناس كرها في تاريخ العالم على الدوام كهاناً، وكان هؤلاء الكارهون أيضاً من أشدّ الأرواح مكرّاً: - فإزاء روح الثأر التي تسكن الكهان يكاد لا يدخل أيّ روح آخر في الاعتبار. وما أبلد تاريخ البشر لولا الروح التي تأتت إليه من العاجزين.»

إنّ العبارة التي تستوقفنا هنا هي: يتولّد الكره عند الكهان "روحياً ومسموماً كأشدّ ما يكون" (ins Geistigste und Giftigste). لا يكفي أن نعلّق هنا على أنّ نيتشه يستثمر التناغم الواقع في الأذن الألمانية بين العبارتين: "الأكثر روحاً" و"الأكثر سماً" يتصاديان. بل الأخطر من ذلك أشواطاً هو تنبيه نيتشه المتكرّر إلى هذا الواقع الاصطلاحي المرير: أنّه ليس فقط من الصعب أن نفصل سلّم قيم العبيد عن سلّم قيم الأسياد في تاريخ الأخلاق السائدة إلى حدّ الآن، والتي بنى عليها الحيوان البشري تقويماته الحاسمة لمعنى حياته على الأرض، بل أنّ "المحدثين" قد نجحوا في إنشاء معجم قيمي وسطي، صوري، محايد، تصالحي، "موضوعي" و"كوني"، .. ردم الهوة بين أخلاق الأسياد وأخلاق العبيد على نحو نخاتل وماكر ومنافق. وحسب نيتشه، يمكن الحكم على كلّ "الأفكار الحديثة" من قبيل المساواة والحس الديمقراطي والواجب والضمير المهني والاحترام... بوصفها

تنوعات متنكرة على المعجم الكهنوتي. وإن كان هو البطل النموذجي عن هذا النجاح "اللاهوتي" المنقح. النجاح "اللائكي" في إقامة كهنوت عقلي بلا طقوس.

أما النتيجة الأخلاقية المباشرة لهذا التحول المفهومي الخفي فهو إنتاج "الإنسان الحديث": هذا الكائن المشوه الذي لم يعد يستطيع أن يكون لا سيّدا ولا عبدا. في هذه البؤرة "الحديثة" تكوّنت تقويّات سقيمة وباهتة تدعي أنّها محايدة ونزيهة من قبيل: الحسن والسيّئ، الجيّد والردّيء، النافع والضار، اللائق وغير اللائق، المشروع وغير المشروع، ... وهي كلّها تقويّات منافقة لأنّها لا تريد الجسم الأخلاقي في مرتبتها من إرادة الاقتدار: هل تريد السيادة أم تريد العبودية. مثلا: لا معنى لأنّ نقول عن شخص ما أنّه سيّء أو أنّه حسن، وإنّه جيّد أو أنّه رديء، ما لم نربط ذلك بتأويل حيوي نشط وجسور لإرادة الحياة التي تحدو ذلك الشخص. من أجل ذلك لا يكون الشخص "سيّدا" أو "عبدا" بالمعنى الاجتماعي أو السياسي السائد، بل في معنى إرادة السيادة على معنى الحياة التي يريد أن يخلقها وإرادة العبودية لمعنى مقرر ومفروض عن الحياة.

لذلك فإنّ التقابل لا معنى له بين الخير والحسن أو بين الخير والجيّد أو بين الشرّ والسيّئ أو بين الشرّ والردّيء إلا ظاهرا أو في الدرجة فحسب. والتسميم الحديث للروح إنّما هو متأّت من هذا النفاق القيمي: أن نخفّف من وطأة الحكم المسبق اللاهوتي بواسطة حكم مسبق أخلاقي. وفي واقع الأمر هما سيّان. إنّ التقابل الحيوي والأصيل هو ما بين الخير (بالمعنى الديني والأخلاقي) وبين "الكريم" أو "الشريف" (بالمعنى الأرستقراطي). كما هو الشأن مع الحالة المضادة: بين "الشرّير" و"الليّث" أو بين الشرّير والخسيس أو بين الشرّير والوضيع.

بيد أنّه علينا أن نحترس من أيّ فهم "أخلاقي" لكتابات نيتشه: مثلا أن نعتبره معارضا يائسا للأنوار الحديثة أو داعيا خطيرا إلى البربرية أو عدواً للسامية أو قوميا متعصبا أو جماعويا حزينا ضدّ المكاسب الحقوقية للدولة اللبرالية... تلك أفكار مسبقة أخرى، أو ضروب مريضة من الفضول. - إنّّه فقط يمارس "أنوارا جديدة" يدفع بها بعيدا عن أيّ أنوار سابقة، بما فيها تلك التي سمّيت راهنا باسم "الأنوار الجذرية"، وهي ليست جذرية إلّا بقدر ما تظنّ أنّ "الإلحاد" الحديث هو الطور الأعلى من كلّ "غريزة حرية". والحال أنّ نيتشه قد فضح حتى الإلحاد نفسه بوصفه لا يملك توضيحا جذريا حول قيمة الحرية التي يفاخرنا بها. إنّ الإلحاد

لم يكن إلى حد الآن إلا إيماناً أو "مثالاً نُسَكياً" مقلوباً (المقالة الثالثة، الفقرة 27): استيلاء صفيقا على مكان الإله الأخلاقي الذي صار شاغراً، في خلط مزر بين "الإنسان الأعلى" (der höhere Mensch)¹، الذي استولى على الأسماء الحسنى للإله التوحيدى، وبين الإقدام على الذهاب الجسور إلى "ما فوق الإنسان" (der Übermensch)²، بوصفه مطلب الحياة الحرة، التي تتمتع بصحة ميتافيزيقية جيدة، والتي لا تطلب أقل من هذا: خلق "تمط بشري" من نوع جديد.

يقول في الفقرة 11 من المقالة الأولى، متحدّثاً عن "النبلاء"، خالقي قيمهم بأنفسهم:

«- أكان النبلاء روماً أم عرباً، جرماناً أم بابانيين، أكانوا أبطالاً هوميريين أم فيكغ إسكاندينافيين- في هكذا حاجة هُم كانوا سواء. الأعراق النبيلة، هي تلك التي تركت مفهوم "البربري" على جميع آثارها، أينما ذهبت؛ (...) "جراًة" الأعراق النبيلة، وهي لعمري جرأة مجنونة، عابثة، خاطفة، كما تعبّر عن نفسها، وما لا يتوقّع وما لا يُصدّق في ما تأتي من أفعال جسام - وبريكلس قد خصّ بالذكر ῥαθυμία³ الأثينيين- عدم اكتراثهم واستخفافهم بالأمن والجسد والحياة والترف، الصفاء المفرغ وعمق اللذة في كلّ دمار، في كلّ استمتاع بالنصر وبالقساوة- كلّ ذلك يُردّ عند الذين يألمون إلى صورة "البربري"، و"العدو الشرير"...

علينا أن نأخذ تلك القائمة من الشعوب الأرستقراطية بوصفها ستة أمثلة عن تلك "الدابة" الحرة القديمة التي رسمت ملامح النموذج الأخلاقي للنبيلى في كل أصقاع الأرض التي صنعت تاريخاً كبيراً للنوع البشرى. - غير أنّه على عكس كلّ ما توحى به نصوص نيتشه من أحكام أخلاقية مسبقة (من قبيل نقده المقذع لليهود، كما في الفقرات 7 و16 من المقالة الأولى أو ملاحظاته على لون هذا الشعب أو نسبه، كما في الفقرة 5 من نفس المقالة...) فإنّ نيتشه ليس معادياً للسامية ولا داعياً للميز العنصرى (انظر: المقالة الثانية، الفقرة 12، ما وراء الخير والشر، § 251). بل هو يفكر فيما أبعد من أيّ مركزية عرقية أو قومية أو جماعوية.. ولذلك ليس للمجازات الحيوانية في كتابات نيتشه إلا دور تأويلي: فضح "الإنسان الحديث" (الأوروبى ولكن أوروبا في معنى غير جغرافى وإنّما أخلاقى أو حضارى، حيث يشير نيتشه إلى أنّ أوروبا قد أخذت تحتاح الأرض

1 - قارن: حدّث زرادشت قال. الكتاب الرابع، حديث "عن الإنسان الأعلى".

2 - قارن: حدّث زرادشت قال. الفاتحة. §§ 3-4.

3 - ῥαθυμία - rhathyμία - عدم الاهتمام، الاستهتار، اللامبالاة. ولكن أيضاً الرخاوة والكسل.

بقيهما) بوصفه أقرب ما يكون إلى حيوان "مدجن". - ما يريده نيتشه هو إعادة القدرة على الحياة إلى الشعوب الحديثة التي خدعها الكاهن الجديد في ثوب العالم الملحد والمحايد والنزيه. وسلّمها إلى "غول" الأزمنة الجديدة¹: دولة الإنسان الأخير أو الحيوان "الديمقراطي".

لكنّ كلّ تخريجات نيتشه تأويلية كأعلى ما يكون، ولا تستعمل التاريخ إلّا تنميظاً أو توضيحاً فحسب. بل: ليس من أصالة لأيّ فكر أو تقويم أو تأويل إلّا بقدر ما يكون صيّادا للأنماط التأسيسية لمعنى مغامرة الحيوان البشري على الأرض. هذا الحيوان "النمطي" بامتياز. ولا يتحدث نيتشه عن "قوميات" جاهزة بل عن "أنماط" بشرية ليس بينها من "تراتب" إلّا في ميدان القيم، قيم الاقتدار وقيم الحياة (المقالة الأولى، الفقرة 17، هامش).

ثمّة بالفعل، حسب، نيتشه "حرب" قيم بين الأنماط البشرية، وهو ما يعني تحديداً أنّه توجد حرب تأويلية بين الشعوب الكبيرة، بل إنّ نيتشه قد وجد الممثلين الأكبرين لهذه الحرب في تأويل² قيمة القيم التي تحكّمت في معنى وجود الإنسان على الأرض إلى حدّ الآن: «إنّ رمز هذا الصراع، مكتوباً بخطّ ظلّ إلى حدّ الآن مقروءاً على مدى تاريخ البشر برّمته، إنّما اسمه روما ضدّ يهودا، يهودا ضدّ روما» (المقالة الأولى، الفقرة 16).

وإنّ دور الفلسفة هو أن ترصد الدوافع النفسانية المنتجة للتأويلات الأساسية للحياة في شكل سلام قيم، وذلك من أجل تقويمها بحسب إرادة الاقتدار التي تحدوها.

يقول نيتشه في آخر المقالة الأولى، الفقرة 17: «كلّ العلوم إنّما شأنها منذ الآن أن تهتّى المهمة المستقبلية للفيلسوف: متى فهمنا هكذا مهمّة بأنّ على الفيلسوف أن يحلّ مشكل القيمة، أنّ عليه أن يعيّن تراتب القيم».

حسب نيتشه ليس ثمّة "واقع" موضوعي متفق عليه، كما أنّه لا وجود لأيّ "مفاهيم" أو "مقولات" محضة أو بريئة أو جاهزة للعقل السليم. بل الواقع واللغة والمفاهيم هي "أمارات" حيّة عن إرادة اقتدار مخصوصة وشديدة التوقع: لعبة تأويلات تدور حول زيادة مطّردة للقدرة على الحياة³.

1 - قارن: حدّث زرادشت قال، الكتاب الأول، حديث "عن الصنم الجديد".

2 - عن العلاقة بين التأويل والحرب، قارن: كتاب الفجر، الفقرة 84: عن تفسير المسيحيين لآيات التوراة.

3 - را: ما وراء الخير والشر، الفقرة 36.

ولذلك لا يملّ نيتشه من تحويل وجهة المصطلحات الميتافيزيقية التقليدية واستخدامها بشكل مجازي ونفساني عالي الطراز¹. وهو يغيّر دوماً من لغته ومصطلحه: ليس هناك اصطلاح نهائي للتفكير، ثمة باستمرار حاجة إلى التأويل والترجمة والتقويم والتحويل المفهومي والأسئلة الجديدة. وعلى ذلك فإنّ نيتشه يحرص على التمييز الحادّ والغاضب بين "التأويل" كغريزة سمبوطيقية خاصة بالحيوان البشري بعامة وبين "التأويل الديني" (المقالة الثالثة، الفقرة 20) كمكر لاهوتي "لثيم" يقوم على تحريف النصوص واستعمالها كإرادة اقتدار مريضة لا تقوى على مواجهة الحياة فتعوضها بضرب متنكّر من "إرادة العدم".

إنّ تأويل نيتشه هو فنّ التمييز بين "المعنى" والحاجة إلى "المعاناة" (المقالة الثالثة، الفقرة 28 والأخيرة) بواسطة ضرب صحّي من "غريزة الحرية". ولذلك هو لا يقصد إلى أقلّ من اختراع غرائز "جديدة" للحياة. وهي ليست جديدة إلّا في معنى كونها لا تستطيع أن تعمل إلّا بقدر ما تتخلّص من نمط التقويم الذي ظلّ يسيطر عليها. بهذا المعنى يدافع نيتشه عن "النسيان" بوصفه "قوة" بإمكانها أن تعيد لنا قدرتنا القديمة على "النسيان النشط"، ذاك الذي يعلمنا أنّ عمل الغرائز مواز لعمل المعاني: كلّها تقويّات لإرادة الاقتدار. ومن ثمة أنّه كما تحتاج الحياة إلى "الالتهاّم بالجسد" (Einverleibung)، هي تحتاج أيضاً إلى "الالتهاّم بالنفس" (Einverseelung) (المقالة الثانية، الفقرة 1) أي إلى تحويل تفكيرنا إلى ضرب من الاستهلاك الصحّي لدوافعنا النفسية.

إنّ التأويل هو بذلك تمرين في النسيان الأرستقراطي لتلك "الأفكار الثابتة" أو للثوابت التي تفرضها الجماعة على الفرد الحر أو النابتة في شكل سلّم قيم يعمل بوتيرة آلية وينقلب آخر المطاف إلى "مثل عليا تُسكّية"، تدرّب النفوس على "التنسّك"، أي على "رياضة" كهنوتية ضدّ الجسد، تقوم على سياسة الذاكرة القادرة على "الوعود" أو "الأفكار التي لا تُمحي" (المقالة الثانية، الفقرة 3)².

1 - قارن: التصدير، الفقرات 2-3 والمقالة II، الفقرة 1 (عن الوعي أو "الصفحة البيضاء")، أو ما وراء الخير والشر، الفقرة 44 (عن الإرادة الحرة)...

2 - «إنّ التنسّك إنّما ينتمي إلى هذا المضمار: أنّه يجب أن نجعل بعض الأفكار لا تُمحي، حاضرة أينما ولينا، عصيّة على النسيان، "ثابتة"، وذلك بهدف تنويم النظام العصبي والذهني عبر هذه "الأفكار الثابتة" - ولتأثير طرائق الحياة وأشكالها التُسكّية وسائل من أجل أن نخلّص هذه الأفكار من التنافس مع الأفكار الأخرى جميعاً، من أجل أن نجعلها "لا تُنسى".» (المقالة الثانية، الفقرة 3)

من أجل ذلك فإنّ التفكير الفلسفي هو، حسب نيتشه، فنّ نزع الطابع التُسكي عن العقل البشري، وذلك بأن يحزّره من "مثل عليا" نهائية حول معنى وجودنا على الأرض، بالتأكيد على:

«أنّ كلّ حادثة في العالم العضوي هي غلبة وسيادة؛ وأنّ كلّ غلبة وسيادة هي بدورها تأويلٌ جديد، وترميمٌ²، لديه لا بدّ وأن يصبح "المعنى" و"الهدف" السابق مستورا أو محوّا تماما» (المقالة الثانية، الفقرة 12)؛ و"أنّ كلّ الأهداف وكلّ الفوائد إنّ هي إلّا أماراتٌ على هذا أنّ إرادة اقتدار قد صارت كما سيّد مقتدر على شيء أقلّ منه اقتداراً، وختم له من نفسه على معنى وظيفة ما؛ وإنّ التاريخ الكامل لـ "شيء" ما وعضو ما وتقليد ما إنّها يمكن أن يكون على هذا النحو سلسلة علامات متصلة من التأويلات والاستصلاحات الجديدة على الدوام، لا تحتاج أسبابها ذاتها لأن تكون في تلازم فيما بينها، بل حسنها على الأرجح إذا اقتضى الحال أن تتألى على سبيل المصادفة وأن تتناوب... إنّ الشكل المائع، لكنّ "المعنى" أكثر وأكثر...» (المقالة الثانية، الفقرة 12).

ليس هناك معنى في ذاته، بل كلّ معنى هو "توليفة من المعاني" (المقالة الثانية، الفقرة 13) التي تقود إرادة الحياة في عصر أو ثقافة ما. لكنّ تحرير المعنى من "رياضة" اللامعنى التي انقلبت مع العصور إلى سلّم قيم يعمل بشكل آلي ليست نزهة استيطيقية. بل هي، حسب نيتشه، حرب ضدّ المثل الأعلى التُسكي الذي انتصر على الأرض وصار يعمل بشكل لا واعٍ تماما.

ومثلما أنّ عمل الكاهن في كل ثقافة هو تدجين "الوحش" بالمثل العليا (المقالة الثالثة، الفقرة 15)، والتي وجدت في "رياضة" العدم، أي في فنّ "التنسك" نموذجها الأرقى، - فإنّ التأويل هو تحرير الوحش: تحرير المعنى من الكاهن. وهو فنّ صعب المراس ولا يأتي في كل مرة إلّا بـ "إبانة مؤقتة" (المقالة الثانية، الفقرة 16).

وإنّ علينا أن نفق عند هذا الطابع المؤقت للتأويل. إنّ المؤؤل الأرسقراطي لا يدافع عن أيّ جدار نهائي للمعنى. فإنّ التأويل كضرب من إرادة الاقتدار هو حراسة ومعاشرة وتفكّر طويل (المقالة الثانية، الفقرة 16). وكما أنّ «الدابة

Herrwerden - 1

2. ein Zurechtmachen. الترميم عارض على تشوّه تأويلي يصيب إرادة اقتدار جديدة استولت على قيمة قديمة. قارن: ما وراء الخير والشر، الفقرة 14.

Anzeichen - 3

eine Zeichen-Kette - 4

الفلسفية تصبو بغريزتها إلى أقصى ما يمكن من الظروف الملائمة، التي تستطيع من خلالها أن تطلق كل قوتها وأن تبلغ إلى أوج شعورها بالاقتدار» (المقالة الثالثة، الفقرة 7)، كذلك التأويل تحرير للمعنى وإطلاق لقوة الإثبات إلى أقصى ما يمكن من إرادة السؤال عن قيمة الحياة.

ولذلك يحرص نيتشه على الربط بين "مصلحة الحياة نفسها" وبين "معنى" أي نوع من التقويم، ومن ثم فكل موقف "سُكّي"، أي يدرّب النفس على الاستغناء عن دوافع الحياة، هو "تناقض مع النفس" (المقالة الثالثة، الفقرة 11)، وهو تناقض في معنى أنه يدرّب الحياة على إرادة العدم، من خلال فن "الرجاء" في عالم "آخر".

ولأنّ فنّ الرجاء هو لا يعدو أن يكون "مرضا" أخلاقيا انتصر على منافسيه القدامى، أي على غرائز الحرية القديمة، تلك التي عرفها "الأنا الحيواني السحيق القدم" والذي صاحب الإنسانية في تاريخها الطويل باتجاهنا، - فإنّ التأويل هو بالأساس سلوك طبيّ، ولطالما حرص نيتشه على أن يقدّم الأخلاق وكأنّها عدوى (المقالة الثالثة، الفقرة 20).

لذلك هو ينبّه عديد المرات إلى الفرق بين "تربية" الحيوان البشري (Züchtung) وبين "تدجينه" (Zähmung). ومن لا يشعر بالمسافة بين التربية الحيوية والتدجين الحضاري لا يمكنه أن يفهم معنى التأويل لدى نيتشه: إنّه يكتب في تقابل عنيد بين النبيل والوضيع في الأنماط الأخلاقية كما في أصناف المعاني.

إنّ كراهية الحياة مثلا ليس موقفا عبثيا لدى المنتسكين: بل هو مكر الحياة نفسها، كيف تستعمل الضعفاء للحفاظ على الحياة ذاتها. التأويل هو قراءة في ظاهرة كره الحياة بوصفها جزء من مكر الحياة في البقاء. يقول: «لابدّ أن ضرورة من الدرجة الأولى، قد جعلت هذا النوع المعادي للحياة ينمو على الدوام ويزدهر، - لابدّ أن تكون هناك مصلحة ما للحياة نفسها في أنّ مثل هذا النمط من التناقض مع النفس لا ينقرض» (المقالة الثالثة، الفقرة 11).

ومن ثمّة ليس التأويل لدى نيتشه بحثا عن "المعنى" المختفي في النصوص أو في الظواهر الأخلاقية، بل محاولة الربط بين "المعنى" الذي يعطيه كائن حي لحياته وبين نمط "المعاناة" الذي أقام عليه ذلك المعنى. ولذلك ليس التأويل "دحضا" منطقيًا لأيّ "تناقض مع النفس"، بل محاولة لفهمه حسب منطق الحيوي الخاص، بعيدا عن أيّ منطق آخر، لأنّه سيكون مجرد مكر حيوي متنكر.

يقول: «إنَّ إرادة المرء أن يرى على نحو مغاير¹ ليست تربية أو تهيئة هيَّنة للعقل من أجل "موضوعية" مرتقبة، - دون أن تُفهم هذه الأخيرة باعتبارها "حداً خلواً من أيِّ مصلحة" (إذ تكون بذلك تصوّراً باطلاً ولا معنى)، بل بوصفها القدرة على أن نملك نَعَمًا ولا نَعَا² تحت سلطتنا وأن نرفعها أو نضعها كما نريد؛ بحيث يعرف المرء حتى بإزاء اختلاف³ المنظورات والتأويلات الوجدانية كيف يجعلها في خدمة المعرفة.» (المقالة الثالثة، الفقرة 12).

أن نفهم بشكل مغاير هو موقف تأويلي مضاد لكل نمط نُسَكِّي. ويربط نيتشه بين الطابع "المنظوري" للوجود والطابع "التأويلي" لمعانيه المتعددة واللامتناهية (المعرفة المرححة، الفقرة 374). ثمة تأويلات بقدر ما ثمة "لحظات" في وجودنا. وكل لحظة هي بذاتها تأويل.

ولكن لنحترس من "التأملين" الذين يعولون على "الحاد" نظري من أجل حل لغز قيمة القيم الأخلاقية لوجودنا على الأرض. إذ ليس الكاهن نمطاً دينياً مهدداً بالانقراض، بل هو آلة قيم تشكّلت بعد تطوّر أخلاقي سحيق القدم طال كلّ أشكال الحيوانية النائمة في النوع البشري ولا زالت إلى اليوم تأكل كلّ النفوس. ولذلك فإنّ النقد "الحديث" الهادف إلى دحض خطاب الكاهن لا يؤثر في شيء على سطوته. إنّ هذا النقد نفسه ملوّث بعدوى المثل النُسَكِّيّة، وهذا المعنى حكم نيتشه على نجاح كانط بأنّه نجاح لاهوتي. إنّ الكاهن لم يعد يتخذ هيئة لاهوتية واضحة، بل صار يسكن كل المثل العليا التي عرفها البشر من الأخلاق إلى الفن ومن الفلسفة إلى العلم. إنّ الكاهن قد تسلّل إلى مخبأ "الحاجة إلى المعنى" التي تؤرق الحيوان البشري: أن تكون لحياته المعذبة معنى. وطالما يفلح الكاهن في توفير المعنى فهو سيستمر في تسميم الحياة وتحويلها إلى تهمة.

نحن لن نتخلّص من "التأويل الديني" (المقالة الثالثة، الفقرة 20) بل علينا فقط أن نتحرّر منه بتأويل آخر أكثر صحّة. إنّ الحياة نفسها تأويل: نزاع غريزي مع المعنى واللامعنى. لكنّ الهدف واحد: «أن تبرّر نفسها، أن تبرّر ما فيها من "معاناة"» (المقالة الثانية، الفقرة 7). ومن هنا علينا في كل مرة أن نفرّق بين "التأويل" الصّحّي وبين "التبرير" الذي يقوم على عدم التمييز بين "المعنى" و"المعاناة".

anders-sehn-wollen - 1

sein Für und Wider - 2

Verschiedenheit - 3

ولذلـك يمـيل التـأويل الديـني إلى الخـلط بين التبرير والتأويل، وذلك من خلال الخلط بين الواقع والقيمة، وفي الأخير بين "القطع" و"الجماعة". وهذا هو حسب نيتشه منبت إرادة "تكوين القطعان" وتكوين "الجماعات" و"الطوائف". إرادة اقتدار متنكرة ومريضة ترغب في أمر واحد: تدجين الوحش الذي في الحياة الإنسانية من خلال إنتاج الحيوان الأخلاقي الذي يجد راحته من ألم الكيان في أفق معاناة معيّن بوصفه هو أفق المعنى المناسب لحفظ نوعه¹. وهو قد تعود العثور على تلك الراحة "النسكية" بقدر ما يستجيب إلى أمر الكاهن النائم فيه: الأمر بضرورة "الامتناع عن التأويل":

يقول نيتشه: «هذا الامتناع عن القيام بأي تأويل بعامية (بأي عنف أو تعديل أو اختصار أو حذف أو سدّ للثغرات أو اختلاق أو تزييف وسائر ما يدخل في ماهية كلّ تأويل) - كلّ ذلك إنّما يعبر، متى أخذ في جملة، عن نسكية² الفضيلة، بنفس القدر الذي يعبر به عنها أي نفى لشهوة الحس (لا يتعلق الأمر في الأساس إلّا بضرب³ من هذا النفي)» (المقالة الثالثة، 24)

إنّ الامتناع عن التأويل هو إذن الأمر النسكيّ الأخطر الذي تمارسه الأديان على الإنسان الأخلاقي الذي تحكّم في معنى الوجود على الأرض منذ بضعة آلاف من السنين. والحال أنّ الهدف الحقيقي لهذه الإرادة المريضة هو تدجين "الألم" وتحويله إلى "متعة" عدمية تحت التصرف. لكنّ ما يبتئها إليه نيتشه، وهذا هو دور الفيلسوف في المستقبل، هو تعرية المكر النسكيّ مهما كان مخبئاً، وذلك بإثبات العلاقة اللازمة بين المعنى والمعاناة، من حيث "أنّ ما يثير حقاً ضدّ الألم، ليس الألم بحدّ ذاته، بل لا-معنى الألم" (المقالة الثانية، الفقرة 7)، و«أنّ "ألم النفس" ذاته ليس يجب أن يسوغ على العموم بوصفه أمراً واقعاً، بل بوصفه تأويلاً⁴ فحسب (تفسيراً سببياً⁵) لوقائع لم تُصنَّغ إلى حدّ الآن على نحو دقيق؛ ومن ثمّ بوصفه شيئاً لا يزال يتأرجح تماماً في الهواء وغير ملزم من الناحية العلمية، - كلمة بدينة، في حقيقة الأمر، أخذت فقط

1 - «إنّ تكوين القطعان هو، في الصراع ضدّ الانهيار، خطوة عملاقة وضرب من النصر. وإنّما بنشأة الجماعة يتعزّز أيضاً عند الفرد نحوّ جديد من الاهتمام [بنفسه]» (المقالة 3، الفقرة 18)

der Ascetismus - 2

Modus - 3

der seelische Schmerz - 4

Auslegung - 5

Causal-Auslegung - 6

مكان نقطة استفهام نحيلة» (المقالة الثالثة، 16). هل كانت دعوة نيتشه إلى استئناف التأويل ضدّ لا معنى الألم ضربا من التنوير؟

في خريف 1884، فكّر نيتشه في وضع كتاب لم يكتبه أعطاه هذا العنوان: «"الأنوار" الجديدة. مقدمة إلى فلسفة العود الأبدى». ولكن إذا كان نيتشه يعرض عن إنسان الجموع، فأَي معنى للتنوير؟ - وعلى ذلك علينا أن نسأل: هل كان كتاب جنيا لوجيا الأخلاق (بمعنى كتاب ما وراء الخير والشر) تنفيذا أو تجذيرا شاملا لمهمة تلك "الأنوار الجديدة"؟

2 - نيتشه والترجمة:

أ - "أخلاق" (die Moral) و"أخلاق" (die Sittlichkeit)

كان نيتشه قد عنون الفقرة 9 من الكتاب الأول من الفجر "مفهوم أخلاق العادات والتقاليد" (Begriff der Sittlichkeit der Sitte). ووجه الطرافة هنا أنّ نيتشه ينته إلى ضرورة التمييز بين "أخلاق" الإنسانية كما نعرفها (أخلاق الخير والشر) وبين "أخلاق" الإنسانية السحيقة القدم، تلك التي لم تعرف من سلطة أخلاقية أخرى غير "العادات والتقاليد والأعراف" (die Sitte) التي ستّتها "جماعة" ما لنفسها. ومن ثمّ فنحن بالنسبة إلى تلك الإنسانية القديمة إنّما نعيش، حسب نيتشه، في عصر "غير أخلاقي تماما" لأنّه "عصر خال تماما من العادات والتقليد" (in einer sehr unsittlichen Zeit). لم يكن ثمة فاصل بين "سلطة العادات والأعراف" (die Macht der Sitte) وبين "الشعور الخلقي" (das Gefühl der Sittlichkeit). وفي العبارة الألمانية "Sittlichkeit" ثمة شيء لا يوجد في اللغات الأخرى (اللهم إلا في اليونانية)، ألا وهو الجمع بين معنى "العادات والتقاليد" (die Sitte) ومعنى "الأخلاق" (Sittlichkeit). ولهذا اختارها نيتشه بعناية، رغم أنّه يستعمل في عنوان كتابه "جنيا لوجيا الأخلاق" لفظة "die Moral". وفي تقديرنا قد بان القصد من عنوان الكتاب: إنّ "الجنيا لوجيا" تعني الكشف عن "نشأة الأخلاق" (die Entstehung der Moral) التي نعرفها، أي التنقيب عن تلك "المصادر" (وليس "الأصول" فإنّ نيتشه ليس "أصوليا" في شيء) السحيقة القدم التي تشكّل في تربتها ذلك "النمط" الأقدم من الأخلاق، أي ما سمّاه نيتشه "die Sittlichkeit der Sitte"، وذلك قبل أن يقع الانحراف اللاحق الذي "لوّث" الوعي البشري القديم ببيتّ عدوى "الأخلاق" (die Moral) التي نعرفها اليوم، والتي بلغت مع الأخلاق

المسيحية ذروتها، إلا أنه لا يبعد أن تكون قد وجدت في الأخلاق السقراطية والأفلاطونية اليونانية رافدا عميقا لها، وبعمامة في أخلاق "الكاهن" مهما كان زيه أو اسمه أو لغته، "من الهند إلى انجلترا" كما يقول نيتشه ذات مرة ساخرا.

إن المغزى العميق هنا هو أنه: «حيثما لا يوجد عُرفٌ (Herkommen)، ليس ثمة أخلاق (Sittlichkeit)»، لأنّ "الشعور الخلقي" لا معنى له سوى "طاعة العادات والتقاليد".

لكنّ قصد نيتشه ليس الدفاع عن "أخلاق العادات والتقاليد" ضدّ "أخلاق الخير والشر"، بل هو: أولاً، التنبيه إلى النسيئة والهشاشة والتاريخية العميقة للقيم الأخلاقية التي نعرفها. وأنّ ما نسميها اليوم "غير أخلاقي" (unmoralisch) هو في واقع الأمر لم يكن يعني سوى "خارج عن العادات والتقاليد" (unsittlich) وذلك طيلة فترة سحيقة القدم من تاريخ الإنسانية. ولكن على الخصوص، ثانياً، أنّ علينا أن نتساءل بكلّ اهتمام عمّا تكبّده "الإنسان الحر" في تلك الأزمان القديمة من معاناة بسبب أنه "يريد في كلّ شيء أن يتبع ذاته وليس أخلاق العادات والتقاليد"، ومن ثمّ ما كانت الإنسانية القديمة تسمّيه "شرّيراً" (böse) إنّما كان مرادفاً في واقع الأمر لصفات "الفردى" و"الحر" و"الاتفاقي" و"غير العادي" و"غير المتوقع".. إنّ ما كانت تخاف منه الإنسانية القديمة التي أخذت شكل "الجماعة" التي يحرسها "عُرفٌ" يعبر عن سلطته ونفوذه من "أخلاق العادات والتقاليد" هو أن يُقدم "إنسان حر" (أي "غير أخلاقي") على "خلق أعراف" جديدة، إذ أنّ ذلك إنّما كان حرفة "الكاهن" دون سواه. على "الفرد أن يضخّي بنفسه" من أجل الجماعة، ذلك ما تأمر به "أخلاق العادات والتقاليد". ومن ثمّ تحت سلطة العادات، كلّ أشكال الإبداع تتحوّل ضرورة إلى "ضمير شرّير" (ein böses Gewissen).

ب - "الخير والشرّير"، "الكريم واللّيم" ("gut und böse", "gut und schlecht")

إنّ الألمانية تستعمل هنا لفظة واحدة: "gut" - وهذا أمر ينسحب على الفرنسية (bon) والانجليزية (good) -، للإشارة إلى معنيين يؤكّد نيتشه على تباين قيمى جدّ خطير بينهما: أ- معنى أخلاقي وديني تقليدي. ب- معنى "إتيقي" و"استطقي" مستحدث علينا أن نعثر له على لفظ مناسب. وقد يمكن في العربية أن نعول على الفرق بين "الخير" (بالمعنى الأخلاقي) و"الخير" (بالمعنى الإتيقي)، أي الفرق بين الخير -عكس الشرّير- والخير، كما نقول "رجل خيرٌ" و"امرأة خيرة" - عكس "السوء" الذي هو نعت للرجل، إذ نقول "رجل سوءٌ"؛ والسوء مأخوذ هنا في معنى

الفساد والهلاك والأفعال المشينة والتي يُستحى منها. وقد استفدنا من هذا الفرق بين "الخير" والرجل الخير خاصة في المواضع التي اضطررنا فيها إلى مجازاة نيتشه في تنقياته الفيلولوجية.

لكن وجه الصعوبة يكمن في ترجمة عبارة "gut und schlecht"؛ هي صيغة قد تكون على صلة اصطلاحية بمسألة كلامية عرفها الإسلام الكلاسيكي: التحسين والتقبيح. لكن مقصد نيتشه مضاد لكل لاهوت متنكّر، مثل ذاك الذي عثر عليه في مفاهيم كانط عن "الخير" و"الواجب" و"الأمر القطعي". كما أنّ "القبیح" مصطلح قد حوّلت وجهته في العربية المعاصرة إلى حقل الجماليات، على الرغم من أنّ الفارابي مثلاً قد استعمل ثنائية "الجميل والقبیح" في معنى مواز لثنائية "الخير والشر". وقد نرى أنّ بعض المترجمين العرب قد التجئوا إلى حلول أخرى، من قبيل "الطيب والخبيث" و"الحسن والسيئ" و"الجيد والرديء"، وربما "الصالح والطالح"... ونحن أيضاً أخذنا بها وبغيرها كلما تعلق الأمر بالأشياء أو بالأفعال، ولكننا عرضنا عنها عندما يتعلق الأمر بأنواع البشر أنفسهم أو بالأنماط الأخلاقية.

صحيح أنّه لا مُشاحّة في الأسماء، فإنّ رأس الأمر هو فلسفي هنا وليس لغويًا؛ ألا وهو الالتزام بعدم الخلط في التقويم بين المعجم الأخلاقي-الديني (الخير والشر) الذي ينقده نيتشه وبين شكل التعبير الأرستقراطي الجديد الذي طفق يستحدثه على أساس التمييز الإتيقي بين نماذج الحياة والفصل الاستطقي بين الأساليب الذوقية، والتفريق القيمي بين الأحكام الأخلاقية والأنماط البشرية. وكما تشير الفقرة 260 من ما وراء الخير والشر، فإنّ هذه المعاني قد طُبّقت أولاً على "البشر" ولم تُطبّق على "الأفعال" إلّا لاحقاً. بيد أنّه لهذا السبب الحاسم، لا تعني عبارة "gut und schlecht" معنى التمييز بين "الحسن والسيئ" أو "الحسن والقبیح" أو "الجيد والرديء"، من حيث هي توصيفات موضوعية للأفعال الإنسانية أو للأشياء يقوم بها ملاحظ "عالم" ومحايّد، بل معنى "الشعور بالمسافة" (المقالة 1، الفقرة 2) الأرستقراطية بين صاحب المنزلة العليا وصاحب المنزلة الدنيا، بين "الكريم واللئيم" و"الشريف والوضيع" و"الحميد والأذيم"...، وذلك بمقتضى التمييز الجذري والحادّ بين "أخلاق الأسياد وأخلاق العبيد"¹. إذ من دون اعتبار هذا النحو من "الشعور بالمسافة" بوصفه المعنى الطوبقي للتراتب الأرستقراطي وإثبات الفروق والفواصل في خلق القيم، لا يمكننا أن نفلح في فهم مقصد نيتشه

1 - ما وراء الخير والشر، § 260.

من العنوان المزدوج للمقالة الأولى: "خير وشر" من جهة، أساسه المساواة الدينية بين الناس، و"كرم ولؤم" أو "شرف وخسة" من جهة أخرى، تكمن أهميته في ترتيب الأنماط البشرية حسب إرادة الاقتدار التي تحرّكها.

ولا يخفى أنّ نيتشه قد أقام نكتة الإشكال في المقالة الأولى من جنجالوجيا الأخلاق على تقابل طريف ولكن صارم بين المعجم الأخلاقي والديني (gut und böse)، والتعبير الإتيقي والاستطريقي - (gut und schlecht). - وإذا كان من اليسير أن ننقل الثنائي الأولى بعبارة "الخير والشرير"، فإنّ الثنائي الثاني قد لا قينا منه بعض الصعوبة وتطلّب وجوها من التلطّف، وأوقفنا الأمر في آخر المطاف على استدعاء عبارات مختلفة من قبيل "الشريف والوضيع" أو خاصة "الكريم والليثيم"، الشهيرة في أخلاق الفتوة عند العرب، على أنّنا لم نغفل أبداً عن أنّ ذلك ليس بالحلّ الوحيد، إذ وددنا مثلاً أن نقول بدلاً عن ذلك "حميد وذميم" أو "عزيز وخسيس"،... إلّا أنّ العبارة الأولى أشهر. لكنّ مقابلات "schlecht" الوجهية الأخرى كثيرة: الدنيء، المنحط، الشقي، البليد، المعيب، الفاسد، الخبيث، النذل، البغيض،...، وهي على الأغلب مرادفات للفظه "ليثيم" أو تجري مجراها. مثلاً: وَضَعَ أي لؤم وكان في حسبه انحطاط وخسة. وهذه كلّها يقوّلها النبيل على السافل والسيد على العبد، وليس ذلك في شيء من معاني "السيئ" أو "الرديء". إذ أنّ هذه على الأغلب تتعلق بالأشياء والأفعال وليس بالأنماط البشرية والأخلاقية نفسها. ويبدو لنا أنّ نيتشه قد استعمل لفظه "Gut" الأرستقراطية في معنى يقارب العبارة "aus gutem Hause" أي "من بيت كريم" أو "من أسرة كريمة"، كما استعمل لفظه "Schlecht" في معنى العبارة "Schlechtigkeit" التي تدلّ على "اللؤم" و"الخبيث" و"سوء النفس"، أي معنى "الشر" ولكن ليس كما يفهمه الكاهن أو العبد، بل كما يفهمه السيد والعقل الحر.

وثمة مسوّغ آخر: أنّ نيتشه، مثلما فعل المتنبي، ذات قصيد، قد قرن بين "اللؤم" و"التمرد"؛ ووجه الطرافة هنا أنّ قيمة "الليثيم"، مثل قيمة "الكريم"، هي نمط من إرادة الاقتدار وليس وصفاً "موضوعياً". لا يتعلق الأمر إذن بمجرد حكم قيمة أخلاقي على "رداءة" أو "سوء" ما في الأفعال، بل هو تقويم لنمط بشري

1 - جاء في المقالة الأولى: «وإنّما مع اليهود بدأ تمرد العبيد في الأخلاق: ذاك التمرد الذي يجزّ وراء تاريخاً من عشرين قرناً والذي لم يتنحّ اليوم عن أعيننا إلّا لهذا السبب فحسب، أنّه - قد انتصر...». وهل نحتاج إلى تبرير آخر لنقرأ المتنبي تحت خيمة نيتشه، في قوله التي صارت مثلاً: "إذا أنت أكرمت الكريم ملكته++ وإنّ أنت أكرمت اللئيم تمردا".

يزعم أنه "مقياس القيم" بالنسبة إلى الإنسانية. ولذلك هو ليس "شريراً" في معنى أنه يفعل "الشر" بالمعنى الديني أو الأخلاقي التقليدي، بل هو "لئيم" في معنى أنه يحترف مكرًا أخلاقياً كهنوتياً لترتيب الأنماط البشرية حسب وصايا الكاهن في صراعه المريع على الأرض ضدّ "الأرواح الحرة".

ج- "الضمير المعذب" (schlechtes Gewissen)

نحن هنا أمام دلالة أخرى جدّ طريفة ولكن متفرّعة على نحو غير مباشر عن التقابل الأرسطراطي بين "gut" و"schlecht". لا يتعلق الأمر بالثنائي المحايد الحديث: "الحسن والسيئ" أو "الجيد والرديء"، بل بصيغة فرعية غير مباشرة من الثنائي الأرسطراطي: "الكريم واللئيم" أو "الشريف والوضيع". وهو تقابل ارتكاسي وحزين بين "السعيد والبائس" أو "المرتاح والمعذب" و"النقيّ والشقيّ"... وعلى وجه الدقة فإنّ من يشرّع هنا للغة هو النبيل أو السيد (كما في حالة "الكريم واللئيم") وليس "العالم" أو الملاحظ المحايد "الحديث" (كما في حالة "الجيد والرديء" أو "الحسن والسيئ"). لكنّ الممثلين الذين يؤدّيان أدوار "الضمير" هما الكاهن والمريض الأخلاقي: إنّ الكاهن هو الذي صنع ظاهرة "الضمير المعذب" أو "الضمير الشقيّ" أو "الضمير الذي يؤتّب نفسه" وقابلها بظاهرة "الضمير المرتاح" أو "الضمير السعيد" أو "الضمير الصافي السريرة"... ولذلك فإنّ نيتشه لا يستعمل عبارة "gutes Gewissen" أو عبارة "schlechtes Gewissen" استعمالاً موجباً وإثباتياً لقيمة نشطة ونبيلة، بل هو يحلّل هذه الأسماء الارتكاسية ويفكّكها من خلال إعادة تقويمها بشكل أرسطراطي، أي بوضعها تحت محكّ التأويل النشط الذي يقوم على التفريق اللطيف بين قيم الاقتدار وقيم الاستكانة، قيم النبلاء وقيم العبيد.

ويبدو لنا أنّ هذه التمييزات الاصطلاحية هي جديدة حتى لدى نيتشه نفسه، حيث استقرّت على الأغلب في كتاب ما وراء الخير والشر. وذلك رغم أنّها مصطلحات تشتغل بعدّ في كتبه السابقة كما عبارة "böses Gewissen" في كتاب الفجر (الفقرة 9) أو التمييز بين "الشريف والوضيع" (Gut und Schlecht) في كتاب حدّث زرادشت قال (حديث "الشرور الثلاثة") - وسبب تحفّظنا هنا هو أنّ نيتشه قد استعمل، على الأغلب، في كلّ من الفجر وزرادشت مصطلح "böses Gewissen" وليس، كما هو الحال في جنبا لوجيا الأخلاق، مصطلح "schlechtes Gewissen". وهو ما أربك المترجمين (مثلاً عند الوصول إلى الفقرة 9

من الفجر أو الفقرة 7 من حديث "الألواح القديمة والألواح الجديدة" من كتاب زرادشت). وذلك رغم أنّ هذين الكتاين لا يخلوان من استعمال التقابل الذي يهْمنا هنا: "Gut und Böse" و "Gut und Schlecht".

والتفسير الذي نقترحه هو أنّه ربّما مع ما وراء الخير والشرّ إنّما نجح نيتشه أخيراً في بلورة سلّم قيم ونمط تقويم بلغ أعلى درجات الاتساق، وصار عندئذ ضروريا إجراء بعض التعديلات المفهومية التي تتماشى مع التقابل الحاد الذي أقامه بين "أخلاق الأسياد وأخلاق العبيد" كما نرى ذلك في الفقرة 260، وصار عندئذ على كلّ المصطلحات التي يفكر بها منذ 1886 أن تأخذ هذا الشكل التقابلي، وخاصة أن تُصاغ من جديد في المعنى الطوبقي الطريف لـ "ما وراء": ما وراء الخير والشر، وليس ما وراء السيادة والعبودية. لذلك لم يعد يمكنه أن يقول: "böses Gewissen" بل "schlechtes Gewissen"، لأنّ الذي يتكلّم هنا هو "الروح الحرة" وهي لا تستعمل سوى ألفاظ نشطة، تقويمية وموجبة، وخاصة لأنّها لا تعرف شيئا مثل "الشر". لا يوجد إذن "ضمير شرير" بل فقط "ضمير معذب": لأنّ العبد "وضيع" فهو يعاني من "ضمير معذب"، ورغم ذلك هو يتوهم دوما أنّ سبب عذابه هو "النبيل" الذي هو رمز "الشر" بالنسبة إليه، النبيل "الشرير".

د- المثل النُسكية، مثل التَنسك (asketische Ideale)

يعود لفظ "asketisch" (كما في بقية اللغات الأوروبية) إلى أصل يوناني، حيث تعني لفظة "ἀσκητής": أ- "من يزاوِل فنّا، من يمارس صناعة"؛ ب- رياضي، مصارع (ἀσκέω). وتعني عبارة "ἀσκησις": أ- تمرين، أو ممارسة (فن أو صناعة)؛ ب- تمارين رياضية أو نمط حياة خاص بالرياضيين والمصارعين. ومنه "ἀσκητός" الذي يعني: أ- شيء معمول بفنّ وحذق وصناعة؛ ب- شخص متمرّس بفنّ أو صناعة؛ ج- شيء يمكن الحصول عليه بالتمرين والتدريب.

لكنّ هذا المعنى الأصلي (الرياضي أو الذي يصف نمط الحياة القاسية التي تساعد الرياضيين على تحسين قواهم وتصليب أجسامهم وعضلاتهم) للفظّة "askētēs" سوف ينسحب تاركا مكانه لمعنى جديد (مسيحي ورهباني وتعبدي)، حيث سيصبح المقصود (الديني) هو التَنسك والتَقشّف. ولم يعد اللفظ متعلقا بحياة "رياضي" و"أبطال" اليونان بل بتجارب "القديسين" و"الشهداء" المسيحيين بوصفهم "عُبادا" و"نُساكا". هذا هو سياق سؤال نيتشه عن دلالة المثل العليا

الجديدة وغير اليونانية؛ مُثْل التَّقَشُّف والتَّنَسُّك والرهبنة. وكأَنَّ نيتشه قد صاغ سؤالين في مصطلح واحد: الأول إثباتي: "ما هو معنى المثل الإسكيطيكية؟"، أي "ما هو معنى المثل الرياضية اليونانية؟". وهو ما تركه نيتشه سؤالاً "صامتاً". أمّا الثاني فهو: "أَيُّ معنى للمثل النسكية؟"، أي "أَيُّ معنى لمثل التَّنَسُّك المسيحي؟". وهو بالذات السؤال الساخر والنقدي والتأويلي الذي طرحه نيتشه صراحةً وخصص له المقالة الثالثة من جنياولوجيا الأخلاق.

كيف نقول ذلك بالعربية؟ - إنَّ علينا هنا أن نعثر على عربية "مسيحية" مناسبة وليس "إسلامية" حصراً. وبالتالي علينا أن نميِّز عندئذ بين "تَنَسُّك" (مسيحي، هو أقرب إلى الرهبنة والانتحار الاجتماعي) وبين "تزهد" أو "زهد" (إسلامي، هو أقرب إلى تربية النفس على "مكارم الأخلاق" بشكل لم يقطع في شيء مع أخلاق الفتوة البدوية).

نحن نجد بالفعل أنَّ العربية تقول "زهد" في معنى رغب عن الشيء وتركه، و"زهد في الدنيا" أي تخلَّى عنها للعبادة، ومنه "الزهديات" في الشعر. لكنَّ "الزهد" لا يستغرق دلالة "التَنَسُّك" المسيحية التي يقصدها نيتشه ويشغل عليها بوصفها نمطاً أخلاقياً ارتكاسياً تغلغل في المثل العليا للإنسان الأوروبي بعامه. وليس من الصدفة أنَّه رغم وجود "مناسك" و"تُسُك" في الإسلام، إلَّا أنَّه على وجه الدقة لا يوجد فيه "تَسَاك" بل هذه صفة تُركت للإشارة إلى عُتَاد النصارى. ولأنَّ العربية تملك تراثاً لغوياً واسعاً فهي "عربيات أديان" متعددة؛ (عربية وثنية، يهودية، مسيحية، إسلامية، علمانية، ...) فإنَّه يجدر بنا أن نأخذ الإشارة إلى المعنى "الأسكيطيقي" (asketisch) في لغة الضاد على ألفاظ (ومعان) شتى، دونها معاندة أو إقصاء، من قبيل لفظة "التَنَسُّك" الثرية معنى واشتقاقاً. إنَّ سعة صدرها الدلالي لكبير. كما تتوفر على لفظة "الرياضة" (القريبة من المعنى اليوناني الأصلي)، لاسيّما لدى المتصوفة؛ وأصله "راض الدابة يروضها وطأها وذلَّلها وعَلَّمها السير"، الذي تحوَّل إلى معنى "ملازمة الصلاة والصوم ومحافظة آناء الليل واليوم عن موجبات الإثم واللوم وسد باب النوم والبعد عن صحبة القوم" (كما يقول صاحب كشاف اصطلاحات الفنون).

بقي أن ننبّه إلى أنَّ الدين ليس سوى حالة جزئية وخاصة من المثل العليا التَّسْكِيَّة التي تَسَرَّبت حسب نيتشه إلى كلِّ من الفن والفلسفة والعلم وحتى إلى الإلحاد نفسه.

إنّ الفرق بين "القوة" و"الاقتدار" و"السلطة" و"السلطان" .. في تأمين معنى "die Macht" لن يتبين لنا ولن تتأكد وجاهته إلّا بقدر ما نأخذ مأخذ الجدّ أنّ اللغة هي تشريع وليست مجرد أداة للاستخدام. إنها تشريع تارة من صنع "النبلاء" وطورا من صنع "الأخساء": في المرة الأولى هي "اقتدار"، أما في المرة الثانية فهي مجرد "قوة"، وأما في المرات التي لا تتعلق بالنمط البشري بل بأدوات بقائه المدني فهي "سلطة" أو "سلطان" أو "شوكة" أو "عنف" ... - ويبدو لنا أنّ نيتشه قد استعمل لفظة "Macht" في مختلف هذه المعاني بحسب المقام الذي يفكر فيه.

ونحن نفترض أنّ صعوبة ترجمة نيتشه متأية من أنّه يكتب على الأغلب في مصطلحين تأويليين متقابلين، ولكن في لغة واحدة وبألفاظ واحدة. ووجه الطرافة الفلسفية الكامنة في ذلك هي تحديدا: أنّه لا وجود لمضامين نظرية ثابتة أي "ماهوية" وتعريفية أو يقينية أو متفق عليها. لا يعني أيّ لفظ إلّا بحسب إرادة المعنى التي تحرّكه. كلّ معنى هو تأليف عنيد من معانٍ متنافسة أو متقابلة تعبيراً عن قوى أو دوافع أو غرائز متنافسة على إرادة الحياة. ومن الصعب حقاً على المترجم أن يراقب لغة كاتب ماكر وفنان من طراز رفيع مثل نيتشه تعود أن يجمّل ألفاظه طبقتين متقابلتين من المعنى في كل مرة، بحسب عن "من" يتكلّم. إنّ "Macht" النبيل "اقتدار" و"إثبات"، في حين أنّ "Macht" الخسيس هي "قوة" و"نفي" و"ارتكاس".

ليس هناك معنى واحدة لمفهوم "إرادة الاقتدار". يقول نيتشه: "التنسّك هو خدعة فنية¹ للحفاظ على الحياة" (المقالة الثالثة، الفقرة 13). أنّ كره الحياة أو التناقض مع النفس بكره الحياة ليس لشيء بل هو فنّ في البقاء. للضعفاء أيضاً إرادة اقتدار تعمل كقوة حيوية لكبح جماح رغبة الحيوان العدمي في تدبير نفسه. لكنهم لا يفعلون هذا بوسائل صحيّة بل بوسائل مريضة وارتكاسية.

هناك إله ارتكاسي (إله حياة مريضة) كما هناك إله فعال وموجب (إله حياة في صحة كبرى). الإله الارتكاسي هو الذي يّيشر به الكاهن: ذاك الذي يؤجّل معركة الحياة إلى آخرة هي وحدها تقضي على خوف الإنسان من موته. قال نيتشه في تحفّظ خاص بالقرن التاسع عشر: "أنا أتكلّم، حتى أكون منصفاً،

عن مناطق الحضارة¹ من الإنسان، عن كلّ أنواع "أوروبا" التي أخذت تظهر على الأرض" (المقالة الثالثة، الفقرة 14). ولذلك فإنّ ظاهرة مثل "العولمة" لن يمكن أن تظهر في عين نيتشه إلّا بوصفها حركة عدمية: الإنسان الحديث "الأوروبي" المتعب من نفسه أخذ يفرض ملاحمه على بقية الإنسانية.

علينا في كلّ جملة من نيتشه أن نرى التقابل بين لغة الكاهن ولغة الفيلسوف: لغة "التدجين" (تحويل الإنسان إلى حيوان أخلاقي) ولغة "التربية" الحرة (خلق نوع بشري جديد). وإذا كان الكاهن نمطا ارتكاسيا فهو في نفس الوقت نمط بشري يعمل بمقتضى إرادة اقتدار معينة وذات فعالية عالية. إنّ الارتكاس نفسه نوع مريض من إرادة الاقتدار.

3 - هذه الترجمة:

كتب نيتشه كتاب في جنياولوجيا الأخلاق (*Zur Genealogie der Moral*) في جويلية 1887 ونشره بنفسه في مطلع نوفمبر من نفس السنة في دار ناومان² في ليبزيغ، وراجع النص بمعية صديقه بيتر غاست³. وقد تضمّن عنوان الكتاب أمرين آخرين: عنوانا صغيرا يصفه بأنّه "كتاب سجالي" (*eine Streitschrift*)، وإشارة في أسفل الغلاف تقول: "مضافاً إلى ما وراء الخير والشر المنشور مؤخراً تتمّة وإيضاحاً"⁴.

وقد عرفت أعمال نيتشه في عمومها، منذ انقطاعه عن الكتابة في العشرية الأخيرة من حياته بدءاً من 1890، طبعت كاملة عديدة نذكر منها مثلاً تلك

1 - Culturgebieten - 1

2 - *Zur Genealogie der Moral, Eine Streitschrift*; C. G. Naumann, Leipzig 1887 - 2

Peter Gast - 3

4 - "Dem letztveröffentlichten "Jenseits von Gut und Böse" zur Ergänzung und Verdeutlichung beigegeben."

- إنّ المغزى من هذه الإشارة ينبغي أن نفّش عنه، على الأغلب، في الفقرة 8 والأخيرة من التصدير، حيث يفترض نيتشه أنّ المرء قد قرأ كتاباته السابقة حتى يفهمه في كل مرة. وهو قد أثبت بنفسه في الفقرة 4 من التصدير لائحة في بعض الشذرات والفقرات من مؤلفاته السابقة، التي تفترضها وتقتضيها مقالات كتاب جنياولوجيا الأخلاق.

التي ظهرت سنة 1894¹ و1933² و1954³. - لكنّ النشرة المعتمدة اليوم بين الباحثين هي تلك التي أعدها المحققان الإيطاليان جيورجيو كوللي ومازينو مونتinari تحت عنوان "أعمال. نشرة كاملة نقدية"⁴، ثمّ أعيد نشرها في "طبعة منقّحة" في بعض المواد مع تخفيف في الجهاز النقدي، تحت عنوان آخر هو "الأعمال الكاملة. نشرة الدراسات النقدية"⁵ (وهي تسمية إجرائية للتمييز عن النشرات السابقة فحسب) تضمّ خمسة عشر مجلداً، وتقع جنياولوجيا الأخلاق في الخامس منها إلى جانب ما وراء الخير والشر⁶. - لكنّ أعمال نيتشه قد صارت اليوم متاحة على شبكة الانترنت، في صيغ رقمية متعددة، بما في ذلك "نشرة الدراسات النقدية" نفسها.

ولذلك فنحن قد اعتمدنا على هذه النشرة النقدية ولم نغادرها في شيء، لاستيما وأنها قد قامت على أساس إعادة نشر تلك الطبعة الأولى التي نشرها نيتشه بنفسه، ولم تفعل غير إصلاح الأخطاء التي كان نيتشه نفسه قد أصلحها على المسودات المطبعية ولم يأخذ بها الناشر يومئذ. وهي في الحقيقة ليست "طبعة دراسات نقدية" إلّا في معنى واحد: القضاء على وهم "كتاب" عنوانه "إرادة الاقتدار"⁷ (الذي وجدنا أنّ نيتشه قد أشار إلى أنّه بصدد إعداده في الفقرة 27 من المقالة الثالثة من كتابه في جنياولوجيا الأخلاق)، وإعادة شذرات ذلك الكتاب "المرعوم" إلى وضعها الطبيعي، أي بما هي شذرات معدّة من أجل كتاب لم يُكتب، مع تسجيل مهمّ جدّاً لتواريخها الحقيقية.

Gesamtausgabe in Großoktav, 19 Bde., Leipzig, C. G. Naumann, 1894 ff.; später - 1 Alfred Kröner. Bd. 1-8: von Nietzsche selbst herausgegebene Schriften; Bd. 9-16: Schriften des Nachlasses; Bd. 17-19: Philologica.

Historisch-kritische Gesamtausgabe der Werke und Briefe, C. H. Beck, München 1933 ff. - 2 Friedrich Nietzsche: *Werke in drei Bänden*. Herausgegeben von Karl Schlechta. - 3 München: Hanser, 1954.

Friedrich Nietzsche, *Werke. Kritische Gesamtausgabe*, Walter de Gruyter, Berlin - 4 / New York 1967 ff.

Friedrich Nietzsche, *Sämtliche Werke. Kritische Studienausgabe*. Walter de Gruyter, München / Berlin / New York, 1980

Friedrich Nietzsche. *Jenseits von Gut und Böse. Zur Genealogie der Moral*. - 6 Kritische Studienausgabe, herausgegeben von Giorgio Colli und Mazzino Montinari (Deutscher Taschenbuch Verlag, München / Walter de Gruyter, Berlin. November 1988), SS. 245-412.

Cf. Mazzino Montinari, "La Volonté de puissance" n'existe pas. Paris, Ed. de l'Eclat, 1996. - 7

ولكن لأنها صارت نشرة مرجعية للباحثين في العالم فقد أثبتنا ترقيم صفحاتها في صلب النص في هذه الترجمة العربية حتى تتم الفائدة ويسهل استعمالها.

- لكنّ عمل الترجمة ليس مثل القراءة الحرة أو العادية، فهو يتطلب معرفة مختصة بتاريخ الفلسفة في طبقيته اللتين أحصى دولوز بعض ملاحظهما ذات مرة: طبقة "التاريخ" الرسمي الذي يذهب من أفلاطون إلى هيغل مروراً بديكارت وكانط، ولكن أيضاً طبقة "الضرورة" التي أخذتها الفكرة الفلسفية الحرة من هرقلطس إلى نيتشه مروراً بسبينوزا. ولكن الترجمة تتطلب أيضاً آداب البحث والمقارنة واحتمال المعاني المتعددة والتأويلات المختلفة ومراجعة الفهم باستمرار وتبرير الاختيارات حتى يفلح المترجم في تبين مقاصد المؤلف وروح كتابته وأساليبه وذلك قبل الترجمة القاموسية للألفاظ، هذه التي تتعدد معانيها تحت قلم نيتشه في الفقرة الواحدة والصفحة الواحدة بشكل يدعو إلى الالتباس والحيرة. وكان فالتر كاوفمان صاحب الترجمة الانجليزية، ولكن الألماني الأصل، قد نبّه في تقديم ترجمته إلى أنّه: "ليس كافياً أن نعرف اللغة، بل ينبغي على المرء أن يكتسب إحساساً ما بالمؤلف".¹ وقد أورد هذا المثال تدليلاً على وجهة رأيه: لو أنّ هيدغر هو الذي كتب عبارة من قبيل: "Zur Frage der Verständlichkeit" (وهو عنوان الفقرة 381 من المعرفة المرحّة، ولكن الأمر ينسحب على عنوان كتاب في (zur) جنيالوجيا الأخلاق) لكان علينا أن نقول: "نحو مسألة قابليّة الفهم". ولكن في حالة نيتشه ينبغي أن نقول: "في مسألة قابليّة الفهم". "نحو" هيدغر (الذي حرص دوماً على جعل الفلسفة "على الطريق" أو "في الشعاب" تكسيراً لفكرة "النهاية") و"في" نيتشه (الذي أحبّ دوماً أن يغرس "مبضع" الطبيب في الجرح المناسب وأن يضرب "مطرقة" الحدّاد على العمود المتداعي للسقوط) - "نحو" و"في" هما، على ذلك، حرفان يقابلان لفظاً ألمانيا واحداً هو "zu". وذلك ما جعلنا مثلاً نثبت "في جنيالوجيا الأخلاق" وليس "نحو جنيالوجيا الأخلاق" أو "عناصر في جنيالوجيا الأخلاق" أو "جنيالوجيا الأخلاق" لا غير.

من أجل ذلك حرصنا على الاستفادة من كلّ مكاسب الفهم والتأويل والإيضاح التي حقّقتها بعض الترجمات الفرنسية والانجليزية، وتفادي ما أمكن من أخطائها، معوّلين في ذلك على ثراء اللغة الألمانية التي تقول معاني عديدة بلفظة واحدة في صفحة واحدة، كما حدث لنا مع ألفاظ عديدة مثل die Macht (التي تعني القدرة والافتدار والقوة والسلطة والسلطان والشوكة والنفوذ والحكم والدولة

Walter Kaufmann, "Editor's Introduction", in : *On The Genealogy of Morals. - 1 Ecce Homo*. By Friederich Nietzsche. Vintage Books, New York, 1967, p. 5.

والطاقة والعزة والبطش...) أو das Gute (الشيء الحسن، الجيد، الطيب، الجميل، الشهي، المتقن، المفيد، المناسب، ..) و der Gute (الخير، الخير، الكريم، الصالح، الشريف، الماهر، العزيز، البار، الطاهر، التقى، اللطيف، الطيب...)... وغيرها كثير. ولكن أيضا على مهارات اللغة العربية في منافسة اللغات الغربية في الإنصات إلى نيتشه وأداء المعاني الغوامض والشديدة المراس تحت قلمه الساحر. وذلك علاوة على استعمال مفرط للأقواس أو الأهلة¹ كما للحروف المائلة والألفاظ غير الألمانية.

لكنّ العمل على النصّ الألماني مكّننا من الإبصار بحدود جهود المترجمين الغربيين أنفسهم في تذليل صعوبات تتجاوز كلّ الترجمات لأنها تسكن في اللغة الألمانية ذاتها ومن ورائها في روح نيتشه نفسها وأسلوب كتابته. فقد سجّلنا مثلا في الترجمة الفرنسية التي تمّت عن "النشرة النقدية" والصادرة عن غاليمار (1971)² عديد الألفاظ الصغيرة التي سقطت أو عديد المرات التي يتمّ فيها الاستغناء عن بعض الصيغ الظرفية. وقد نبهنا على بعض تلك الألفاظ الساقطة في هوامش ترجمتنا³. وذلك علاوة على أنّها لا تثبت حرف الابتداء في العنوان الألماني "Zur" ولا تقف عند دلالته، كما أنّها لا تتوقّف على أية فهارس مفيدة. لكنّ الفرنسيين (متأخرين في ذلك عن الانجليز⁴) قد توفّروا بعد ذلك (سنة 2000) على ترجمة جيّدة، مصحوبة بجهاز ترجمي متكامل من مقدمة وهوامش شارحة وفهارس، وهو أمر يقع لأول مرة في التقليد الفرنسي بالنسبة إلى هذا الكتاب، وإن كانت قد تمّت عن الطبعة الأولى التي نشرها نيتشه بنفسه سنة 1887، وليس عن "الطبعة النقدية"⁵.

Cf. Eric Blondel, "Les guillemets de Nietzsche", in : *Nietzsche aujourd'hui*, Paris, – 1 Union Générale d'Édition, 1973, t. 2.

Fr. Nietzsche, *La généalogie de la morale*. Texte et variantes établis par Giorgio – 2 Colli et Mazzino Montinari. Traduit de l'allemand par Isabelle Hildenbrand et Jean Gratién. Paris, Gallimard, 1971.

3 – سوف نشير لها بواسطة العلامة التالية: "غاليمار 1971".

4 – إذ تعود ترجمة فالتر كاوفمان المجّهزة بفهارس جيّدة والتي إليها يدين التقليد الأنغلو سكسوني بمعرفته لنيتشه، إلى سنة 1969.

Fr. Nietzsche, *Eléments pour la généalogie de la morale. Écrit de combat*. Ajouté à – 5 *Par-delà bien et mal*, publié dernièrement, pour le compléter et l'éclairer. Introduction, traduction et notes par Patrick Wolting. Paris, Librairie Générale Française, 2000

ومن جانبنا فقد حرصنا على أن نوّفر لقارئ نيتشه بالعربية مرجعاً يساعده في البحث والتعرّف على فكر نيتشه "الحقيقي"، ذاك الذي عانى طويلاً من التلويث "الأخلاقي" (Vermoralisierung)، حتى نستعمل إحدى عباراته المحبّبة إلى نفسه الثائرة¹. كما عملنا على توفير هوامش شارحة تهدف إلى إضاءة لغة نيتشه ومصطلحه وإيضاح أفكاره الأصيلة على نحو يحول دون أيّ تدجين "ثقافي" أو سوء فهم "عقدي" لها، وعلى ضبط مقدّمة جعلنا لها مقصداً أن تضع مساهمة نيتشه في ميدان فلسفة التأويل في موضعها، حيث تنكشف الحاجة الحيوية إلى تأويل ولكن بلا لاهوت. وإنّ نيتشه هو أمير التأويل الحيوي، "الأمير الخارج عن قانون" كلّ الكهّان الذين يعلمون الناس فنّ "الامتناع عن التأويل" كما تقول الفقرة 24 من المقالة الثالثة من الكتاب. - وبالإضافة إلى فهارس تسهّل التعرّف على مصطلحات نيتشه وأسماء الأعلام والشعوب والبلدان والمعتقدات التي فكّر معها أو ضدّها وعلى "عناوين كتبه" التي ذكّر بها أو اشترط قراءتها لفهم مقصوده، - نحن أثّرنا ترك الألفاظ الأجنبية الكثيرة جدّاً (اليونانية واللاتينية والفرنسية والإيطالية والانجليزية والإسبانية) التي أوردها نيتشه في نصّه الألماني في لغتها الأصلية، ولكن مع توفير ترجمة متواترة لها بالعربية، وذلك لسببين: أولهما أن نحافظ على وتيرة النص وزخمه وتوتّره الخاص، وألاّ نثقله بسلاسة أو دعة خطائية ليست له؛ وثانيهما بخاصة أن نحفظ لـ نيتشه رغبته "السياسية" العميقة في أن يكون "أوروبياً جيّداً"²، ومن ثمّ أن يكتب بكلّ لغات "أوروبا"، ليس فقط، والحق يقال، أوروبا الجغرافية، بل أوروبا الكوكبية التي بدأت، حسب نيتشه، تتشكّل في كل مكان تحت يافطة "الإنسان الحديث". قال: "أنا أتكلّم، ... عن كلّ أنواع "أوروبا" التي أخذت تظهر على الأرض"³.

تونس، أفريل 2010

فتحي المسكيني

1 - انظر: المقالة II، 7؛ والمقالة III، 17، 19، 20.

2 - قارن: المقالة III، 27.

3 - المقالة III، 14.

تصدير

1.

نحن مجهولون بالنسبة إلى أنفسنا، نحن العارفين، نحن أنفسنا بالنسبة إلى أنفسنا؛ وإن لهذا سببا وجيها. نحن لم نبحث أبدا عن أنفسنا، - فأنتى لنا أن نجد أنفسنا يوما ما¹؟ لقد صدق من قال لنا: "حيثما يوجد كنزك، ههنا أيضا يوجد قلبك"²؛ إن كنزنا إنما يوجد حيثما تكون خلايا نحل معرفتنا. لهذا نحن دوّما أثناء الطريق، ولدنا حيوانات مجتّحة، جماعة لعسل الروح، لا نهتمّ حقاً من القلب إلا بأمر واحد - أن "نحمل إلى البيت"³ شيئا ما. أمّا فيما يتعلّق بالحياة، بـ "ما عشناه من تجارب" مزعومة، - فمن ممّا يتوفّر لذلك حتى على الجّد الكافي؟ أو الوقت الكافي؟ في هكذا قضايا، وهو ما أخشاه، نحن لم نكن أبدا على وجه الدقّة "في صلب القضية"⁴؛ لم تكن قلوبنا حينئذ هناك - ولا حتى آذاننا! بل مثل من ألهته الآلهة وغرق في قاع نفسه، ومن دقّت الساعة في أذنيه دقا أزيزا، اثنتي عشرة دقّة، بأنّ النهار قد انتصف، واستيقظ فجأة وسأل نفسه: "ما الذي دقّ على وجه التحديد؟"، كذا نحن أيضا نحكّ آذاننا أحيانا بعد الأوان ونتساءل، وقد أخذت ممّا الدهشة والحيرة كلّ مأخذ: "ما الذي عشناه على وجه التحديد؟" بل أكثر من ذلك "من نكون نحن على وجه التحديد؟" ونراجع، بعد الأوان،

1 - علينا أن نقرأ ذلك في صدى للهاتف السقراطي: "اعرف نفسك بنفسك".

2 - العهد الجديد، إنجيل متى 6، 21.

3 - heimbringen

4 - bei der Sache

5 - قارن: المقالة II، 24. وكذلك: هذا هو الإنسان، فصل: الفجر، § 2.

6 - betreten. وهي لفظة ساقطة في ترجمة: غاليلار 1971: 7.

كما قيل، عدّ كلّ دقائق الساعة الاثنتي عشرة التي ترتجّ فيما عشناه من تجربة، في حياتنا، وكياننا - آه! وفوق ذلك نحن نخطئ في العدّ ... بل نحن سننظّل غرباء عن أنفسنا ضرورةً، نحن لا نفهم أنفسنا، نحن ينبغي أن نبذل أنفسنا [248]، ولقد حقّ علينا القول منذ أبد الأبدين: "ليس أبعد عن الإنسان من نفسه"، - فإزاء أنفسنا نحن لسنا بـ "عارفين"...

2.

- إن أفكاري³ عن مصدر⁴ أحكامنا المسبقة في الأخلاق - إذ بها يتعلّق الأمر في هذا المؤلف السجالي - إنّما أخذت تعبيرتها الأولى والضمنية⁵ والمؤقتة ضمن ذاك المجموع من الشذرات، الذي يحمل من العناوين "إنساني، مفرط في إنسانيته. كتاب للعقول الحرة"، والذي كانت كتابته قد شرع فيها في سورانت⁶، أثناء شتاء أتاح لي أن أحطّ الرحال لبعض الوقت، كما يحطّ الرحال المسافر وأن ألقى ببصري في البلاد الواسعة والخطرة التي جال عقلي في أنحائها إلى حدّ الآن. حدث ذلك في شتاء 1876-1877؛ أمّا الأفكار ذاتها فهي أقدم من ذلك. لقد كانت، من حيث رأس الأمر، هي بعدّ عين الأفكار التي استأنفتها مرة أخرى في المقالات التي بين أيدينا: - نحن نأمل أن يكون الزمن الطويل الذي يفصل بينهما قد أحسن صنعاً، أن تكون قد صارت أعمق وأوضح وأصلب وأتمّ! ولكن أنّي لازلت اليوم أتمسّك بها، أمّا هي ذاتها قد تماسكت في الأثناء

1 - قارن: المعرفة المرحلة، § 335.

2 - قارن: المعرفة المرحلة، § 355؛ ما وراء الخير والشر، §§ 16 و 17.

3 - Gedanken

4 - ربما يجدر بنا الانتباه إلى الفرق الذي يقع غالباً تحت قلم نيتشه بين المعنى الجينالوجي لمفهوم "المصدر" (Herkunft) والمعنى الميتافيزيقي لمصطلح "الأصل" (Ursprung).

5 - sparsam

6 - Sorrent. مكان على الساحل قرب نابلي قضى فيه نيتشه شتاء 1876-1877 في منزل مالويدا فون مايزنبورغ طلباً للشفاء ممّا ألمّ به من مرض جسدي وخاصة نفسي بعد أن خاب أمله في فنّ فاغنر الذي آمن به منذ 1869، حيث كان يعتقد أنّه يمكن إصلاح الثقافة الألمانية من خلال مهرجان بايروت (Bayreuth) السنوي الذي يُفترض أنّه سيعيد إحياء الفن التراجيدي اليوناني. في سنة 1876 أخذ نيتشه عطلة مطوّلة ورحل باحثاً عن صحة أخرى. وهو ما قاده إلى كتابة أول أفكاره الأساسية عن الأخلاق في الفصل 2 من كتاب إنساني، مفرط في إنسانيته تحت عنوان "من أجل تاريخ للمشاعر الأخلاقية".

في جنياالوجيا الأخلاق

على نحو أمتن أكثر فأكثر، أي نعم قد رَبَّتْ وتضامَّت في بعضها، ذلكم ما يدعّم في نفسي الثقةَ الجذلي بأنّها منذ البداية ربّما لم تكن نشأت مجزوءة ولا عن الهوى ولا خبط عشواء، بل عن جذر واحد مشترك¹، عن إرادة معرفة أساسية²، أمرّة ناهية في العمق، أبدا تنطق عن بيان يزداد بيانا، أبدا تطلب الشيء المبين. كذا فحسب يليق بالفيلسوف أن يفعل. ليس من حقّ أحدنا أن يكون جزئيا³ في أيّ شيء: لا يجوز لنا، لا أن نخطئ جزئيا ولا أن نصيب الحقيقة جزئيا. بل قل بعين الضرورة التي تجعل الشجرة تحمل الثمرة، كذا تنبت فينا أفكارنا وقيمنا، نَعْمَنا ولَاؤُنَا، مَتَانَا وَمَا إِذَانَا⁴ - من رحم واحد وموصولة [249] جميعا الواحدة بالأخرى، شواهد على إرادة واحدة وصحّة واحدة وتربة واحدة وشمس واحدة. - تُرى هل مذاق ثمارنا هذه طيّب لكم؟ - ولكن ما شأن الشجر⁵ بكلّ ذلك! ما شأننا نحن بذلك، نحن الفلاسفة! ...

3.

بفضل ربية خاصة بي، أقرّ بها كَرَهَا لا طوعاً - إذ هي تتعلّق بالأخلاق، بكلّ ما احتفني به على الأرض إلى حدّ الآن بوصفه أخلاقاً، - ربية، دبّت في حياتي على نحو مبكّر، وبشكل طارئ، ولا مردّ له، في تناقض مع البيئة والسنّ والقدوة والمنشأ، بحيث أكاد أملك الحقّ في أن أسميها [مبدئي] "القبلي"⁶، - كان لا بدّ أن يتوقّف فضولي وظنّي في الوقت المناسب عند هذا السؤال: أيّ أصل⁷ هو في الحقيقة أصل الخير والشرّ لدينا؟ في الواقع، إنّ مشكل أصل الشرّ قد شغلني وأنا في الثالثة عشرة صبيّاً؛ وفي سنّ حيث يكون "القلب نصفاً للربّ ونصفاً للألعاب

1 - ضيغة كانطية من إحدى صفحات نقد العقل المحض (المقدمة، VII).

Grundwille - 2

einzeln - 3

unsre Ja's und Nein's und Wenns' und Ob's - 4

5 - قد نجد في ذلك بعض التعريض بـ "شجرة" ديكرت وضرورة الذهاب في الأعماق إلى ما هو أبعد من "جذور" الميتافيزيقا.

mein "A priori" - 6

7 - يستعمل نيتشه (الصغير) هنا مصطلح "Ursprung" على عادة الميتافيزيقيين، من قبيل كانط (قارن: تصدير تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق).

الطفولة¹، نذرت له طفلاً لعبتي الأدبية الأولى، تمريني الأول في الكتابة الفلسفية، - أما عن "حل" المشكل الذي ارتأيته عندئذ، فقد حفظت هيئة الرب، كما يجب، وجعلته للشر بمثابة الأب. هل هذا بالتحديد ما أراده [مبدئي] القبلي مني؟ هذا "القبلي" الجديد، غير الأخلاقي²، أو على الأقل اللاأخلاقي³، و"الأمر القطعي" الناطق عبره، الذي هو، وأسفاه! مضاد لكانط كأبلغ ما يكون، وجد ملغز، والذي إليه منذئذ صرفت سمعي دوماً أكثر فأكثر، وليس سمعي فحسب؟... ولحسن الحظ فقد تعلمت منذ وقت مبكر أن أميز الحكم المسبق اللاهوتي عن الحكم المسبق الأخلاقي ولم أعد أبحث عن أصل الشر وراء العالم. وإن تربية تاريخية وفيلولوجية، متى أضيف إليها حس فطري ذواق في المسائل النفسية بعامة، قد حوّلت مشكلي سريعاً إلى هذا المشكل الآخر: تحت أية ظروف اخترع [250] الإنسان أحكام القيمة هذه من خير وشر؟ وأية قيمة هي لها بذاتها؟ هل أعاققت النمو الإنساني إلى حد الآن أم يترته؟ هل هي أمانة على فاقة وعلى تفكير وعلى انحطاط الحياة؟ أم، على العكس من ذلك، أنها توحى بالامتلاء والقوة وإرادة الحياة، بشجاعتها وتفاؤلها ومستقبلها؟ - عن كل ذلك وجدت عندي أجوبة عدّة وخاطرت بعدّة أجوبة، ميّزت بين العصور والشعوب ومراتب الأفراد، وخصّصت المشكل الذي يهمني، ومن الأجوبة خرجت أسئلة جديدة، وأبحاث وفروض واحتمالات: حتى صار لدي في النهاية بلاد خاصة، وأرض لي، عالم صامت، متنام، مزدهر، حداثق سرّية بوجه ما، لم تخطر على قلب بشر... آه كم نحن سعداء، نحن العارفون، شريطة أن نعرف كيف نصمت كفاية لوقت طويل! ...

4.

إنّ أوّل دافع على التصريح بشيء عن فرضياتي حول أصل الأخلاق قد أتانني من كُتَيْب واضح، نزيه ورزين بل له رزانة الشيوخ، حيث اعترضني على نحو جليّ لأول مرة نوعٌ مقلوب ومنحرف من الفرضيات الجنيالوجية، هو نوع انجليزي بأتم معنى الكلمة، وجذبني إليه - بقوة الجاذبية تلك التي تنطوي على كل

1 - شاهد مأخوذ من: غوته، فاوست، الآيات 3781-3782.

unmoralisch - 2

immoralistisch - 3

4 - قارن: كانط، نقد العقل العملي، القسم 1، "تحليلية المبادئ".

5 - deutlich. لفظة ساقطة في ترجمة: غاليلار 1971: 11.

ما هو مضادّ وكلّ ما هو معاكس¹. كان عنوان الكُتيب هو "أصل المشاعر الأخلاقية"؛ وكان مؤلّفه هو د. بول راي²؛ وسنة ظهوره 1877. ربّما لم أقرأ أبدا شيئا بلغ منّي الأمرُ أن كنت أقول له في نفسي "لا"³ عند كلّ جملة وكلّ نتيجة، كما وقع لي مع هذا الكتاب: وعلى ذلك دون استياء أو نفاد صبر. وفي العمل المشار إليه قبل⁴، والذي كنت أشتغل عليه عندئذ، اعتمدت بمناسبة وغير مناسبة على أطروحات هذا الكتاب، وليس ذلك من أجل أن أدحضها - ماذا أصنع بالدحوضات؟! - بل، كما [251] يليق بعقل بناء، كي أضع مكان غير المحتمل شيئا أكثر احتمالا، وعند الاقتضاء خطأ مكان آخر. إنّه حينذاك، كما قلت، إنّما كشفت لأول مرة عن الفرضيات المتعلقة بالمصدر⁵، التي خصّصت لها هذه المقالات، وذلك بشيء من عدم اللباقة، أنا آخر من يريد إخفاءها عن نفسه؛ لم أكن حرا بعد، ولم أكن أتوفّر على لغة خاصة لهذه الأشياء الخاصة، بالإضافة إلى أنحاء عدّة من الانتكاس والتقلّب. وتفصيلاً، لنقارن ما أقوله في ص 51⁷ من إنسانيّ، مفرط في إنسانيته، حول ما قبل التاريخ⁸ المضاعف للخير والشرّ (نعني صدورهما من دائرة النبلاء أو من دائرة العبيد)؛ كذلك ص 119⁹ حول قيمة أخلاق التنسّك ومصدرها؛ وكذلك ص 78، 82¹⁰، والمجلد الثاني، ص 35¹¹، عن "أخلاق العادات والتقاليد"¹²، هذا النوع من الأخلاق الذي هو أقدم وأرسخ أصلا من جميع الأنواع الأخرى، الذي يبعد toto coelo¹³ عن نمط التقييم القائم

1 - antipodisch. قارن: ما وراء الخبر والشر، § 48.

2 - Dr. Paul Rée. إنّ نيتشه يخفي هنا العلاقة الحميمة التي كانت له عندئذ مع هذا المؤلف.

3 - zu dem dermaassen... bei mir Nein gesagt hätte

4 - المقصود هو: إنساني، مفرط في إنسانيته.

5 - قارن: أقول الأصنام، فصل "ما يفوت الألمان"، § 6؛ هذا هو الإنسان، "لم أنا قدر؟"، § 2.

6 - Herkunfts-Hypothesen

7 - يحيل نيتشه هنا على صفحات الطبعة التي كانت بين يديه. إنساني، مفرط في إنسانيته I، § 45.

8 - Vorgeschichte

9 - إنساني، مفرط في إنسانيته I، § 136.

10 - نفسه، I §§ 96 و 99.

11 - نفسه، II § 89.

12 - "Sittlichkeit der Sitte". عن "أخلاق التقاليد والأعراف" أي تكون ظاهرة الخضوع للعادات وتقديسها وطاعتها في التاريخ السحيق للإنسانية، قارن: الفجر، §§ 9 و 19؛ المعرفة المرحلة، § 296.

13 - أي "بعد الساء" (عن الأرض).

على إيثار الغير (الذي يرى فيه الدكتور راي، مثل جميع جنيالوجيي الأخلاق الانجليز، نمط التقييم الأخلاقي في ذاته)؛ كذلك ص 74¹، ومن المسافرين ص 29²، ومن الفجر ص 99³، حول مصدر العدالة بوصفها تسوية بين قوى متكافئة إلى حد ما (التوازن بوصفه شرطاً مسبقاً لكل العقود، وبالتالي لكل قانون⁴)؛ وكذلك عن مصدر العقاب في المسافرين، ص 25، 34⁵، حيث لم تكن نية الإرهاب⁶ لا جوهرية ولا أصلية (كما يظن الدكتور راي: - بل إنها على الأرجح إنما تُضاف إليه فحسب، في ظروف معينة، ودائماً بوصفها شيئاً عارضاً، بوصفها ملحقاً).

5.

في حقيقة الأمر، إن ما كان يشغل قلبي يومئذ هو شيء أهم بكثير من أية فرضية⁷، سواء كانت لي أو لغيري، حول أصل الأخلاق (أو، على نحو أدق: ما كانت هذه الأخيرة إلا ابتغاء هدف، وهي واحدة من وسائل شتى يمكن أن تفضي إليه). كان الأمر يتعلق عندي بقيمة الأخلاق - وفي هذا الشأن لم يكن عليّ أن أتناظر إلا مع معلّمي الكبير شوبنهاور⁸ [252]، الذي إليه، كما إلى معاصر لنا، إنما كان يتوجه هذا الكتاب، والحساس والتناقض الخفي لهذا الكتاب (- إذ كان هذا الكتاب⁹ أيضاً "نصاً سجالياً"). كان الأمر يتعلق على وجه الخصوص بقيمة الشيء "اللائقاني"¹⁰ وغرائز الشفقة¹¹ وإنكار الذات والتضحية بالنفس، تلك الغرائز التي تعود شوبنهاور من دهره أن يموّها ذهباً

1 - II، § 92.

2 - II، § 26 "المسافر وظله".

3 - الفجر، § 112.

4 - Recht

5 - إنساني، مفرد في إنسانيته II، §§ 22، 33.

6 - der terroristische Zweck

7 - Hypothesenwesen

8 - قارن: مقالات غير موافقة للعصر، المقالة 3، "شوبنهاور مربياً".

9 - المقصود هو كتاب إنساني، مفرد في إنسانيته الذي ظهر سنة 1878.

10 - das "Unegoistische"

11 - عن مفهوم الشفقة، قارن: الفجر، II، §§ 131-148.

وأن يؤلّهمها ويتعالى بها إلى العالم الآخر¹، إلى حدّ أنّه لم يبق لديه في آخر المطاف غير "القيم في ذاتها"، والتي على أساسها قال لا للحياة، ولنفسه هو ذاته أيضا. بيد أنّه ضدّ هذه الغرائز تحديدا إنّما تكلمت في نفسي ظنّة تضرب الأسس أكثر فأكثر، ريبة² دفينه هي أعمق فأعمق أبدا! ههنا تحديدا أنا رأيت الخطر الأكبر على الإنسانية، أجلّ ما فيها من إغراء وتغريب- ولكن نحو ماذا؟ نحو العدم؟ ههنا بالتحديد أنا رأيت بداية النهاية، التوقّف عن المسير، التعب الذي يحمل على النظر إلى الوراء، الإرادة المنقلبة ضدّ الحياة، المرض الأخير الذي أخذ ينبئ عن نفسه على نحو رقيق وكئيب؛ فهمت أخلاق الشفقة³ التي ما فتئت تكتسح ما حولها أكثر فأكثر، وتعترى حتى الفلاسفة وتجعلهم مرضى، بوصفها العارض الأشدّ إقلاقا⁴ في ثقافتنا الأوروبية التي صارت مثيرة للقلق، بوصفها منقلبا نحو بوزيّة جديدة؟ نحو بوزيّة أوروبية؟ نحو - العدميّة⁵؟ ... هذا التفضيل للشفقة والإعلاء من شأنها⁶ لدى الفلاسفة المحدثين هو والحق يُقال شيء جديد؛ إذ على عدم قيمة⁷ الشفقة تحديدا إنّما كان الفلاسفة متفقين إلى حدّ الآن. وحسبي أن أسمي أفلاطون⁸ وسبينوزا ولا روشفوكو⁹ وكانط، عقول أربعة مختلفة كأشدّ ما يكون، لكنّها متحدة في شيء واحد؛ احتقار¹⁰ الشفقة.-

verjenseitigt - 1

eine Skepsis - 2

die Mitleids-Moral - 3

das Unheimlichste - 4

5 - ظهر هذا المفهوم لدى نيتشه لأوّل مرة في كتاب المعرفة المرحّة، §§ 346، 347. لكنّ جنياولوجيا الأخلاق هي التي تقدّم أوّل تحليل نسقي له.

Überschätzung - 6

der Unwerth - 7

8 - قارن: أفلاطون، الجمهورية، X، 604 ب (الشفقة كعاطفة أنثوية وطفولية)؛ سبينوزا، الإتيقا، الكتاب الثالث، حاشية القضية 22 (الشفقة ك"انفعال حزين")؛ روشفوكو، كتاب الأمثال، 264 (رفض الشفقة باسم قوة النفس)؛ كانط، نقد العقل العملي (الشفقة منقضة للكرامة الإنسانية).

La Rochefoucauld - 9

Geringschätzung - 10. را: المقالة I، 10.

6.

إنّ المشكل المتعلّق بقيمة الشفقة وأخلاق الشفقة (-) وأنا عدوّ للتخنّث العاطفي¹ المشين في عصرنا الحديث) إنّما يظهر لأوّل وهلة وكأنّه لا يعدو أن يكون شيئاً [253] معزولاً، علامة استفهام بذاتها؛ لكنّ من يتوقّف ههنا مرّة، من يتعلّم كيف يسأل ههنا، لابدّ أن يحدث له ما جرى معي: - يفتح أمامه منظرٌ جديد وهائل، يأخذ بنفسه إمكانيّة² كأنّه دوار، وتتفجّر فيه كلّ أنواع الارتباب والظنّة والتوجّس، ويزعزع الإيمان بالأخلاق، بكلّ أخلاق، - وأخيراً يأخذ مطلب جديد في إسماع صوته. ولنفسح عن هذا المطلب الجديد: نحن في حاجة ماسّة إلى نقد للقيم الأخلاقية، علينا أولاً أن نضع قيمة هذه القيم هي ذاتها مرة واحدة موضع سؤال³ - وهذا من شأنه أن يستوجب معرفة بالشروط والظروف التي تولدت عنها، والتي في كنفها تطوّرت وتحوّرت (الأخلاق بوصفها استتباعاً، بوصفها عارضاً، بوصفها قناعاً، بوصفها نفاقاً، بوصفها مرضاً، بوصفها سوء فهم؛ ولكن أيضاً الأخلاق بما هي سبب، بما هي وسيلة علاج، بما هي منبّه، بما هي عائق، بما هي سمّ)، ربّ معرفة لا هي وُجدت إلى حدّ الآن، ولا حتى كانت شيئاً مرغوباً فيه. فالمرء يأخذ قيمة هذه "القيم" بوصفها شيئاً معطى، بوصفها واقعة، بوصفها تقع ما وراء أيّة مساءلة⁴؛ لم يشكّ المرء ولم يتردّد أبداً، إلى حدّ الآن، في تعيين "الخير" بوصفه أرفع قيمة من "الشرّ"، أرفع قيمة في معنى الرقيّ والمنفعة والازدهار بالنظر إلى الإنسان بعامة (بما في ذلك مستقبل الإنسان). كيف؟ إذا كان العكس هو الصحيح⁵؟ كيف؟ إذا كان "الخير" ينطوي على عارض تخلف، كما على خطر ما، تغرير ما، سمّ ما، مخدّر ما، من خلاله يعيش الحاضر بوجه ما على حساب المستقبل؟ ربّما، برفاهية أكثر، وبأخطار أقلّ، ولكن أيضاً بأسلوب أصغر شأنًا، وأخطأ؟... بحيث أنّ الأخلاق تحديداً ستكون هي المذبذبة، إذا كان أرفع اقتدار وبهاء للنمط إنسان⁶ لم يُبلّغ إليه أبداً، رغم أنّه ممكن في ذاته؟ بحيث أنّ الأخلاق تحديداً ستكون هي خطر كلّ الأخطار؟...

Gefühlsverweichlichung - 1

2 - eine Möglichkeit. لفظة ساقطة في ترجمة: غالبار 1971: 14.

3 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 3 (عن معنى "التقويم").

In-Frage-Stellung - 4

5 - قارن: المعرفة المرحّة، § 345؛ ما وراء الخير والشر، § 186.

der Typus Mensch - 6

7.

يكفي أنه منذ أن انكشف لي هذا المنظر إنما أصبح لدي أسباب لأن أتطلع من حولي إلى رفاق عالمين وجريئين ومثابرين (وأنا مازلت أفعل ذلك اليوم). إذ يتعلّق الأمر بأن نطوف في بلاد الأخلاق، الشاسعة والنائية والحيثية جدًا - الأخلاق التي وجدت فعلاً، وعاشت فعلاً - على متن أسئلة جديدة تماماً وكأنها بأعين جديدة؛ ألا يعني ذلك تقريباً شيئاً مثل أن نكتشف هذه البلاد لأول مرة؟... وإذا كنت قد فكّرت عندئذ، من بين آخرين، في الدكتور رأيي، الذي سلف ذكره، فإنّ ذلك قد حدث من أجل أنني لا أشكّ أبداً في أنه قد كان مدفوعاً بطبيعة أسئلته ذاتها إلى منهجية أكثر سداداً حتى يحصل على أجوبة. هل كذب ظني في هذا الأمر؟ كانت رغبتني، على كلّ حال، أن أُمْنِحَ عيناً بهذا القدر من الحدة والنزاهة، وجهة أفضل، أعني الوجهة التي تقود فعلاً إلى كتابة تاريخ الأخلاق¹، وأن أحذّره، حين لا يزال الوقت مناسباً، من عالم الفرضيات الانجليزية هذا المعلق في الفضاء الأزرق². وغنيّ عن البيان أنه ثمّة لونٌ ينبغي أن يكون أهمّ مائة مرة عند جينالوجيي الأخلاق من الأزرق تحديداً: ألا وهو الرماديّ، نعني، ما يستند إلى وثائق، ما يمكن إثباته فعلاً، ما وجد فعلاً، باختصار، النصّ الهيروغليفي³ الطويل جداً، الذي يصعب فكّه، لماضي الأخلاق الإنسانية! ذلك أمر كان مجهولاً لدى الدكتور؛ لكنّه قد قرأ داروين: - وهكذا على مدى فرضياته، وبطريقة هي على الأقلّ مسّلية، يتصافح وحش⁴ داروين ومخنث⁵ الأخلاق المتواضع الشديد حادثة، "الذي لم يعد قادراً على العض"، تصافحاً مهذباً، وعلى وجه الأخير تعبير عن شيء من الخمول الطيّب والظريف، ممزوج حتى ببذرة من التشاؤم ومن الكلال: كأنّ الأمر لا يستحقّ

Historie der Moral - 1

2 - in's Blaue. في هذه الجملة يستثمر نيتشه المعنى المجازي للعبارة، أي معنى الافتقار إلى أساس أو وجهة؛ أمّا في الجملة الموالية فهو سوف ينشط المعنى الحرفي، أي معنى "الزرقة". ولذلك علينا على أنفسنا أن نستحضر المعنيين.

3 - die Hieroglyphenschrift

4 - die Bestie

5 - der Zärtling

أصلاً أن تؤخذ هذه الأشياء - مشاكل الأخلاق - مأخذ الجد إلى هذا الحد. أمّا أنا فيظهر لي، على العكس من ذلك، أنه ليس ثمة شيء يستحق أن يؤخذ مأخذ الجد أكثر منها؛ ويدخل في هذا الاستحقاق مثلاً أن المرء ربما يحصل يوماً ما على الإذن بأن يأخذها [255] بشيء من المرح. إن المرح¹ أو، حتى أقول ذلك في لغتي، إن المعرفة المرحية - إنها هي مكافأة: مكافأة على جدية طويلة الأمد، بأسلة، مثابرة وخبيثة تحت الأرض²، هي بلا ريب ليست شأناً في متناول أيّ كان. بيد أنه في اليوم الذي نقول فيه من مجامع قلوبنا: "هيا! إن أخلاقنا القديمة تنتمي هي أيضاً إلى الكوميديا!"³، سنكون اكتشفنا للدراما الديونيزوسية عن "قدر النفس"⁴ حبكة جديدة وإمكانية جديدة -: وسيكون قد وجد سبيلاً للاستفادة منها، فعلى هذا يحقّ للمرء أن يراهن، هو، الخالق الكوميدي الكبير، القديم، الأبدي، لكياننا ! ...

8.

- إذا كان هذا المؤلف بالنسبة إلى أيّ كان غير مفهوم أو سيّء الوقع في الأذن⁵، فإنّ الذنب، حسبما يبدو، لا يقع عليّ بالضرورة. ذلك واضح بما فيه الكفاية، متى افترضنا، وهو ما افترضه، أن المرء قد قرأ قبل كتاباتي السابقة، ولم يدخر في ذلك من نفسه جهداً؛ إذ أنّ هذه ليست في الواقع ممّا يكون الولوج إليه يسيراً. ولنضرب مثلاً بكتابي "زرادشت"، فأنا لا أقبل أن يُعدّ أحد عارفاً به، من لم يكن، في يوم من الأيام، عند كلّ واحدة من كلماته، جريحاً في الأعماق، تارة، ومغتبطاً في الأعماق، تارة أخرى: عندئذ فحسب يحقّ له أن يتمتع بامتياز المشاركة المهيبة في العنصر الهلكيوني⁶ الذي خرج هذا الأثر من رحمه،

Heiterkeit - 1

unterirdisch - 2

3 - هذه على الأغلب إشارة إلى كتاب زرادشت.

4 - قد وجد المؤرخون هنا تعريضاً خفياً بعنوان كتاب نشره أحد أتباع داروين سنة 1884 تحت عنوان: قدر الإنسان في ضوء أصل الإنسان.

5 - قد سجّل شرّاح نيتشه عادته في ختم العديد من مؤلفاته أو من أجزاء مؤلفاته بإيضاحات خاصة تتعلق باللغة ومصاعب الفهم. قارن: المعرفة المرحية، §§ 371 و 381؛ ما وراء الخير والشر، § 296؛ الفجر، تصدير 1886.

6 - halkyonisch. نسبة إلى "هلكيون" (وهو لفظ من أصل يوناني) - اسم طائر بحري خرافي يكون اللقاء معه إعلاناً عن الهدوء والسلام.

في وضوحه الشمس، وتنائيه، وسعته، ويقينه. وفي حالات أخرى، فإنَّ شكل الشذرات يشكّل صعوبة ما: تلك التي تكمن في أنَّ المرء اليوم لا يأخذ هذا الشكل على محمل الجدّ كفايةً. إنّ شذرةً ما، سُبكت وصُبّت كأحسن ما يكون، لا يكفي أن تُقرأ حتى "تُفكّ طلاسمها"¹؛ إذ ربّما عندئذ فقط يجب أن يبدأ تأويلها²، وهو ما يتطلّب فنّاً في التأويل. وأنا قد قدّمت في المقالة الثالثة من هذا الكتاب عيّنة [256] عمّا أسمّيه في مثل هذه الحالة "تأويلاً": - لقد جعلت على رأس هذه المقالة شذرةً، هي ذاتها شرحٌ لها³. والحقّ أنّه من أجل أن نتمرّن على القراءة بوصفها فنّاً، إنّما ثمة قبلُ حاجة ماسّة إلى شيء، هو اليوم قد وقع إغفاله تماماً - ولذلك مازال هناك وقت حتى تصبح كتاباتي "قابلة للقراءة" -، شيء إزاءه ينبغي على المرء أن يكون أشبه بالبقر وليس، على كلّ حال، ب"الإنسان الحديث": أعني الاجترار⁴...

سيل-ماريا، أوبرنغادين

في جويلية 1887

1 - "entziffert"

2 - Auslegung

3 - المقصود هو الفقرة الأولى من المقالة الثالثة، وليس "الشاهد" المقتطف من زرادشت والمثبت كمنهج لها.

4 - das Wiederkäuen

المقالة الأولى

"الخَيْرُ والشرير"، "الكريم واللييم"

1.

- هؤلاء النفسانيون الانجليز، الذين ينبغي علينا أيضا أن نشكرهم على المحاولات الوحيدة إلى حدّ الآن، من أجل الظفر بشيء عن تاريخ نشأة الأخلاق،- إنما يطرحون علينا هم أنفسهم لغزا ليس بصغير؛ بل، من حيث هم لغز متجسّد، إنما يملكون لهذا السبب تحديدا، وأنا أعترف بذلك، فضلا جوهريا على كتبهم -إنهم هم أنفسهم مثيرون للاهتمام! هؤلاء النفسانيون الانجليز- ماذا يريدون في واقع الأمر؟ إنك لتجدتهم دوما، طوعا أو كرها، معتكفين على العمل ذاته، تعني على دفع الـ *partie honteuse*² من عالمنا الداخلي إلى الصدارة والبحث عمّا هو بالحقيقة فاعل وموجّه³، وما هو حاسم لتطوره، ههنا تحديدا حيث الكبرياء الفكرية للإنسان أزهد ما تكون رغبة في العثور عليه (على سبيل المثال في الـ *vis inertiae*⁴ التي في العادة أو في الغفلة-و-النسيان⁵ أو في اختلاط الأفكار وإوالتها⁶ بشكل أعمى وبمحض الصدفة أو في أي شيء انفعاليّ بحت، آليّ، من جنس

1 - Entstehungsgeschichte. - رهان نيتشه هو التالي: من المهم أن "نؤرّخ" للقيم حتى نعرفها، فكّن ذلك على أهميته هو أمر منقوص في أساسه، لأنّ المسألة ينبغي أن تضع قيمة القيم نفسها موضع سؤال. قارن: المعرفة المرحّة، § 345؛ ما وراء الخير والشر، § 186.

2 - بالفرنسية في النص الألماني: "الجزء المخجل" أو "العورة".

3 - das Leitende

4 - باللاتينية في النص: "قوة العطالة".

5 - Vergesslichkeit

6 - Mechanik

الفعل المنعكس، جزئي وأحق في أساسه¹ - وعلى الحقيقة ما الذي يدفع هؤلاء النفسانيين دائماً وأبداً نحو هذه الوجهة تحديد؟ هل هي غريزة سرية، صفراء، لئيمة، ربّما لا يعترف بها أحد أمام نفسه، غريزة تصغير الإنسان؟ أم شيء مثل ظنة المتشائمين، أو ريبة المثاليين الخائين، المتجهّمين، وقد امتلأت قلوبهم سماً وحسداً؟ أم قليل من العدااء والحقد الدفين إزاء المسيحية [258] (وأفلاطون²)، والذي هو على الأرجح لم يبلغ حتى إلى عتبة الوعي؟ أو حتى ذوق ماجن مستلذ للغرائب، للمفارقات الأليمة، لما في الكيان من إشكال وعيب؟ أو في النهاية - شيء من كل ذلك، قليل من الخبث³، قليل من التجهّم، قليل من معاداة المسيحية، قليل من الإثارة وحاجة ما إلى الفلفل؟ ... بيد أنه قيل لي إنهم مجرد ضفادع هرمة، باردة ومملّة، تزحف وتقفز فيما حول الإنسان، وفي داخل الإنسان، كما لو كانت في مجالها الخاص، أعني في مستنقع. أنا أسمع ذلك وفي نفسي منه شيء تعافه، بل أكثر من ذلك، أنا لا أصدّق ذلك؛ وإذا كان يحقّ للمرء أن يتمنّى، حيث لا يمكنه أن يعرف، فأنا أتمنّى من القلب، أن يكون الأمر معهم بعين الضدّ، - أن يكون هؤلاء الباحثون، الذين ينقّبون عن النفس بالمجهر، بالحقيقة حيوانات باسلة، سمّحة وأبيّة، تعرف كيف تمسك زمام القلب كما زمام الألم، وتادّبت على أن تضحّي بكلّ رغائبها من أجل الحقيقة، من أجل كلّ حقيقة، حتى تلك الحقيقة الساذجة، المرة، الكريهة، التي تنفر منها النفس، اللاّمسيحية، اللاأخلاقية... إذ ثمة حقائق من هذا النوع.

2.

كلّ الاحترام إذن للأرواح الخيرة التي ترعى على الأرجح مؤرّخي الأخلاق هؤلاء! بيد أنه من اليقين، وأأسفاه، أن الروح التاريخية ذاتها تعوزهم، أن كلّ الأرواح الخيرة للتاريخ هي بالتحديد قد تحلّت عنهم في محتهم! فهم يفكّرون

1 - عن "حماسة الروح" قارن: ما وراء الخير والشر، §§ 252 و 253.

2 - grün. بالمعنى الحرفي "أخضر"، لكنّ نيتشه يستعمل اللفظة في معنى مجازي للدلالة على "الغيرة" أو "الحسد".

3 - عن "المسيحية بوصفها أفلاطونية" "الشعب"، قارن: ما وراء الخير والشر، التصدير.

جميعا، كما تعودّ الفلاسفة¹ من دهرهم، بطريقة لا تاريخية² في جوهرها؛ ذلك أمر لا ريب فيه³. إذ أنّ إسفاف جنياالوجيا الأخلاق التي عملوها إنّما يسطع في وضوح النهار منذ الوهلة الأولى، ما إن يتعلق الأمر بالتحري عن المصدر الذي تأتي منه تصوّراتنا أو حكمنا على شيء ما بأنّه "خير". "في الأصل -كذا هم يفتون- كان المرء يثني على الأعمال غير الأنانية ويسمّيها خيرة من جهة الذين أحسن إليهم، وبالتالي من جهة الذين كانت لهم نافعة؛ ثم جاء زمنٌ نسي المرء فيه [259] أصل هذا الثناء وأخذ يشعر بأنّ الأعمال غير الأنانية، فقط لأنّه يُثنى عليها دوماً بحكم العادة على أنّها خيرة، إنّما هي خيرة أيضا -كما لو كانت شيئا خيرا في ذاته". ولتتوّرى المرء: أنّ هذا الاستنباط الأوّل ينطوي على كلّ الملامح النمطية للطبع الخاص بالنفسانيين الانجليز، - نحن لدينا "المنفعة" و"النسيان" و"العادة"، وفي النهاية "الخطأ"؛ والكُلّ باعتباره قاعدةً لتقويم، به ظلّ الإنسان المتفوق⁴ مفتخرا إلى حدّ الآن كما بضرب من الامتياز الخاص بالإنسان عموما. والحقّ أنّ هذا الفخار يجب أن يُهان، وأن يُحطّ من قيمة⁵ هذا التقويم: فهل تحقّق ذلك؟ ... أولا، يبدو لي واضحا بين أيدينا أنّ بؤرة تكوّن مفهوم "الخير" الصحيحة إنّما هي، من طريق هكذا نظرية، مبحوث عنها ومعينة في الموضع الخطأ: إنّ حكمنا على شيء ما بأنّه "خير" لا يتأتّى من جهة الذين نبدي لهم "خيرا"؛ بل إنّ "الأخيار" أنفسهم، وذلك يعني النبلاء وأصحاب المقدرة والمكانة الرفيعة والهمة العالية، إنّما هم الذين أحسّوا واعتبروا أنفسهم وأعمالهم خيرة، أي من الدرجة الأولى، بعين الضدّ من كلّ ما هو دنيء ووضع الهمة وعامي⁷ ومن الرعاع. من على قمّة هذا الشعور بالمسافة⁸ هم الأوائل⁹ الذين استباحوا لأنفسهم الحقّ في أن يخلقوا القيم¹⁰، وأن

1 - عن مثل هذا العيب لدى الفلاسفة، قارن: إنساني، مفرط في إنسانيته I، § 2.

2 - unhistorisch

3 - daran ist kein Zweifel. جملة ساقطة في ترجمة: غاليلار 1971: 21.

4 - der Höhere Mensch

5 - entwerten

6 - "die Guten"

7 - gemein

8 - das Pathos der Distanz. عن هذا المفهوم انظر: ما وراء الخير والشر، § 257.

9 - erst. لفظة ساقطة في ترجمة: غاليلار 1971: 21.

10 - "الحق في خلق القيم" - هذا هو رأس الأمر في هذه المقالة الأولى.

يسكّوا للقيم أسماء: ما شأنهم والمنفعة! إنّ وجهة نظر المنفعة، بالنسبة إلى هكذا انبجاس متوهّج لأحكام قيمة عليا، ترتّب الدرجات وتباين المراتب، لَهِي جُدُّ غريبة وغير مناسبة كأشدّ ما يكون: فإنّنا هنا تحديدًا يبلغ الإحساس إلى الضدّ من درجة البرودة الدنيا هذه، التي يفترضها كلّ تعقّل¹ حسابي، وكلّ حساب منفعة، - وليس لمرة واحدة، وليس لساعة استثناء، ولكن على الدوام. إنّ الشعور بالنبل والمسافة، كما قلنا، إنّ الإحساس العميق والإحساس الكامل، الدائم والمسيطر، لدى نوع أعلى سائد في علاقته بنوع أدنى، بنوع "في الأسفل" - إنّما هو أصل التضاد بين "الكريم" و"اللئيم"². [260] (إنّ حقّ الأسياد في إعطاء الأسماء إنّما يتّسع إلى حدّ أنّه قد يجوز للمرء أن يعيّن أصل اللغة ذاتها بوصفه تجليًا لقدرة أصحاب السيادة: هم يقولون "هذا هو³ كذا وكذا"، هم يختمون على كلّ شيء وعلى كلّ حدث بنبرة ما وبذلك هم يأخذونه بوجه ما في حوزتهم). وفي هذا الأصل يكمن أنّ لفظة "خير" هي في أوّل الأمر لا تتعلّق بضرورة بالأفعال "غير الأنانية": كما توحى بذلك خرافات جنرالو جيبيّ الأخلاق هؤلاء. وعلى الأرجح فإنّه عند تدهور⁴ أحكام القيمة الأرستقراطية فحسب إنّما يحدث أن يفرض هذا التضادّ التأمّ بين "الأناني" / "غير الأناني"، نفسه، شيئًا فشيئًا، على الضمير الإنساني - إنّ هذا، حتى أستعمل لغتي الخاصة، إنّما هو غريزة الجموع⁵، التي تنجح من خلاله آخر الأمر في أن تقول كلمتها (وأن تستحوذ على الكلمات أيضًا)⁶. ثمّ يدوم ذلك أيضًا مدّة طويلة حتى تصبح هذه الغريزة غالبية إلى الحدّ الذي معه يكون التقويم الخلقي عالقا عند هذا التضادّ ومنغرسا فيه (كما هو الحال مثلاً في أوروبا اليوم: إذ يسود راهناً الحكمُ المسبق الذي يأخذ "الأخلاقي" و"غير الأناني" و"désintéressé"⁷، باعتبارها مفهومات مترادفة، وذلك بالعنف الذي في "فكرة ثابتة" ومرض عصبي).

Klugheit - 1

"gut" und "schlecht" - 2

ist - 3

der Niedergang - 4

der Heerdeninstinkt - 5

6 - جملة تنطوي على بعض الصعوبة، لأنّ نيتشه يلعب على الخيط الرفيع بين "zu Worte" (أخذ الكلمة أو تحصيل على إمكانية الكلام أو نجح في قول كلمته) وبين "zu Worten" (استحوذ على الكلمات ووجد الألفاظ المناسبة).

7 - بالفرنسية في النصّ الأصلي: "خال من المصلحة".

3.

ولكن ثانيًا: بقطع النظر عن التهافت التاريخي لهذه الفرضية عن مصدر الحكم القيمي "خير"، فإنها تعاني في ذات نفسها من فساد فهم¹ نفساني. إذ يُفترض أنّ المنفعة في العمل غير الأناني هي أصل الثناء عليه، وأنّ هذا الأصل قد صار أمرًا منسيًا؛ - ولكن أتى لهذا النسيان أن يكون ممكنًا؟ وهل خلت مثل هذه الأعمال من المنفعة في يوم من الأيام؟ بل الأمر بعين الضد: إنّ هذه المنفعة إنّما كانت على الأرجح تجربة يومية في جميع الأزمان، ومن ثمّ شيئًا ما كان يتمّ التوكيد عليه دائمًا وأبدًا من جديد [261]؛ وهكذا، بدل أن تضمحلّ من الضمير، بدل أن تصبح شيئًا منسيًا، فإنّه كان ينبغي أن تنطبع في صلب الضمير بوضوح أكثر أكثر أبدًا. وكم هي أكثر تعقّلًا تلك النظرية المعاكسة (دون أن تكون لهذا السبب أكثر حقيقة)، تلك التي دافع عنها مثلاً هاربرت سبنسر²: الذي يعيّن مفهوم "الخير" باعتباره مرادفًا في ماهيته لمفهوم "النافع"³، و"الملائم لغرض ما"⁴، بحيث أنّ الإنسانية إنّما تكون بالتحديد من خلال أحكام "الصالح" و"الطالح" قد لخصت وأقرّت تجاربها التي لم تنسّ والتي لا تُنسى⁵ حول ما هو نافع-ملائم للغرض، حول ما هو ضارّ-غير ملائم للغرض. هو خير، تبعًا لهذه النظرية، ما قامت الحجة عليه منذ قديم الزمان بوصفه نافعًا؛ بذلك يحقّ له أن يرفع دعوى كونه "ذا قيمة نفيسة إلى أقصى الدرجات"، كونه "ذا قيمة نفيسة في ذاته". إنّ هذه السبيل في التفسير هي أيضًا، كما قلنا، خاطئة، إلّا أنّ التفسير ذاته هو على الأقلّ معقول في ذاته ومما يمكن الدفاع عنه على الصعيد النفساني.

4.

- إنّ ما منحني الإشارة نحو السبيل الصحيحة هو السؤال عمّا كان على تسميات "الخير" التي سكّتها مختلف اللغات أن تعنيه، متى أخذنا الأمر من زاوية نظر لغوية: وهنا وجدت أنّها جميعًا تقود القهقري إلى عين التحوّل المفهومي، - أنّ

der Widersinn - 1

2 - قارن: المقالة II، 12. حول سبنسر، قارن: هذا هو الإنسان، فصل "لم أنا قدر؟"، § 4.

3 - "nützlich"

4 - "zweckmässig"

5 - ihre unvergessenen und unvergessbaren Erfahrungen

"الشريف" و"النبيل"، في معنى مرتبته من القوم¹ هو، في كل مكان، المفهوم الأساسي الذي منه بالضرورة ينشأ [الرجل] "الخير"² في معنى "شريف النفس"، و"النبيل" في معنى "عالي النفس" و"المفضّل"³؛ نشوء هو يجري دوماً في تواز مع ذاك النشوء الآخر الذي يقوم في آخر المطاف بنقل "العالمي"⁴ و"الشعبي"⁵ و"الوضيع"⁶ إلى مفهوم "الثلثيم". وإنّ أبلغ مثال على هذا الأخير هو اللفظ الألماني "schlecht" - هو ذاته: من حيث ما هو مرادف لـ "schlicht"⁷ - قارن ذلك مع "schlechtweg"⁸ و"schlechterdings"⁹ - ويشير في أصله إلى الرجل¹⁰ البسيط، العامي، على نحو مازال خلواً من [262] أيّ نظرة شزراء مريبة، في مقابل النبيل فحسب. وإنّه في زمن حرب الثلاثين عاماً¹¹ تقريباً، ومن ثمّ في زمن جدّ متأخّر، إنّما انحدر هذا المعنى إلى الذي نستعمله اليوم. - وهذا أمر يبدو لي، بالنظر إلى جنياولوجيا-الأخلاق، استتبصاراً جوهرياً؛ أمّا أنّه لم يُعثر عليه إلّا بأخّرة، فذلك راجع إلى ما يعرض من التأثير الذي يمارسه الحكم المسبق الديمقراطي داخل العالم الحديث فيما يتعلّق بكلّ مسائل المصدر¹². وهذا قد يبلغ حتى إلى قطاع علم الطبيعة والفزيولوجيا، الذي يبدو لنا الأكثر موضوعيّة، وهو ما لا يسعنا أن نشير إليه هنا إلّا لماماً. أمّا أيّ خلل يمكن أن يسببه هذا الحكم المسبق، متى أطلق

ständig - 1

2 - "gut". - في معنى "الرجل الخير" أي الفاضل في معنى الذي يفضل غيره في الفضل.

3 - seelisch-privilegiert

4 - gemein

5 - pöbelhaft

6 - niedrig

7 - "البسيط" من الناس. وهو معنى شائع في اللغات الأوروبية. ولم تعرفه العربية إلّا في فصاحتها المعاصرة، مثل عبارات أخرى من قبيل "عادي" أو "متواضع"... وقد يمكن تعويضها بعبارات من قبيل "ساذج"، "فطير"، "عامي"،...

8 - "بكلّ بساطة". وهذه أيضاً صيغة مستحدثة في العربية المعاصرة. وقد يمكن تعويضها بعبارات من قبيل: دون تكلف، على مجرى العادة...

9 - "إطلاقاً"، دون قيد أو شرط.

10 - der Mann

11 - "حرب الثلاثين عاماً" - نزاع طال أنحاء من أوروبا في بداية القرن السابع عشر (ما بين 1618 و1648)، تعرّضت فيه ألمانيا إلى اجتياح من قبل فرنسا والسويد.

12 - Herkunft

عنايه إلى حدّ الكراهة، وبخاصة فيما يخصّ الأخلاق والتاريخ، فإنّ قضية بوجل¹ الشهيرة تبينه أيتها بيان؛ إنّ شعبيّة الروح الحديثة، المنحدرة من جذع² انجليزي، قد أطلّت برأسها مرة أخرى على أرض وطنها، جامحة كبركان من الوحل وتلك الفصاحة الركيكة، الكثيرة الصياح، المبتذلة، التي بها تكلمت كلّ البراكين إلى حدّ الآن.

5.

بالنظر إلى مشكلنا، الذي يمكن لأسباب وجيهة أن يُسمّى مشكلا صامتا وألا يتوجّه بمقتضى صرامة ذوقية³ إلّا إلى بعض الأذان فحسب، ليس عديم الفائدة أن نثبت أنّه في خلال تلك الألفاظ والجذور التي تصف "الخير" مازال يلوح بأوجه كثيرة الفارق الرئيس الذي يفصله كان يشعر النبلاء أنّهم أناس من مرتبة عليا. صحيح أنّهم في غالب الحالات، وربّما بعد التفوّق في القوة فحسب، إنّما أطلقوا على أنفسهم هكذا أسماء (بوصفهم "الأقوياء" و"الأسياء" و"أولي الأمر") أو بموجب أبرز أمانة على ذلك التفوّق، مثلاً بوصفهم "الأغنياء" و"المالكين" (وهذا هو معنى ⁵arya؛ والألفاظ المناسبة في الإيرانية والسلافية). ولكن أيضا بمقتضى خصلة فريدة في طباعهم: وهذه هي الحالة التي تهّمنا هنا. هم يلقّبون أنفسهم مثلا [263] "الحقّانيون"؛ وأولهم النبلاء الإغريق، إذ كان الشاعر الميغاري ثيوغنيس⁷ ناطقا بلسانهم. وإنّ اللفظ الذي صيغ لهذا الغرض ⁸εὐθαλός⁸ إنّما يعني بحسب اشتقاقه رجلا ذا كيان⁹، واقعيّا¹⁰، كائنا بالفعل، حقيقيّا؛ ثمّ، من خلال انقلاب ذاتي، أخذ يعني الحقيقيّ باعتباره الحقّانيّ: عند هذا الطور من

1 - Buckle . انظر: رسالة إلى غاست (Gast) بتاريخ 20 ماي 1887 .

2 - Abkunft

3 - wählerisch

4 - die Gebietenden

5 - بمعنى "النبيل"

6 - die Wahrhaftigen . قارن: ما وراء الخير والشر، § 260 .

7 - Theognis .

8 - esthlos - "جميل، حسن، نبيل" .

9 - ist

10 - Realität

تحوّل المفهوم، هو قد أصبح عنوان النبالة وشعارها، وانقلب بالكلية إلى معنى "النبيل"، تميزا له عن الرجل العامي الكذاب¹، كما تصوّره ثيوغنيس ورسم ملامحه، - حتى بقي اللفظ آخر الأمر، بعد إنحدار النبالة، موقوفا على وصف نبيل النفس، وصار بمعنى ما يانعا وحلوا. فما أكد عليه في لفظة $\kappa\alpha\kappa\acute{o}\varsigma$ كما في لفظة $\delta\epsilon\iota\lambda\acute{o}\varsigma$ (الشعبيّ في مقابل $\acute{\alpha}\gamma\alpha\theta\acute{o}\varsigma$)⁴ هو الجبن؛ وذاك أمر ربّما لمّح لنا في أية جهة يتعيّن على المرء أن يبحث عن الأصل الاشتقاقي للفظ $\acute{\alpha}\gamma\alpha\theta\acute{o}\varsigma$ الحامّالة لمعان عدة. إنّ $malus$ اللاتيني (الذي أضعه بجانب $\mu\acute{\epsilon}\lambda\alpha\varsigma$)⁵ قد يمكن أن يصف الرجل العامي باعتباره صاحب اللون القاتم، وقبل كلّ شيء باعتباره ذا الشعر الأسود ("hic niger est")⁶، باعتباره الساكن قبل الآريّ لبلاد الطليان القديمة⁷، الذي كان يتميّز باللون كأوضح ما يكون عن العرق الذي صار غالبا، نعني العرق الأشقر للغزاة الآريين؛ وعلى الأقلّ فإنّ لسان بلاد الغال⁸ قد منحني حالة مناسبة تماما: إنّ fin (على سبيل المثال في الاسم Fin-Gal)، الكلمة التي تميّز النبالة، وفي آخر المطاف الخير، العريق النسب، الخالص، إنّما [تعني] في أصلها الرأس الأشقر، في مقابل السكان الأصليين، السمّر، ذوي الشعر الأسود. فإنّ السلتيين¹⁰، لنقل ذلك عرضاً، إنّما كانوا عِرْقاً أشقرّ تماماً؛ والمرء يقترف خطأ، متى عقد رابطاً بين تلك القطاعات من السكان¹¹ الذين هم في الجوهر ذوو شعر قاتم، والتي تُلاحَظ على بعض الخرائط الإتنوغرافية الجيدة لألمانيا، وبين أصل سلتيّ أو اختلاط مع دم سلتيّ، كما دأب على ذلك فيرشو¹²:

lügenhaft - 1

kakos - 2 - "قبيح، رديء". ومنه جاء معنى "دناءة الأصل، الجبن، الطابع الشرير".

deilos - 3 - "جبان، بائس"

agathos - 4 - "خيرٌ، جيّد، قويّ".

5 - سيّء، رديء

melas - 6 - "أسود" باليوناني.

7 - احذر "هناك زنجي". صيغة سبق أن استعملها نيتشه في: المعرفة المرحّة، § 203. وهي تعود إلى: هوراس، الأهاجي (I، 4، البيت 85).

italisch - 8

.das Gälische - 9

die Kelten - 10

Bevölkerung - 11

Virchow - 12

فعلى الأرجح إنَّ ما يغلب في تلك المناطق هم السَّكان قبل الآريين لألمانيا. (يصحَّ الأمر نفسه تقريبا على أوروبا برمتها: فعلى الجملة، إنَّ العِرْقَ المغلوب في النهاية قد صار هناك من جديد [264] هو الغالب، في اللون، وصغر الجمجمة وعلى الأرجح حتى في غرائز الفكر والاجتماع: من يضمن لنا أنَّ الديمقراطية الحديثة والفوضوية الأحدث عهدا ولاسيَّما هذه النزعة إلى "الرابطة"¹، إلى صورة المجتمع الأكثر بدائية، التي هي اليوم القاسم المشترك بين اشتراكيَّ أوروبا كافة، لا تدلُّ في المقام الأوَّل على ضربة ارتدادية هائلة - وأنَّ عِرْقَ الغزاة والأسباد، عِرْقَ الآريين²، إنَّما هو في انحطاط حتى فزيولوجيَّاً؟...) أنا أعتقد أنَّه بوسعي أن أفسِّر لفظة bonus³ اللاتينية في معنى "المحارب": متى افترضنا أنَّه يحقُّ لنا أن نعيد bonus إلى duonus الأقدم منها (قارن duonus = duellum = bellum⁴ lum، حيث يظهر لي أنَّ duonus هذه متضمَّنة). bonus هو إذاً رجل الشقاق وسيف التفرقة⁵ (duo⁶)، رجل الحرب⁷؛ نحن نرى ما كان في روما القديمة يمثَّل في رجل ما "خيرتته". بل ولفظتنا الألمانية "Gut"⁸ نفسها: ألا ينبغي أن تعني "der Göttliche"⁹، الرجل الذي "ينحدر من عرق إلهي"؟ أن تكون مرادفة لاسم شعب ال-Gothen، الذي كان في أصله اسماً للنبالة؟ أمَّا دواعي هذا الافتراض فهي لا تنتمي إلى هذا الموضوع.

1 - Commune.

2 - على عكس ما يمكن توقُّعه فإنَّ كتابات نيتشه التي نشرها خالية عموماً من استعمال مصطلح "الآري"، وربما لا نعثر، حاشى هذه المرة، على موضع آخر لها إلَّا في الفقرة 9 من مولد التراجيديا. بل إنَّ نيتشه سوف يتحدث عن "الوراثة الآرية في اليهودية" ممَّا يعني أنَّه يستخدم هذا المصطلح استخداماً تأويلياً، أي مجازياً أو رمزياً، بوصفه عنصراً تقويمياً للإشارة إلى إرادة الاقتدار وإرادة الحياة الخالية من التشاؤم والشعور بالعجز.

3 - خير وخيرٌ وجيِّد وحسن.

4 - حرب.

5 - Entzweiung.

6 - "اثنان". يأخذ نيتشه الثنائية كعلامة على الفرة والشقاق كما في العبارة الألمانية: "Entzweiung" التي تدلُّ على الفصل والقطع والتفريق.

7 - قارن: رسالة إلى غاست بتاريخ 31 ماي 1888.

8 - خيرٌ، خيرٌ، جيِّد، حسن،... ولكن أيضاً: كريم، شريف، رفيع،...

9 - الإلهي، الرباني.

6.

عن هذه القاعدة القاضية بأنّ المفهوم السياسي للأولوية إنّما ينقلب إلى مفهوم نفساني للأولوية، لا يوجد أصلاً أيّ استثناء (رغم أنّه ثمة مدعاة للاستثناء)، إذا ما كانت الطبقة العليا هي في عين الآن طبقة الكهّان وبالتالي تختار، اسماً عاماً لها، صفةً تذكّر بوظيفة الكهنوت. إنّما في هذا المقام، على سبيل المثال، يتقابل "الخالص" و"غير الخالص" لأوّل مرة بوصفهما أمارتين على طبقتين متباينتين؛ ثمّ تأخذ ههنا أيضاً في التطوّر [دلالات] "الكريم" و"اللئيم" في معنى لم يعد طبقيّاً² في شيء. بقي أنّه على المرء أن يحذر من أن يأخذ منذ البداية مفاهيم "الخالص" و"غير الخالص" هذه كقول ثقيل³، جدّ شاسع أو حتى رمزي: كلّ مفاهيم [265] الإنسانية القديمة إنّما كانت على الأرجح في بدايتها، بقدر يكاد يضيق عنه تصوّرنا، مفهومةً فهماً غليظاً، فظاً، خارجيّاً، ضيقاً، وبالأخصّ فهماً غير رمزيّ⁴. إنّما "الخالص" هو منذ البداية مجرّد إنسان يغتسل ويمتنع عن بعض الأطعمة التي تلحق به أمراضاً جلدية، لا يأتي الوسخة من نساء الشعب الوضع، ويتقرّز من الدم، - ليس أكثر، تقريباً ليس أكثر من ذلك! كذلك يتوضّح، بلا ريب، من الطبيعة الصحيحة لأرسطوطراطية، كهنوتية في جوهرها، لمّ أمكن ههنا بالتحديد منذ وقت مبكّر للتقويمات المتضادة⁵ أن تُستبطن وأن تحتدّ نبرتها بشكل خطير؛ وفي الواقع إنّما من طريقها في نهاية المطاف قد سُقّت بين البشر والبشر هاويةً فوقها حتى أخيل الفكر الحرلن يعبر دون أن يقشعرّ بدنه. يوجد منذ البداية شيء غير صحيّ⁶ في هكذا أرسطوطراطيات كهنوتية⁷ وفي العادات

1 - gut und schlecht

2 - ständisch

3 - zu schwer

4 - unsymbolisch. علينا الانتباه هنا إلى أنّ "الرمزي" حسب نيتشه هو عارض على تزييف ما في الطبيعة الإنسانية اللاحقة على الأزمنة الأولى حيث كانت الأنماط البشرية "غير رمزية" تماماً أي عارية وفظة وحرّة. الرمز غطاء على عجز أصاب إرادة الحياة.

5 - die Werthungs-Gegensätze

6 - Ungesundes

7 - ينطوي هذا الكلام على بذرة من الإعجاب بالكاهن القديم: هذا الذي نجح في ابتكار الوسائل الناجعة لحمل الجمهور على اتباعه، على عكس الفلاسفة الذين فشلوا غالباً في الوصول إلى الناس. كأنّ نداء الحرية غير مناسب للجموع. لكنّ نكتة الأمر هنا هي أنّ نيتشه حسّاس تماماً

السائدة ههنا، المعرضة عن الفعل، تارة مُطرقة وطورا متفجرة العاطفة، من نتائجها أن يظهر على الكهان في كل العصور، على نحو يكاد يكون لا مرد له، شيء من المرض المعوي والوهن العصبي المزمّن¹؛ أما عمّا اخترعوه هم أنفسهم من علاج لمرضهم، - أفلا ينبغي على المرء أن يقول إنه قد تبين في نهاية المطاف أنه في تأثيراته أخطر مائة مرة من المرض الذي يجب أن يُشفي منه؟ إن الإنسانية ذاتها لا تزال تعاني من آثار هذا الاستشفاء الساذج للكهان! لنفكر مثلاً في بعض أشكال الحمية (من قبيل الامتناع عن أكل اللحم)، في الصوم والتعقّف الجنسي والفرار "إلى الصحراء" (من قبيل اعتزال فاير ميتشل²، ولكن من دون ما يتبعه من علاج زيادة الوزن ومن تخمة، والذي فيه يكمن المضادّ الأكثر فعالية إزاء كلّ ضرب من هستيريا المثل الأعلى النسكي³)؛ أضف إلى ذلك كلّ ميثافيزيقا الكهان المعادية للحواس والتي تورث الكسل والمكر، وتنويم أنفسهم بأنفسهم على طريقة فقير [الهند] والبراهمان⁴ - برأهما مستخدماً بوصفه كبة زجاجية أو فكرة ثابتة [266] - وفي النهاية السأم العام، والذي نتفهمه جيّداً، مصحوباً بعلاجه الجذري، بالعدم (أو الربّ) - فالتطلع إلى unio mystica⁵ مع الربّ هو تطلع البوذي إلى العدم، إلى النيران⁶ - وليس أكثر!). لدى الكهان يصبح كلّ شيء خطيراً، ليس فقط وسائل العلاج وأفانين الدواء، بل أيضاً الكبرُ والثأر وحدة الذهن والمجون والحبّ والرغبة في التسلّط والفضيلة والمرض - ومن العدل بوجه ما أن نضيف إلى ذلك بلا ريب أنه فقط على أرضية هذا الشكل من الوجود⁷ الإنساني، الخطير في جوهره، وجود الكهان، إنّها صار

إزاء ثراء شخصية الكاهن والإنسان الديني بعامة: أنه نمط ارتكاسي ولكنّه مثير للإعجاب من جهة سعيه الحثيث إلى الإمساك بضرب ما من الاقتدار واحتراف فنّ الهيمنة بشكل فذّ. قارن: المعرفة المرحّة، § 351؛ هكذا حدّث زرادشت II، "حديث الكهان".

1 - قارن: المقالة III، 16.

2 - Weir Mitchell.

3 - هذه العبارة سوف تصبح عنوان المقالة الثالثة.

4 - nach Art des Fakirs und Brahmanen. - "البراهمان" هو أحد "البراهمة"، طبقة الكهنوت العليا عند الهندوس. وذلك نسبةً إلى "برأهما" اسم إله هندي، يؤلّف مع "فشنو" و"سيفا" الثالوث الهندوسي.

5 - باللاتينية في النصّ: وحدة صوفية.

6 - Nirvâna. عن البوذية، را: المقالة الثالثة.

7 - Daseinsform.

الإنسان حيواناً مثيراً للاهتمام¹، أنه ههنا فحسب إنَّما أصبحت النفس الإنسانية عميقة وصارت شريرة في معنى رفيع - وإنَّ ذينك الأمرين لهما إلى حدِّ الآن الشكلاّن الأساسيان لتفوّق الإنسان على الحيوان! ...

7.

إنَّ المرء قد خَنَ بعدُ كَمَ من اليسير على طريقة تقويم الكهان أن تتفرّع وتنفصل عن طريقة تقويم الفرسان الأرستقراطيين² وأن تأخذ في التطوّر إلى ضدها؛ وهو ما يحدث على الخصوص في كلّ مرة تقع فيها مواجهة بين طبقة الكهان وطبقة المحاربين لما بينهما من حسد وغيرة، ولا تحركهما إرادة للاتفاق على المنتصر. أمّا أحكام القيمة التي يصدرها الفرسان الأرستقراطيون فهي تفترض قوة الجسد وصحة يافعة، موفورة، فيتاضة، مع ما تتطلبه المحافظة عليها، من حرب ومغامرة وصيد ورقص وألعاب حرب وبعمامة كلّ ما يحتوي في نفسه على عمل شديد، حرّ، بهيج³. وأمّا طريقة التقويم النبيلة-الكهنوتية فإنَّ لها - كما رأينا ذلك⁴ - أركاناً أخرى: يكفي أن يصيبها الخجل، متى تعلق الأمر بالحرب! إنَّ الكهان، كما هو معلوم، هم أشدُّ الأعداء⁵ - ولكن لماذا؟ لأنَّهم أكثر الناس عجزاً⁶. ومن العجز يتولد عندهم [267] الكُزّة، مرعباً وموحشاً، روحياً ومسموماً كأشدّ ما يكون. لقد كان أشدّ الناس كرهاً في تاريخ العالم على الدوام كهاناً، وكان هؤلاء الكارهون أيضاً من أشدّ الأرواح مكرّاً: - فإزاء روح الثأر التي تسكن الكهان يكاد لا يدخل أيُّ روح آخر في الاعتبار. وما أبلد تاريخ البشر لولا الروح التي تأتت إليه من العاجزين: - ولتأخذ للتوّ أكبر مثال على ذلك. إنَّ كلّ ما تمّ فعله على الأرض

1 - ein interessantes Thier - 1

2 - ritterlich-aristokratisch - 2

3 - تلك جملة القيم الأرستقراطية التي نعثر عليها نضرة، حرّة، طليقة، بريئة، في الشعر العربي سواء قبل ظهور الدين التوحدي أو لا. من امرئ القيس إلى المتنبي يستجيب شعر العرب إلى تشخيص نيتشه لأخلاق النبلاء بشكل مثير. لكنّ نيتشه سوف يعلمنا أنّ الإنسان القديم لم يصبح "مثيراً للاهتمام" إلّا عندما أصبح عميقاً وغير بريء أي "شريراً". وذلك وقع بعد ظهور الكهان.

4 - قارن: الفقرة 6.

5 - die bösesten Feinde - 5

6 - die ohnmächtigsten - 6

ضدّ "النبلاء" و"الأقوياء" و"الأسياذ" و"ذوي السلطان" لا يستحقّ الذكر متى قورن بما فعله اليهود² ضدّهم: اليهود، هذا الشعب الكهنوتي الذي لم يظفر في آخر المطاف بشيء يرضيه ضدّ أعدائه والمتسلّطين عليه إلّا من خلال قلب جذريّ لقيمهم، وذلك يعني من خلال عمليّة ثأريّة الأكروروحانيّة. ذلك فقط ما كان ملائماً لشعب من الكهّان، للشعب الذي تميّز بحبّ الانتقام الكهنوتيّ الأعمق غورا. إنّما اليهود هم الذين قد تجرّؤوا على قلب معادلة القيم الأرستقراطية (رجل] خَيْرٌ = نبيل = قدير³ = جميل = سعيد = محبوب الآلهة) بإحكام مرعب وثبتوا عليه مكشّرين عن أنياب الكراهية التي لا قرار لها (كراهية العاجزين)، وذلك يعني "أنّ البؤساء فقط هم الخيرون"⁴، أنّ الفقراء والعاجزين والسفلة فقط هم الخيرون، أنّ المعدّين والمعوزين والمرضى والقباح أيضا هم وحدهم الأتقياء، هم وحدهم من يباركهم الربّ، ولهم فحسب ثمة غبطة وبركة، - أمّا أنتم، أنتم النبلاء وأصحاب المقدرة، فمنذ الأبد أنتم الأشرار والهمجيون والشهوانيون، الذين لا تُروى لهم غلّة، الكفرة، وستكونون أيضا المنبوذين والملعونين والمغضوب عليهم أبدا!"⁵... ويعرف الناس من هذا القلب اليهوديّ للقيم ميراثاً... وأنا أذكّر فيما يخصّ المبادرة الرهيبة والمسؤولية على نحو يفوق كلّ تقدير، التي قام بها اليهود بواسطة أكثر إعلانات الحرب مبدئيّة، بالقضية⁶ التي توصلت إليها في موضع آخر ("ما وراء [268] الخير والشر" ص 118⁷) - أنّه إنّما مع اليهود بدأ تمّرد العبيد في الأخلاق: ذاك التمرد الذي يجرّ وراءه تاريخاً من عشرين قرناً والذي لم يتّح اليوم عن أعيننا إلّا لهذا السبب فحسب، أنّه - قد انتصر...

1 - die Machthaber -

2 - موقف نيتشه من اليهود ليس عرقياً أو عنصرياً أو معادياً للسامية بل هو موقف تأويلي: إنّ اليهود قد صاروا "الشعب المختار" عندما اخترعوا تقنية الكهنوت كضرب ارتكاسي من إرادة الاقتدار، عندما استعاضوا عن شعب من "الأحرار" بشعب من "الكهان". را: المسيح المضاد، §§ 24-28.

3 - mächtig. لفظة ساقطة في ترجمة: غاليلار 1971: 31.

4 - علينا أن نبصر بالفارق بين جمع "الخيّرين" (في معجم العامّة) و"الأخبار" (في معجم النبلاء).

5 - قارن: ما وراء الخير والشر، §§ 46 و 195.

6 - المقصود هو المسيحية.

7 - der Satz -

8 - ما وراء الخير والشر، § 195.

8.

- ولكن ألا تفهمون؟ أنتم ليس لكم أعينٌ لشيءٍ تطلّب ألفي سنة من أجل أن يظفر بالنصر؟... ليس في ذلك ما يدعو إلى العجب: فكُل الأشياء الطويلة المدى من الصعب أن نراها، أن يحيط بها البصر. ورغم ذلك هذا ما حدث: من جذع شجرة الثأر والكره، من الكره اليهودي- من أعمق كره وأجل كره، كره خلاق للمثل العليا، محوّل للقيم، لم يوجد مثله على الأرض أبداً- إنّما انبثق بنفس القدر شيءٌ لا يُقارَن، محبةٌ جديدةٌ، هي أعمق وأجلّ أنواع المحبة: - ومن أيّ جذع آخر كان يمكن لها أن تنبثق؟... ولكن لا يظنن المرء أنّها ترعرعت بوجه ما باعتبارها النفي الحقيقي² لهذا التعطش إلى الثأر، باعتبارها نقيض الكره اليهودي! كلاً، إنّما العكس هو الصحيح! فهذه المحبة إنّما خرجت منه، كأنّها هي تاجّه، تاج النصر المتفتح أوسع فأوسع في أصفى ضياء والشمس في غرّتها، والذي بنفس الاندفاع أخذ يسعى في مملكة النور العلوية إلى المقصد الأسنى لهذا الكره، إلى النصر والغنيمة والإغراء، نفس الاندفاع الذي به كانت جذور هذا الكره تتغلغل دوماً أعمق فأعمق وأكثر فأكثر شراهة، في كلّ ما كان له قاع وكان شريراً. يسوع³ الناصريّ هذا، بصفته إنجيل المحبة المتجسّد، هذا "المخلّص" الذي يحمل الغبطة والنصر للفقراء والمرضى والمذنبين - ألم يكن هو بالتحديد الإغراء في شكله الأكثر وحشة والأكثر استتصاء على المقاومة، الإغراء والمنقلب إلى عين تلك القيم [269] والتجديدات اليهودية للمثل الأعلى؟ أليس على الطريق الملتوية لهذا "المخلّص"، هذا الذي هو في الظاهر مناوئٌ لإسرائيل وساع إلى تشتيت شمله، إنّما بلغ إسرائيل شأوه البعيد من رغبته الرائعة في الانتقام⁴؟ أليس من صلب الفنّ الأسود الخبيث⁵ لسياسة كبرى حقاً للثأر، ثأرٍ بعيد النظر، دفين⁶، متأنّ في هجومه ولا يجازف في تقديراته، أنّ إسرائيل نفسه

1 - علينا أن نقرأ ذلك في عين السياق الذي تمّ فيه التعريض بأخلاق "الشفقة" الشونيهوارية: الحب كنوع سقيم وكهنوتي من الشفقة على العاجزين.

2 - eigentlich. لفظة ساقطة في ترجمة: غاليلار 1971: 32.

3 - رغم ذلك فإنّ نقد نيتشه على الأغلب لا يقصد يسوع بحّد ذاته بل المؤسسة الكنسية التي اخترعها بولس (الحواريّ الذي كان في أصله يهودياً) للقطع ظاهراً مع اليهود، والحال أنّه في واقع الأمر قد عمّق نفس سلم القيم بطرق أخرى: الحب كموقف ارتكاسي من قوى الحياة، يفصل القوة عمّا تستطيع، من خلال ثأر خيالي أو "روحاني".

Rachsucht - 4

geheim - 5

6 - unterirdisch - بالمعنى الحرفي: "تحت-أرضي".

كان عليه أن ينكر الأداة الحقيقية لثأره أمام العالم كله وكأنه العدو اللدود وأن يدقه على الصليب، بحيث يستطيع "كل العالم"، أي كل أعداء إسرائيل، أن يأكلوا هذا الطعم دون تردد؟ ولكن هل يستطيع المرء، مهما أوتي من روح ثاقبة، أن يتخيل على العموم طعماً أخطر من هذا؟ شيئاً يعادل رمز "الصليب المقدس" هذا، من حيث القوة المغرية والمسكرية والمخدّرة والمهلكة، هذه المفارقة المريعة لـ "إله مصلوب"، هذا اللغز العجيب لقساوة قصوى، نهائية، لا تُتصوّر، إله يصلب نفسه من أجل الإنسان؟! ... من المؤكّد على الأقلّ أن إسرائيل، *sub hoc signo*²، هو، بثأره وقلبه كلّ القيم، قد انتصر دائماً وأبداً من جديد على كلّ المثل العليا الأخرى، على كلّ مثل أعلى أنبل منه.³

9.

- ولكن⁴ ما الذي تقوله عن مثل أعلى أنبل منه! لنسلم بالوقائع: إنّ الشعب قد انتصر - أو "العبيد"، أو "الرعا"، أو "القطيع"، أو ما شئت أن تسمّي - وإذا كان هذا قد حصل من خلال اليهود، فليكن! لم يحدث أبداً أن كان لشعب ما مهمّة أكبر في تاريخ العالم⁵. انتهى أمر "الأسياء"؛ وانتصرت أخلاق الإنسان العامي. قد يمكن للمرء أن يسمّي هذا النصر في ذات الوقت تسمّياً في الدم⁶ (فهو قد خلط الأعراق في بعضها البعض) - أنا لا أعترض على ذلك؛ ولكن ممّا لا ريب فيه أنّ هذا

zum Heile des Menschen - 1

2 - باللاتينية في النص: "تحت هذه الراية". صيغة وردت أيضاً في: الفجر، § 96. وهي إشارة إلى اعتناق قسطنطين للمسيحية وقولته الشهيرة "تحت هذه الراية، سوف تنتصر" (راية الصليب).

3 - ليس هذا الكلام معادياً لليهود بل هو تخريج تأويلي لنفسية الكاهن، ولا يؤدي الكاهن اليهودي هنا إلاّ دوراً "نموذجياً" أو "تنبؤياً". ليس هناك "مسألة يهودية" بل هناك "مسألة أخلاقية" أي "مسألة الكاهن" أو "الفقيه" أو "الحبر" أو "القسيس" ودوره الخطير في تركيب بنية "القيم" التي عليها بنى النوع الإنساني إلى حدّ الآن "معنى" وجوده على الأرض. مثلاً: في الفقرة 251 من ما وراء الخير والشر يبلغ نيتشه في فنّ التأويل النشاط لدور الكاهن اليهودي إلى التصريح بأنّ اليهود قد يكونون هم من سينقذ أوروبا من نفسها.

4 - استعمال نيتشه للهلالين أو الظفرين هو للحفاظ من هذا النحو من الأقوال، فهي أقوال "الفكر الحر" الحديث، كلام "الملحدّين" في الدين و"الوضعيين" في العلم و"الديمقراطيين" في السياسة. لكنّه ليس موقف نيتشه.

der Pöbel - 5

welthistorische Mission - 6

Blutvergiftung - 7

التسميم¹ قد نجح. إنّ "خلاص" [270] الجنس البشري (أي الخلاص من "الأسياء") هو على أفضل الطرق؛ الكلّ يتهوّد أو يتنصّر أو يترعّع² على مرمى النظر (لا مُشاهدة في الأسماء!). وإنّ سير هذا التسمّم عبر جسد الإنسانية برمّته، إنّها يبدو شيئاً لا مردّ له، بل إنّ إيقاعه وخطوه قد يجب منذ الآن أن يكونا أبطأ وأرهف وأقلّ سماعاً وأكثر رزانة - إذ في الوقت متّسع... فهل مازال للكنيسة اليوم من مهمّة ضرورية في هذا الاتجاه، هل مازال لها بعامة حقّ في الوجود؟ أم قد يمكن للمرء أن يكون عنها بغني؟³ *Quaeritur*. إذ يظهر أنّها تكبح هذا المسار وتبطئه، بدل أن تعجل به؟ ولكن، ربما يكون ذلك هو وجه الفائدة منها... بلا ريب، هي في آخر المطاف شيء فظّ وغليظ، يتنافر مع عقل مرهف ومع ذوق حديث حقاً. ألا يجب عليها على الأقلّ أن تهذب قليلاً؟... فهي تنفّر اليوم أكثر ممّا تفتن... من ممّا سيكون عقلاً حرّاً لو لم توجد الكنيسة؟ إنّ ما ينفرنا هو الكنيسة وليس سمّها... فبقطع النظر عن الكنيسة نحن أيضاً نحبّ السمّ... - ذلك ما انتقد به مقالتي "مفكّر حرّ"⁴، حيوان أمين، كما أثبت ذلك بشكل واسع، وفوق ذلك هو ديمقراطي؛ لقد أضغى إليّ إلى حدّ الآن ولم يحتمل أن يسمع⁵ صمتي. فبالنسبة إليّ ثمة في هذا المقام شيء كثير ينبغي إسكاته.

10.

لقد بدأ تمرّد العبيد في الأخلاق بهذا الأمر، ألا وهو أنّ الاضطغان⁷ نفسه قد صار خلافاً وولّد قيماً؛ الاضطغان الذي يحرك ذلك النوع من الكائنات التي حرّمت من ردّ الفعل الحقيقي، ردّ الفعل الذي يكون فعلاً، والتي لا تجد من

Intoxikation - 1

2 - der Pöbel من verpöbelt sich - الرعاع.

3 - باللاتينية في النص: "في الأمر نظر"

4 - Freigeist. - ويبدو أنّ هذا مقتبس عن العبارة الفرنسية: "libre penseur"

5 - يشير شرّاح نيتشه إلى أنّ هذه على الأغلب إشارة إلى المفكّر الفرنسي جان ماري غيو (Guyau). لكنّ المهمّ هو تنبيه نيتشه إلى أنّه لا يكفي أن نرفض الدين باسم "الوقائع" المزعومة حتى نصبح "عقولا حرة"، إذ أنّ ذلك يتطلب تفكيراً جذرياً يطال أساس القيم بإطلاق، تلك القيم التي لا تكون الوقائع غير انفعالات سطحية لها. را: المقالة الثالثة.

6 - يستثمر نيتشه هنا وجه الصلة بين "zuhören" (أصغى وأنصت) وبين "hören" (سمع وعوى ما قيل له). فقد يصغي المرء ولا يسمع، خاصة إذا كان المقول صمتاً.

7 - das Ressentiment

عزاء إلا في ثأر خياليّ. وفي حين أنّ كلّ أخلاق نبيلة إنّما تنبثق من قول-نعم لنفسها بشكل منتصر، تبدأ أخلاق العبيد بقول لا لـ"خارج ما"، لا لـ"آخر ما"، لضرب من "عدم-النفس": وهذه [271] الـ"لا" هي فعلها الخلاق. هذا الانقلاب في النظرة الواضعة للقيم - هذا التوجّه الضروري نحو الخارج بدلا من التلفت نحو الذات- إنّما يدخل تحديدا في صلب الضغينة: إذ كي تنشأ إنّما تحتاج أخلاق العبيد دائماً وأوّلًا إلى عالم مضادّ وعالم خارجي، ومتى تكلمنا بشكل فزيولوجي، هي تحتاج عموما إلى مثيرات خارجية لكي تفعل - إنّ فعلها هو بالأساس ردّة فعل. وإنّ العكس هو ما يحدث عندما يتعلق الأمر بطريقة النبلاء في التقويم؛ هي تفعل وتنمو عفواً، وهي لا تبحث عن ضديدها إلا من أجل أن تقول لنفسها نعم أكثر عرفانا وأكثر ابتهاجا، - وليس مفهومها السالب من جنس "الوضع" و"العامي" و"اللثيم"، إلا وهو صدى باهت ومتأخّر النشأة بالنظر إلى مفهومها الأساس، الموجب، المتشربّ في أعماقه حياة وشغفاً، "نحن النبلاء، نحن الأخيار، نحن أصحاب الجمال، نحن السعداء!" فإذا ما تبنا نمطُ التقويم النبيل عن نفسه وتعدّى الواقع، فإنّ ذلك يحدث بإزاء دائرة ليست بمعروفة لديه كفاية، بلى ضدّ دائرة هو يمنع نفسه منعاً وينفر نفوراً من معرفتها حقّ المعرفة: وفي بعض حالاته هو يجهل الدائرة التي يحتقرها، دائرة الرجل² العامي والشعب الوضعي؛ وعلى المرء، من جهة أخرى، أن يأخذ في الاعتبار أنّ شعور الاحتقار والنظر من عل ونظرة الاستكبار، متى فرضنا أنّه يزيّف صورة المحتقر، سيظلّ أدنى بكثير منّ الزيف الذي يسلّطه الكره المكظوم، تأرّ العاجزين، على خصمه - طبعاً in effigie³. وفي الواقع، فإنّ في الاحتقار يتواسج كثيرٌ من الإهمال وكثيرٌ من الاستخفاف، كثيرٌ من عدم الاكتراث ونفاد الصبر، بل كثيرٌ من الشعور الخاص بالغبطة، حتى يكون في موقف عنده هو يحوّل موضوعه إلى صورة مشوّهة وفزّاعة. وعلى ذلك ليس للمرء أن يغفل عن الـ nuances⁴، المتعطّفة تقريباً، التي تبثّها أرستقراطية يونان، مثلاً، في كلّ الألفاظ التي بها تميّز عن الشعب الوضعي؛ كيف يتسرّب إليها دوماً ضربٌ من الإشفاق والمراعاة والمساحة

1 - "zu einem" Nicht-selbst

2 - der Mann

3 - باللاتينية في النص: "تمثيلاً فحسب". - عادة تقوم على إقامة رسم عام (لوحة، عارضة) للحكوم عليه، ثمّ إنزال عقوبة وهمية عليه.

4 - بالفرنسية في النص: "الفروق الدقيقة" أو الفوارق.

فإذا هي أشبه بالسكّر، حتى ينتهي الأمر إلى أنّ كلّ الألفاظ التي [272] يُشار بها إلى الرجل العامّي، هي قد بقيت في آخر المطاف بوصفها عبارات فوق الحاجة للإشارة إلى "شقيّ" أو "أهل للشفقة" (قارن مثلاً δειλός¹، δειλίαιος²، μυχθηρός³، πονηρός⁴، وهذان الأخيران على الخصوص يصفان الرجل العامّي من حيث هو عبْدٌ للعمل وبهيمَةٌ أثقال) - وكيف أنّ "اللثيم" و"الوضيع" و"الشقيّ" هي، من جهة أخرى، ألفاظٌ لم تكفّ في أذن يونان عن التصادي في رتّة واحدة، بجزّس حيث اللون الغالب هو "الشقيّ": ذلكم بعض ميراث من نمط التقويم الأرستقراطي القديم الأكرم محدّداً، الذي لا يتنكّر لنفسه حتى عند الشفقة - وليذكّر فقهاء اللغة في أيّ معنى كانت مستعملة كلمات من قبيل οἰζυρός⁵، ἀνολβος⁶، τλήμων⁷، δυστυχεῖν⁸، ξυμφορά⁹). إنّ "كرماء النسب"¹⁰ إنّما يشعرون تحديداً بأنّهم "السعداء"؛ وليس عليهم أن يصنعوا سعادتهم تكلفاً وهم يختلسون النظر إلى أعدائهم، وليس عليهم، كما في بعض الأحيان، أن يقنعوا أنفسهم بذلك أو يكذبوا كذاباً (كما تعود أن يفعل كلّ أصحاب الضغينة)؛ كذلك هم لم يكونوا يعرفون، بوصفهم أناساً كمّلوا بالقوّة طفحوا وكانوا بالضرورة فاعلين، كيف يفصلوا السعادة عن الفعل، - أن يكون المرء فاعلاً إنّما كان يُحتسب عندهم في أمر السعادة ضرورةً (ومن هنا أخذت عبارة πράττειν¹¹ مصدرها) - وهل كلّ ذلك إلّا بعين الضدّ من "السعادة" التي على طبقة العاجزين والمقموعين والمتقرّحين الرازحين تحت المشاعر المسمومة والمضمرة العداء، الذين لا تأتي السعادة إليهم إلّا تحدرّاً وذهولاً

1 - deilos - بائس.

2 - deilaios - في بؤس وخصاصة وفاقة.

3 - poneros - مثقل بالعبء والأذى أو الأشياء الرديئة.

4 - mochtheros - الذي يتألم ويتوجّع أو سقيم.

5 - oizyros - المتذمّر، الكثير الشكوى.

6 - anolbos - الشقيّ.

7 - tlēmōn - الجلد، الصبور، البائس

8 - dystychein - في فاقة وأذى

9 - xymphora - حادثة، مصيبة

10 - "die" Wohlgeborenen

11 - eu pratein - نجح في عمله، أفلح في مسعاه، أتقن صنعته.

وسكوناً وسلماً و"سَبْتاً"¹ واستجماً للروح ومدلاً للأعضاء، وباختصار هي لا تأتيم
إلا أنفعالاً². وبينما يعيش الإنسان النبيل تمتلئ الثقة بنفسه مستقيماً (γενηναιος)
فإن "كريم النسب"³ لفظة تؤكد على الـ nuance⁴ التي في "المستقيم"⁵ وربما في
"الساذج"، إذ أن صاحب الضغينة لا هو مستقيم ولا هو ساذج، ولا هو صادق
مع نفسه أصلاً. إن نفسه حولاء؛ وإن روحه لتحب الأوكار والطرق الملتوية
والأبواب الخلفية، وكل ما هو خبيث يعجبه باعتباره عالمه وأمانه ومشفاه؛
إنه يحسن الصمت وعدم النسيان والانتظار، وكيف يصغر نفسه لبعض الوقت
وكيف يستكين. إن هكذا عرقاً بشرياً [273] جعل من الضغينة خاصته سوف
يكون بالضرورة أكثر تعقلاً⁶ في نهاية الأمر من أي عرق نبيل، بل هو سوف
يمجد التعقل⁷ بمقياس آخر تماماً: أعني باعتباره شرطاً للوجود من الدرجة الأولى،
والحال أن التعقل لدى الإنسان النبيل إنما يحمل في نفسه شيئاً من الحس المرهف
بالترف والتهذيب؛ - فهو في جوهره أقل ما يكون أهمية عن الاشتغال المأمون
للمغائر المعدلة للأواعية أو حتى عن عدم التعقل⁸، من قبيل الاستبسال والجراءة،
أكان ذلك على الخطر أم كان على العدو، أو تلك الوثبة الحمية من غضب
أو حب أو عرفان أو ثار، تلك التي بها تميزت النفوس النبيلة في كل زمان. إن
ضغينة الإنسان النبيل ذاته، متى طرأت عليه، إنما شأنها أن تحدث وتنطفئ في محض
انفعال وعلى عجل، فهي بذلك لا تسم [أحد]: بل هي في ذات المرار لا تطراً
أصلاً، حيث ما هي عند الضعفاء والعجز شيء لا يمكن دفعه. ألا يستطيع أحد
أن يأخذ أعداءه وهزائمه وحتى مساوئه مأخذ الجد لمدة طويلة - تلكم أماره على
الطباع العارمة والتامة، تلك التي تفيض منها قوة تشكيلية، متجددة، شافية،
وحتى باعثة على النسيان⁹ (وإن أفضل مثال على ذلك من العالم الحديث إنما هو

1 - "Sabbat"

2 - passivisch

3 - "edelbürtig"

4 - بالفرنسية في النص: الفرق اللطيف، الفارق، الميزة الفاصلة

5 - "aufrichtig"

6 - klüger. أكثر تعقلاً في معنى سلبى.

7 - Klugheit

8 - Unklugheit. عدم التعقل في معنى موجب أقرب إلى الإقدام والمضي في الأمر والعزم عليه.

قارن: ما وراء الخير والشر، § 191، حيث تقع المقابلة بين سقراط والأرستقراطيين الأثينيين.

9 - عن النسيان انظر: المقالة III، §§ 3-1.

ميرابو¹، الذي لم تكن له ذاكرةٌ للشوائم والإهانات التي يقرتها الناس في حقّه، والذي لهذا السبب عينه لا يمكنه أن يصفح، من أجل أنّه - قد نسي). إنّ إنساناً هذه شاكلته إنّما شأنه أن ينفذ عنه بدفعة واحدة كثيراً من الهوام التي لدى غيره من الناس تنتقش فيهم انتقاشاً؛ وإنّما هنا فحسب يكون ممكناً، متى فرضنا على العموم أن يكون ممكناً على الأرض، "أن يحب المرء أعداءه"² حبّاً صميماً. أيّ قدر من المهابة يكتسب الإنسان النبيل لأعدائه! - وهل هكذا مهابة إلاّ جسراً للمحبّة... فإنّما هو يطلب عدوّه لنفسه، كما تميّز يخصّه، إذ هو لا يحتمل أيّ عدوّ آخر غير ذاك الذي لا شيء فيه يُعابُ أمّا ما يُجَلُّ فكثير! والآن لتمثّل "العدوّ" كما تصوّره إنسان الضغينة - [274] فإنّما هاهنا مفخرته واختراعه الخاص: لقد ابتكر مفهوم³ "العدوّ الشرّير"، "الشرّير"، وعلى الحقيقة بوصفه المفهوم الأساسي، الذي منه انتحل أيضاً، نسخةً منه ونقيضاً له، "خيراً" ما - هو نفسه! ...

11.

تماماً بعين الضدّ ممّا هو الشأن لدى النبيل، الذي يتصوّر "الكريم"⁴ قبلاً وعفواً، بمعنى من ذات نفسه، ثمّ من بعد فحسب هو يخلق لنفسه تمثلاً ما عن "اللئيم"! هذا "اللئيم" ذو الأصل الأرستقراطي وهذا "الشرّير" المخلوط في رجل الكراهية التي ليس لظمئها مسدّ - الأوّل ابتكارٌ يلحق إلحاقاً، أمرٌ جانبيّ، لونٌ مكمل، أمّا الثاني فهو الأصل، البدء، الفعل الصميّم في تصوّر أخلاق العبيد - كم هما متباينان هذان اللفظان: "اللئيم" و"الشرّير"، اللذان يقابلان في الظاهر عين المفهوم: [الرجل] "الخير"! لكنّ الأمر لا يتعلّق بمفهوم "الخير" نفسه: فالأرجح أن يسأل المرء، بعين الضدّ من ذلك، من هو "الشرّير" على الحقيقة، في معنى أخلاق الاضطغان. وبكلّ صرامة علينا أن نجيب: هو بالتحديد [الرجل] "الخير" في الأخلاق الأخرى، بالتحديد هو النبيل، القادر، السائد، إنّما مفسوخ اللون فحسب، محرّفاً عن معانيه فحسب، متفرّساً فيه فحسب، عبر العين السامة للاضطغان. ثمّة هنا شيء واحد نريد أن نكون آخر من ينكره: من لم يتعلّم

1. Mirabeau -

2 - قارن مع: ما وراء الخير والشر، § 216.

3 - concipit -

4 - "gut" -

5 - der Herrschende -

أن يعرف هؤلاء "الأخيار" إلا أعداء، هو لم يتعلّم أن يعرف إلا أعداء أشراراً، وهؤلاء القوم¹ أنفسهم، الذين لَشَدَّ ما هُمْ²، inter pares³، مقيّدون بالعادات³ والبرّ⁴ والعرف والعرفان، وأكثر من ذلك بالاحتراس من بعضهم، بالغيرة والحمية، والذين هم، من جهة أخرى، يثبتون كم هُمْ، في سلوكهم إزاء بعضهم البعض، حدّاق في المراعاة والسيطرة على النفس والشعور باللطف والوفاء والفخر والصدّاقة، - هؤلاء هم، فيما خرج عن ذلك، هاهنا حيث يبدأ الغريب، حيث يبدأ الدغرباء، ليسوا أفضل بكثير من الوحوش الضارية⁵ فُكَّت قيودها. هاهنا هم يتمتّعون بالحرية من كلّ إكراه اجتماعي، هم يتعرّون بالغابة المقفرة عن التوتّر الذي [275] يسبّبه سَجَنٌ وحبسٌ طويل في سلام الجماعة⁶، هم يرتدّون عوداً على بدء إلى البراءة التي في ضمير⁷ - الوحش⁸، مثل جبابرة يمرحون، كأنّما انصرفوا على الأرجح من كوكبة مقيّنة من القتل والحرق وانتهاك الحرمات والتعذيب، مع ضرب من الغرور الماخن وأثران النفس، كما لو كان ذلك لا يعدوا أن يكون شيئاً من عبث الطلبة، وهم على قناعة من أنّ الشعراء قد بات لديهم مرة أخرى، ولأمد طويل، شيء ما يتغنّون به ويمجّدون. وفي عمق جميع هذه الأعراق النبيلة، ليس لأحد أن ينكر الوحش الكاسر، الدابة الشقراء، الرائعة، الشهود، المتعطّشة للغنيمة والانتصار؛ وبين الفينة والأخرى يحتاج هذا العمق الدفين إلى شيء من الانفجار، فلا بدّ للحيوان أن يطلّ برأسه مرة أخرى، لا بدّ أن يعود إلى القفار الموحّشة من جديد: - أكان النبلاء روماً أم عرباً، جرماناً أم يابانيين، أكانوا أبطالاً هومييريين أم فيكنغ إسكاندينافيين - في هكذا حاجة هُمْ كانوا سواء. الأعراق النبيلة، هي تلك التي تركت مفهوم

Menschen - 1

2 - باللاتينية في النصّ وتعني العبارة "بين الأنداد" أو "بين النظراء" أو "بين المتساوين".

Sitte - 3

Verehrung - 4

5 - قارن: الفقرة 13. ويرجح شراح نيتشه أنّ نموذج الوحش لدى نيتشه هو الأسد. راجع: "التحوّلات الثلاثة" في حدث زرادشت قال.

Gemeinschaft - 6

7 - لفظة "الضمير" ساقطة في ترجمة: غاليلهار 1971: 40.

8 - die Unschuld des Raubthier- Gewissen. علينا الإبصار بالتقابل الذي يصرّفه نيتشه بين "ضمير الوحش" المرح والبريء والعاث والأرستقراطي والسطحي والعفوي وبين ضمير العبد المتنكر أو الدفين المستبطن في الضغينة والشعور بالذنب. قارن: الفجر، § 429.

"البربري"¹ على جميع آثارها، أينما ذهبت؛ بل في أوج تحضرها إنما يفضحها وعيٌ بذلك وحتى كبرياء (كمثل قول بريكلاس إلى الأثينيين، في ذلك التأين الشهير: "إلى كل بلد وبحر شقت لنا جرأتنا طريقاً، وبكل أرض كان لنا في المعروف وفي المنكر² معالم لا تبلى"). "جرأة" الأعراق النبيلة، وهي لعمري جرأة مجنونة، عابثة، خاطفة، كما تعبر عن نفسها، وما لا يتوقع وما لا يصدق في ما تأتي من أفعال جسام - وبريكلس قد خصّ بالذكر ῥαθυμία³ / "رائيميا" الأثينيين - عدم اكتراثهم واستخفافهم بالأمن والجسد والحياة والترف، الصفاء المفزع وعمق اللذة في كل دمار، في كل استمتاع بالنصر وبالقساوة - كل ذلك يُردّ عند الذين⁴ يألمون إلى صورة "البربري"، و"العدو الشرير"، كحال "القوط"⁵ و"الوندال"⁶. إنّ الذعر العميق والجليدي الذي يثيره الألماني ما إن يأت إلى السلطة، كما هو الحال اليوم مرة أخرى - إنها هو دوماً رجّع [276] لتلك الرهبة التي شهدتها أوروبا قروناً عدداً من هوج الدابة الجرمانية الشقراء (وإن لا يكاد يوجد بين الجرمان القدامى ونحن الألمان قرابة في المفهوم، فما بالك في قرابة الدم). وقد تبّهت في موضع آخر⁷ على تردّد هزبود، حين ابتدع تعاقب عصور الحضارة وحاول أن يعبر عنها بالذهب والفضة والحديد⁸؛ هو لم يعرف كيف يأتي على التناقض الذي يرنو من عالم هوميروس، عالم رائع ولكن جدّ مروع وجدّ جائر، إلّا بأن جعل من عصر واحد عصرين، ثمّ عَقّب أحدهما بالآخر تتري - فمرة عصر الأبطال وأنصاف الآلهة من طروادة وطيبة، كما ذلك العالم الذي ترسّب في ذاكرة الأعراق النبيلة، التي كانت ترى فيهم أسلافها الأقدمين؛ ثمّ

1 - يستعمل نيتشه مصطلح "البربري" للإشارة إلى نمط الحياة البدائي الذي مرّت به جميع الشعوب في أول أمرها: حالة النمط الأرستقراطي، أي الوحش البشري أو الدابة أو الحيوان الحر والفيج والبريء من كل تقويم خلقي لاحق. ولذلك فالبربري يكاد يرادف الغريزي أو الطبيعي أو البدائي وعموماً كل ما هو سابق على تخلّق الأخلاق وظهور الإنسان الأخلاقي. في البدء كان البربري في كل مكان. قارن: ما وراء الخير والشر، § 257.

2 - im Guten und Schlimmen

3 - rathymia - "رائيميا" أي خلوّ البال وصفاء المزاج ورخاوة النفس.

4 - Die

5 - Goth

6 - Vandale

7 - المقصود هو كتاب الفجر، § 189.

8 - هزبود، الأعمال والأيام، البيت 143 وما بعدها.

عصر المعادن، أي هذا العالم نفسه، كما كان يظهر لسلالة الذين استضعفوا ومُهبوا ونُكِّل بهم واستُجلبوا وبيعوا بيعاً؛ وكما عصرٌ من حديد، مثلما قيل، صلدٌ، صقَّع، قسَّي، لا رأفة له ولا ضمير، ساحقٌ كلَّ شيءٍ سحقاً ومُخَضَّبٌ بالدم كلَّ شيءٍ تخضيباً. لنفرض أن ذلك كان حقاً، وعلى كلِّ هو شيءٌ يُعتَقَد اليوم أنه "حقٌّ"، أن معنى كلِّ ثقافة هو أن تستنبت من الحيوان "البشري" المتوحش حيواناً أليفاً متمدناً، حيواناً داجناً، وبلا ريب قد يجب علينا أن نأخذ كلَّ غرائز الارتكاس والاضطغان، تلك التي استعملت في إلحاق العار بالأعراق النبيلة ومُثلِّها العليا ودحرها، باعتبارها أدوات الثقافة الحقيقية، على أن ذلك لا يعني بعدُ أن حاملي [تلك الغرائز] هم أنفسهم يمثلون الثقافة. وعلى الأرجح فإنَّ العكس ليس فقط أقرب إلى الظنِّ - كلاً! إنه اليوم واضح للعيان! أولاً حَمَّالو الغرائز التي تنقض الظهر وتحدها شهوة الثأر، سلالة كلِّ عبودية، أوروبية كانت أم غير أوروبية، كلِّ الشعوب² قبل الآرية على الخصوص - إنَّما يمثلون تحلُّف الإنسانية! إنَّ "أدوات [277] الثقافة" هذه إنَّما هي وصمةٌ عارٌ للإنسان، وبالحرِّي هي تهمةٌ، حجةٌ ضدَّ "الثقافة" بعامة! قد يكون المرء على حقٍّ في ألا يكفَّ عن الخوف من الدابة الشقراء التي في أعماق كلِّ الأعراق النبيلة وأن يأخذ حذره؛ ولكن من لا يودُّ أن يخاف مائة مرة، إذا قُدِّر له أن يستحسن ذلك، بدلاً من ألا يخاف³ ولكن لم يعد يستطيع أن يفلت من المنظر القَرَز لكلِّ من أخفق في مسعاه واستصغرت نفسه وذبل في منبته وخُدِّر تخديراً؟ أوليس هذا عاقبتنا؟ ما سبب اشمئزازنا اليوم من "الإنسان"؟ - إذ أننا نعاني من الإنسان، ليس في ذلك شكٌّ. - ليس ذلك بالخوف؛ بل على الأرجح، أنه لم يعد لدينا شيءٌ يجعلنا نخاف من الإنسان؛ أن الدودة "إنسان" قد أخذت الصدارة وغصَّت بها الأرض؛ أن "الإنسان الأليف"، العادي، المضجر، الميؤوس منه، قد تعلَّم بعدُ كيف يفاخر بنفسه وكأنَّه هدفٌ وقمة، وكأنَّه معنى التاريخ، وكأنَّه "الإنسان الأعلى"⁵؛ - أنه يملك بعض الحقِّ في أن يفاخر بنفسه على هذا النحو، وذلك بقدر ما يشعر أنه على مسافة من زحمة

ein Hausthier - 1

Bevölkerung - 2

3 - عن هذا المعنى التقويمي للخوف، قارن: ما وراء الخير والشر، § 201.

das Verhängniss - 4

5 - "höheren Menschen" als. هو نوع الإنسان الحديث الذي يزعم أنه غاية التاريخ وأنَّ التاريخ قد انتهى على يديه أو عند قدميه، كما نظر له هيغل على الخصوص.

الفاشلين والمرضى والذين سثموا وخذت روحهم، أولاء الذين بدأت أوروبا تشمّ اليوم نُتْنهم، ومن ثمّ بأنّه على الأقلّ لائق بعض الشيء، على الأقلّ مازال قادراً على الحياة، على الأقلّ من الذين قالوا للحياة نعم...

12.

- لن أكبت في هذا الموضع زفرةً وأملاً أخيراً. ولكن ما الشيء الذي هو عندي أنا بخاصة لا يُحتمَل تماماً؟ ما يكون ذاك الشيء الذي لا قِبَل لي به أبداً، ما الذي يشدّ على حلقي ويجعلني صديّاً؟ الهواء العفن! الهواء الوَحِم! أنّ شيئاً شوهاً قد أتى إلى جواربي؛ أنّ عليّ أن أشتّم أحشاء نفس شوهاً! ... إذ ما الذي لا يحتمله المرء فيما عدا ذلك من شدة وعوز وجوّ عبوس² وسقم³ وعناء وعزلة؟ في الحقيقة، للمرء طاقةٌ على كلّ ذلك، متى كان قد وُلد من أجل وجود بعيد [278] الغور ومحارب؛ فشأن المرء أن يعود دوماً من جديد إلى وضّح النور، شأن المرء أن يعيش دوماً من جديد ساعته الذهبية وأن يتتصر، - ومن ثمّ أن يتصب هناك، كما وُلد، غير قابل للانكسار، متوتراً، متأهباً للجديد، للأمر الأعسر والأبعد، كما قوس لا تزيد الشدة إلا انتصاباً. - ولكن جودوا عليّ بين الفينة والأخرى - متى فرضنا أنّ هاهنا ربّات تحميننا، ما وراء الخير والشرّ - بنظرة، جودوا عليّ بنظرة واحدة فقط على شيء مكتمل، لائق تماماً، سعيد، مقتدر، منتصر، حيث لا زال شيء ما ينبغي خشيتُهُ! جودوا عليّ بنظرة على إنسان يرّر الإنسان، على حُسن طالع للإنسان، متّمم له ومخلص، بفضلِهِ يمكننا أن نحافظ على الإيمان بالإنسان! ... كذا هو الأمر: إنّ تصغير الإنسان الأوروبي وتسويته على سمت واحد لينطوي على أكبر الأخطار، ذلك بأنّ هذا المنظر مَنَعِبٌ للخواطر⁴. ... نحن لا نرى اليوم شيئاً يريد أن يصير أعظم من نفسه، ونحن نتوجّس الأمر يسير حَذراً، ولا يزال حَذراً، نحو شيء أرقّ وأطيب وأرزن وأكثر ترفاً وأكثر عاميةً وأقلّ اكترائاً، شيء صينيّ أكثر ومسيحيّ أكثر فأكثر -

1 - بالمعنى الحرفي: "هواء سيّء" (schlechte Luft).

2 - das böse Wetter -

3 - عن معنى "السقم" (das Siechtum) الذي يُقعد المرء ويؤدي إلى "التشاؤم" الدفين، وليس فقط "المرض" بعامة (Krankheit)، قارن: المعرفة المرحّة، § 3.

4 - قارن "المقالة، III، § 26؛ ما وراء الخير والشر، § 10.

5 - behaglicher. لفظة ساقطة في ترجمة: غاليلار 1971: 44.

الإنسان، ليس في ذلك شك، إنما شأنه أن يصبح دائماً "أفضل"... هاهنا يكمن قدر أوروبا المحتوم - مع الخوف من الإنسان، نحن فقدنا أيضاً محبة الإنسان، وتهيّب حرمته، والرجاء فيه، بل وإرادتنا له. ألا إنّ بنا سأمًا من منظر الإنسان - وما هي العدميّة¹ اليوم، إن لم تكن هذا؟... لقد سئنا من الإنسان...

13.

- وعلى ذلك فلنعد إلى ما سبق: إنّ مشكل الأصل الآخر لد "خير"، للخير كما تحيّل إنسان الاضطغان، إنما يريد حلاً² - أجل، أنّ الحُمْلان³ حنقاً على كبار الجوارح [279]، فذلك ما لا يُستغرب؛ بيد أنّه ليس من سبب أبداً لأن نؤاخذ الجوارح على خروجها في طلب الحُمْلان، وحينما تقول الحُمْلان فيما بينها "هذه الجوارح شريرة؛ أمّا من هو أقلّ ما يكون طيراً جارحاً، بل بعين الضدّ منه، هو حَمَلٌ، - ألا يجب أن يكون خيراً؟"، فإنّه ليس ثمة ما يُلام على أن يُسَيّد هكذا مثل أعلى، سوى أنّ الجوارح سوف تنظر إلى كلّ ذلك سُخْرِيّاً، وربما قالت في نفسها: "أبداً ليس بنا حنقٌ عليها، تلكم الحُمْلان الطيبة"، بل نحن نحبّها؛ فليس أشهى مذاقاً من حَمَلٍ طريّ. "أن نطلب من القوّة ألاّ تظهر في مظهر القوّة، ألاّ تريد أن تكون غلبةً واستيلاءً وسؤددًا، ألاّ تكون ظمًا إلى الأعداء، مقاومةً وانتصاراً، إنّما هو أمرٌ عجابٌ، كمثل أن نطلب من الضعف أن يتبدّى في هيئة القوّة. إنّ قَدْرًا من القوّة هو بعينه هكذا قَدْرٌ من الغريزة والإرادة والفعل - وبالحرّيّ فهو ليس شيئاً آخر غير هذه الغريزة بعينها، هذه الإرادة، وهذا الفعل، وهل كان ذلك إلّا من فتنة اللغة (والضلالات الكبرى للعقل المتردّمة فيها)، تلك التي تفهم وتسيء فهم كلّ فعل بوصفه مشروطاً بفاعل ما، بـ "ذات" ما.

1 - قارن "التصدير، § 5.

2 - هنا يأتي نيتشه إلى الفحص عن الرابع من المفاهيم التي كوّنت عنوان المقالة الأولى: بعد استكشاف معاني "الكريم" و"اللئيم"، وبعد بيان معنى "الشرير"، جاء دور مفهوم "الخير".

3 - علينا إِبْصَارَ التقابل بين الحُمْلان (أخلاق العبيد) والجوارح (أخلاق الأسياد): بين إرادة الثأر السالبة التي تنفي قدرتها على الوجود وإرادة الاقتدار الموجبة التي تثبت للحياة. والاضطغان هو التفكير في إرادة اقتدار القوي (أنّ الطير الجارح يريد فريسته) بوصفها كرهاً (أنّ الطير الجارح يحقد على فريسته)، أي وصف القوي في معجم الضعفاء.

gut - 4

5 - "Subjekt" - يجمع نيتشه في هذه اللفظة الخطيرة بين معنيين (وهو مغزى وضعها بين هلالين): بين معنى نحوي (الفاعل في الجملة) ومعنى فلسفي (الذات أي الأنا أفكر المؤسس

ومثلما أنّ الشعب يفصل البرق عن سناهِ ويرى في هذا السنا عملاً¹، فعلاً قامت به ذاتٌ، تُسمّى البرق، كذلك أخلاقُ الشعب تفصل القوة عن مظاهر القوة²، وكأَنَّها وراء القويّ ثمة جوهر³ غير مكترث، هو حرٌّ⁴ في أن يُظهر القوة أو لا يُظهر⁵. غير أنّه ليس ثمة هكذا جوهر؛ ليس هاهنا من "كينونة"⁶ وراء العمل⁷ والفعل والصيرورة؛ لقد أضيف "الفاعل"⁸ إلى الفعل سببلاً، - فإنّما الفعل هو الأمر كلّهُ. وعلى الحقيقة فإنّ الشعب يضاعف الفعل، وإنّ يجعل البرق يسنو فذاك فعلٌ-الفعل: إذ هو يأخذ عينَ الحدث تارة سبباً وطوراً مفعولاً لذا السبب. ولا يفعل علماء الطبيعة أفضل من ذلك متى قالوا "تحرّك القوة، وتتسبب القوة في..". وما جانس ذلك، - فإنّ علمنا برّمته، رغم كلّ برودته وتحرّره من المشاعر، إنّما لا يزال تحت فتنة اللغة⁹ ولم يخلص من الربائب المدسوسة عليه، من قبيل "الذوات" (فإنّ الذرة على سبيل المثال هي ربيبة من هذا الجنس، كما "الشيء في ذاته" الكانطي): أيّ عجب في أن تقوم مشاعر الثأر والكراهة، الكظيمة، المتوهّجة على نحو خفيّ، باستغلال هذا الإيمان لنفسها، حتى أنّها بالأساس لن تحافظ على أيّ إيمان بنفس الحرارة التي تحافظ بها على ذاك الذي يقضي بأنّ القويّ حرٌّ في أن يكون ضعيفاً، والطير الجارح حرٌّ في أن يكون حملاً: - كذا هي تكتسب لنفسها الحقّ في أن تتهم الطير الجارح بكونه طيراً جارحاً... فحينما يأخذ الذين سيموا خسفاً وداستهم الأقدام وجار الناس عليهم، في نُصح أنفسهم، وهم يمكرون مكر العاجز وقد صدي إلى ثأره: "لنكنْ شيئاً آخر غير الأشرار، لنكنْ خيرين!" وخيرٌ هو ذاك الذي لا يجور، ولا يؤدي أحداً، الذي لا يعتدي

لدلالة "الموضوع". - عن نقد نيتشه للذات الحديثة (أنا، أنا أفكر، أنا أدرك، ..) ولوهم المناطقة عن "الفاعل" أو "الموضوع". قارن: ما وراء الخير والشر، §§ 16-17.

ein Thun - 1

2 - الفصل بين القوة ومظهر أو مفعول القوة هو موقف العبيد والضعفاء. أن يعتمد الضعيف للحكم على القوة بأنها خيالية أو قبيحة حتى يتحرر منها أو ينتصر عليها.

ein Substrat - 3

freistinde, freistehen - 4

5 - قارن: المقالة II، § 16؛ أقول الأصنام، VI.

"Sein" - 6

7 - قارن: أقول الأصنام، فصل "الأخطاء الكبرى الأربعة".

"der Thäter" - 8

9 - قارن: المقالة III، 24 وما بعدها.

في جنياالوجيا الأخلاق

ولا يقتصّ، والذي يكِل الثأر للربّ، ذاك الذي يقف مثلنا في الخفاء، يعدل عن طريق الشرّ وبعامة لا يبتغي من الحياة إلّا نزرًا، مثلنا نحن الصابرين، الخاشعين، الحاكمين بالعدل" - ذلك لا يعني على الحقيقة، متى أنصتنا إليه لا نلتفت لفت عصيّة أو هوى، شيئا آخر غير هذا: "نحن الضعفاء ضعفاء، كذا نحن¹؛ فمن الخير لنا ألاّ نفعل شيئا، لسنالهِ بأقوياء كفاية" - على أنّ هذه الواقعة المرّة، هذه الرصانة التي هي من أوضع الدرجات، والتي لا تعزب حتى عن الحشرات (التي يغلب الظنّ أنّها تماوت حتى لا تفعل شيئا "فُرطاً"²، متى ألمّ بها خطبٌ عظيم)، هي بفضل ما في العجز من تزيف وكذب على النفس، قد أخذت لبوس³ الفخامة التي ترنو على فضيلة التنسّك، الصموت، ذات الأناة، كأنّها ضعف الضعيف ذاته - بمعنى ماهيته⁴، فعله، حقيقته⁵ الوحيدة، التي لا مندوحة منها ولا مناص - قد كان صنيعاً أتاه طوعاً، شيئا مُراداً، مختاراً، عملاً يفخر به⁶ وفضلاً عظيماً⁷. هذا الرهط من البشر هو في حاجة إلى الإيمان بـ "ذات" تقف من الأمور على استواء⁸، حرّة مخيرة، وذلك بفعل غريزة البقاء وإثبات النفس التي بها تعودت كلّ أكذوبة أن تبرّر⁹ نفسها. إنّها الذات (أو في نحو أقرب إلى قالة الشعب، النفس¹⁰) ربّما كانت إلى حدّ الآن مبدأ الإيمان الأفضل على وجه الأرض، وذلك من أجل أنّه قد مكّن أغلب الفنانين والضعفاء والقانطين على كلّ شاكلة، من هذا النحو الرائع من خداع النفس، الذي يتأوّل الضعف بوصفه حرّة، وأن يكون فلاناً¹¹ باعتباره فضلاً عظيماً¹².

nun einmal - 1

"zu viel" - 2

kleiden - 3

das Wesen - 4

Wirklichkeit - 5

eine That - 6

der Verdienst - 7

indifferent - 8

heiligen - 9 - يلمّح نيتشه إلى معنيين: 1. تبرير النفس؛ و2. تنزيه النفس وتقديسها.

die Seele - 10

So- und So-sein - 11

12 - إنّ انتصار الضعفاء يكمن في ضيخّ الشعور بالذنب في أنفس الأقوياء والزجّ بهم في بوتقة أخلاق العبيد وذلك بواسطة رطانة الاضطغان: دفع الكريم إلى استبطان عدوانيته في شكل

- هل يريد أحد أن يجيل بصره في غيابة السرّ فيرى كيف يصنع الناسُ المثل العليا على الأرض؟ هل من يجسّر على ذلك؟ ... هيا! إنّا هنا يفتح البصر على تلك الورشة² القائمة. انتظرا لحظة أخرى يا فضولي ويا مقدّم: إنّ على عيونكما أن تتعوّد على هذا النور الكاذب البراق ... هو ذاك! كفى! تكلم الآن! ماذا يجري هناك في الأسفل؟ قل ماذا ترى، يا صاحب الفضول الأشدّ خطراً - فالآن، أنا الذي سوف يصغي. -

- "أنا لا أرى شيئاً، على أنّي قد صرت أرهف سمعاً. ثمّة همسٌ ووسواس حذر، مكر، خافت، من كل ركن وزاوية. ويبدو لي أنّهم يكذبون؛ ثمّة دماء حلوة تعلق بكلّ نبرة. كذبونا³ أنّ على الضعف أن يصير فضلاً عظيماً، ليس في ذلك من شكّ - إنّ الأمر كما تقول." -

- ثمّ ماذا!

- "أن يصير العجز الذي لا ينتقم "طيبةً"؛ والضعفُ الرعيّة "خشوعاً"؛ والخضوعُ للذين بنا لهم كرهٌ، "طاعةً" (وعلى الأخصّ لواحد يقال عنه إنّه يأمر بذا الخضوع، - يسمّونه ربّاً). إنّ مسألّة الضعيف، الجبنَ عينه، الذي به أغنى، بقاءه - على - الباب⁴، أنّه لا مناص له من أن ينتظر، إنّما يتخذ هنا اسماً جميلاً، من قبيل "الصبر"، بل قد يتسمّى بالفضيلة⁵؛ ولا - يستطيع - أن - يثار صار يعني لا - يريد - أن - يثار، بل ربما حتى قد غفر ("فما كان لهم أن يعلموا ما يفعلون - نحن وحدنا نعلم ما هم يفعلون!")⁶. كذلك يتحدث الناس عن "حبّ المرء أعداءه" - ويلقون من ذلك عرق القربة."

ضمير معذب، حتى يقتنع في آخر المطاف بأنّه يكره نفسه أو غير قادر على محبة نفسه كما هو.

1 - قارن: المعرفة المرحّة، §§ 151 و 353؛ الفجر، § 62؛ أفول الأصنام، فصل "الأخطاء الكبرى".

2 - ورشة أو معمل الاستيطان العدمي للشعور بالذنب ولعبة الخطيئة والخلاص.

3 - umlügen

4 - die "Güte"

5 - sein An-der-Thür-stehen

6 - die Tugend

7 - من كلام المسيح على الصليب: لوقا 23، 24.

- ثم ماذا!

- "إنهم لفي بؤس، ليس في ذلك من شك، كل أولاء أصحاب الهمة والزائفين في خباياهم¹، وإن كانوا معتكفين بعضهم لبعض حميم- بل هم يقولون، إن بؤسهم كان خيرة لهم من الرب وتمييزاً، فالمرء يضرب الكلب الذي هو أحب إلى نفسه؛ ولعل هذا البؤس كان عُدّة وبلاء ومراناً، لعله كان أكثر - شيئاً ما، سوف يُجزي به يوماً ويدّر أرباحاً ذهباً، كلاً! بل يُصرف له من الأجر السعادة. كذا ما يسمّى عندهم باسم "النعيم"²."

- ثم ماذا!

- "هم بعثوا نفسي على الفهم بأنهم ليس فقط أفضل من الأقوياء وأسياد الأرض، الذين ينبغي أن يلحقوا لعابهم (وليس ذلك خوفاً، أبداً ليس ذلك من خوف! وإنما لأنّ الرب يأمر بتمجيد كل سلطان³)- أنهم ليس فقط هم الأفضل، بل أنهم "الفائزون"⁴، وأيّاً كان الأمر فشأنهم أن يكونوا الفائزين يوماً ما. ولكن قصاراك! فأنا لا أطيق لهذا احتمالاً. أيّ هواء وخيم هذا! أيّ هواء وخيم! إذ يُحْتَل إلى أنّ هذه الورشة حيث تُصنع المثل العليا - إنما يفوح منها كذبٌ صُراخ."

- كلاً! مهلاً! فأنتم لم تقولوا بعد شيئاً عن مآثر أولاء أرباب السحر الأسود، أيّ بياض وأيّ لبن وأيّة براءة من هذا الأسود يصنعون: - هل رأيتم إلى كمالهم في التلطف، وإلى لمسة الفنان الأكثر اجترأ والأشد رقة والأثري روحاً والأعرض تكذاباً؟ أولاء حيوانات الألفية تغصّ ثاراً وكرهاً - ماذا عساها تصنع من الثأر والكره خصوصاً؟ هل تناهى إلى أسماعكم يوماً هكذا كلمات؟ هل كان ليدور في خلدكم يوماً، لو عقدتم ثقتكم على كلماتهم فحسب، أنكم توجدون بين ظهرائي أناس الاضطغان بأعينهم؟...

- "لقد فهمت، سأفتح أذني مرة أخرى (آه! آه! آه! وأسد أنفي). ها أنا أفهم الآن ما قالوه قبل ذات المرات: "نحن الخيترين - نحن أولي العدل" - فما يدعون، لا يسمونه اقتصاصاً، بل

Winkel-Fälschmünzer - 1

die "Seligkeit" - 2

Obrigkeit - 3

"besser hätten" - 4

lügenreichst - 5

[283] "نصراً للعدالة"¹؛ وما يكرهون، لا يسمّونه عدوّاً، كلاً! فهم يكرهون "الظلم"²، و"الكفر"³؛ وما يؤمنون به وما يرجون، ليس برجاء في الثأر، وترثّف لحلاوة الثأر ("أحلى من عسل"، كذا نعتة هوميروس⁴ من قبل)، وإتّما هو نصر الربّ، الربّ العادل على الكفّار؛ وما لهم بعدُ من شيء على الأرض يُحبّ، ليس إخوانهم في الكراهية، بل "إخوانهم في المحبّة"⁵، كما يقولون، كلّ الخيرين وأهل العدل على وجه الأرض."

- وكيف يسمّون ما يكون لهم عزاء عن كلّ آلام الحياة- سراب النعيم الآتي الذي سبّقه لأنفسهم؟

- "كيف؟ هل سمعت جيّداً؟ إنهم يسمّونه "يوم الحساب"⁷، يوم قدوم مملكتهم، "مملكة الربّ"، أمّا في الأثناء⁸، فإنهم يعيشون "في الإيمان"، "في المحبّة"، "في الرجاء"⁹.

- كفى! كفى!

15.

في الإنسان بَم؟ في المحبّة لَم؟ في الرجاء فيَم؟ هؤلاء الضعفاء- إذ، يوماً ما، هم يريدون أيضاً أن يكونوا الأقوياء، ليس في ذلك من شك، يوماً ما، ينبغي أن

1- يزعم الضعفاء أن انتصارهم ليس لهم بل تحقيقاً للعدالة: هنا ينقلب المثل الأعلى الذي يجاربون من أجله إلى معمل لصناعة الضعف: إرادة اقتدار لا تؤمن بنفسها. فتلجأ إلى مثل عليا بلا توقيع.

2 - "das 'Unrecht'"

3 - "Gottlosigkeit"

4 - إشارة إلى: هوميروس، الإلياذة، النشيد XVIII، البيت 109.

5 - مثلاً: رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي الأولى، 3: 12.

6 - Phantasmagorie

7 - "das Jüngste Gericht"

8 - يعوّل الإنسان الديني على "الآتي" بشكل مثير: إنّه لا يزال دوماً في انتظار "اليوم الآخر" ولذلك فإنّ "الآخرة" كشكل ارتكاسي من المستقبل هي مزرعة الكاهن والمؤمنين به. وذلك في مقابل احتفاء النمط الأرستقراطي بدلالة "الماضي" أي دلالة "كرم الأصل" و"شرف النسب"... إنّه يريد أن يثبت شيئاً يملكه، أمّا العبيد فإنّهم يريدون امتلاك ما لا يملكون: عالماً آخر يكونون فيه في مأمن من سطوة الأسياد. لذلك هم ما فتئوا يخلقون أشكالاً مبيّنة من المستقبل.

9 - بولس، رسالة كورنثوس الأولى، I، 13.

تأتي "مملكة" -هم أيضا- "مملكة الرب"¹، وهل كانت لتسمى عندهم إلا كذا اسما، كما قيل: على المرء أن يكون في كل أمر خاشعا متضرعا! ولو تعلق الأمر بأن نجرب² ذلك فحسب، لاحتاج المرء أن يعمر³ طويلا، فيما بعد الموت، - أجل، سوف يحتاج المرء إلى الحياة الأبدية، حتى يمكن للمرء أن يتعوض في "مملكة الرب" عوضا أبديا عن هاته الحياة الأرضية "في الإيمان والمحبة والرجاء". عوضا عن ماذا؟... يُخيل إلي أن دانتى قد ضل ضللا كبيرا عندما عمد، بسذاجة فظيعة مذهلة، إلى إثبات هذه النقيسة على باب الجحيم⁴ "أنا أيضا خلقتني المحبة الأبدية"⁵ - على باب الفردوس المسيحي و"نعيمه الأبدي"⁶ [284] إنما الأحق بأن يُثبت هو على الأرجح هكذا نقيسة "أنا أيضا خلقتني الكراهية الأبدية" - متى فرضنا أنه يسوغ أن تنتصب حقيقة على باب أكذوبة! ... إذ ماذا يكون النعيم في هكذا فردوس؟ ... ربما بإمكاننا أن نحزره للتو؛ وعلى ذلك، من الأفضل أن نأخذ بشهادة سلطة لا يُستهان بها في هكذا أمور، نعني توماس الإكويني⁷، العالم والقديس الكبير. "إن المنعمين في مملكة السماء"، كذا يقول كحمل وديع، "إنما شأنهم أن يروا إلى آلام المعدّبين عسى أن يزيدهم ذلك نعيما"⁸. أم أن المرء يريد أن يسمع، في نبرة أقوى، شيئا على لسان أب كنسي منتصر، يُثني مسيحيته عن المتع الفظة للمشاهد العمومية - ولكن لماذا؟ "ذلكم بأن الإيمان قد منحنا شيئا أكثر، - كذا يقول⁹، شيئا أكثر قوة، وبفضل الخلاص تمثل تحت أمرنا مباحج أخرى تماما؛ وبدلاً عن الرياضيين، نحن لدينا شهداؤنا؛ فإذا أردنا دما، فإنّ لنا دم المسيح... ولكن أي شيء ينتظرنا يوم رجعت وانتصاره!" - ثم يستمرّ هذا العراف المفنون قائلاً: "بيد أنه ثمة مشاهد أخرى: ذلك اليوم الآخر، الذي لا تنظره الأمم الوثنية وتأخذه سخرتاً، يوم تهلك هذه الأمة من

1 - تبدو مملكة الرب بوصفها صيغة مقلوبة من الثأر الذي يقوم به الضعفاء ضدّ إرادة اقتدار الأقوياء. وذلك هو السياق الذي يتم فيه وصف الأقوياء بأنهم "أشرار" في مقابل "الخيرين" أي الضعفاء والمظلومين.

2 - erleben

3 - leben

4 - قارن: المقالة III، 10. وكذلك: ما وراء الخير والشر، §§ 37 و 129.

5 - دانتى، الكوميديا الإلهية. الجحيم، النشيد الثالث. الأبيات 5-6.

6 - هذه المرة الوحيدة التي أحال فيها نيتشه على توماس الإكويني.

7 - باللاتيني في النص الأصلي:

"Beati in regno coelesti videbunt poenas damnatorum, ut beatitudo illis magis complaceat." Cf. Saint Thomas, *Commentaire sur le livre des sentences*. IV, L., 2, 4, 4.

.De Spectaculis, c. 29 ff- 8

الناس وأجياها في نار واحدة. أيّ مشهّد هول يومئذ! أيّ عجب سيأخذني! أيّ ضحك! يا متعتي! يا بهجتي، إذ أرى، ملوكاً شتّى، عُظُموا وأهلوا، مع المشتري¹ ذاته، ومع أشهادهم، يثنون سوياً في ظلمات ليس لها غور! كما الحكّام (حكّام الأقاليم) الذين اضطهدوا اسم الربّ؛ سيسوخون في لهب قساوة أشدّ وقعا من تلك التي بها قذفوا النصارى. وكذا الفلاسفة الحكماء، الذين قالوا بأنّ الأرباب ليس بها اكتراتٌ ببني الإنسان، وأنّ النفوس لم تكن شيئاً أو أنّها لن تعود إلى أجسامها أبداً، سوف يتلفون وتحمرّ وجوههم خجلاً أمام أتباعهم من النار. كذلك الشعراء، ترتعد فرائسهم وليس ذلك أمام محكمة رادامانت² ومينوس³، بل أمام محكمة المسيح! عندئذ، يحسن سماع التراجيديين، إذ أصواتهم [285] تصدح بشقائهم أعلى فأعلى (إذ تحسن أصواتهم بقدر ما يزدادون صياحاً)؛ وإنّما عندئذ نعرف المهرجين وقد خفّت نفوسهم من النار؛ وإنّما عندئذ تكون فرجة على سائق العربة يحمرّ احمراراً في عجلة من لهيب؛ وإنّما عندئذ يكون تأملٌ في المصارعين والرماة، وليس ذلك في المضمار وإنّما في النار؛ على أنّي ليس بي رغبة حتى في أن أراهم أحياء⁴، بل أن أرى إلى الذين أساءوا إلى الربّ، مرأى لا تشبع منه العين. "هوذا، كما قلت، ابن الحدّاد والبغية (كلّ ما يلي هذا، وبخاصة هذه الإشارة التلمودية الشهيرة إلى أم يسوع، يبيّن أنّ ترتوليان⁵ بدءاً من هنا إنّما يقصد اليهود)⁷، ومدنّس السبت، والسامريّ ومملوك الجنّ. وهذا الذي اشتريته من يهوذا، والذي ضربته بالعصا واليد، ملطخاً في نفائسك، غمّس في مرّة وخل. وهذا الذي تلقّفته أتباعه سرّاً حتى يكون مبعوثاً، أو الذي زحزحه البستانيّ مخافة أن تدوس الراجلة على الطريق خسّاته. "فمن أجل أن ترى هكذا مشاهد، وحتى تبتهج أمام هكذا مشاهد، أيّ حاكم أو قنصل أو محاسب أو كاهن سوف يسدّ نفقتك؟... وعلى ذلك فهكذا مشاهد نحن نتوقّر بعدّ عليها بالإيمان، في العقل

Jupiter - 1

Rhadamanti - 2

Minois - 3

4 - جملة وضعها نيتشه بين قوسين.

5 - سجّل الشّراح على نيتشه كونه أخطأ في رسم كلمة عند استشهاده بجملة هذا الفصل 30 من كتاب ترتوليان "ضدّ التمثيل والمثلات"، إذ كتب "vivos" (أحياء) بدلا من "visos" (مرتّين). كأنّ نيتشه قد زاد من حدّة ما قاله ترتوليان في كره اليهود؟ وهذا أمر مجانب للحقيقة لأنّ ترتوليان لا يريد أن يمنح اليهود مشهداً لا يملون منه بل يريد على العكس من ذلك أن يراهم هم، أكثر من الوثنيين، يتخطون في ويلات الجحيم.

Tertullian - 6

7 - جملة وضعها نيتشه بين قوسين.

في جنبا لوجيا الأخلاق

والمختلة. بقي أنّ هذه أشياء ممّا لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر (I. Cor. 2, 9). وأغلب الظنّ عندي أنّها أمتع من السيرك والمدرّجين (الصفوف الأولى والرابعة، أو حسبها قال آخرون، المسرحان الكوميدي منهما والتراجيدي) وكلّ الملاعب.¹ - per fidem²: كذا كان مكتوباً.

16³

هيا إلى الخاتمة. إنّ القيمتين المتضادتين "كريم ولثيم"، "خيرّ وشرّير" إنّما تصارعتا على الأرض صراعاً مخوفاً تطاول قروناً عدداً؛ وعلى أنّ القيمة الثانية⁴

1 - النص اللاتيني الكامل هو:

"At enim supersunt alia spectacula ,ille ultimus et perpetuus iudicii dies ,ille nationibus insperatus ,ille desirus ,cum tanta saeculi vetustas et tot ejus nativitates un oigne haurientur. Quae tunc spectaculi latitudo ! Quid admirer! Quid rideam! Ubi gaudeam! Ubi exultem, spectans tot et tantos reges, qui in coelum recepti nuntiabantur, cum ipso Jove et ipsis suis testibus in imis tenebris congemescerent! Item praesides (..) persecutores dominici nominis saevioribus quam ipsi flammis saevierunt insultantibus contra Christianos liquescentes! Quos preaterea sapientes illos philosophos coram discipulis suis una conflagentibus erubescerent, quibus nihil ad deum pertinere suadebant, quibus animas aut nillas aut non in pristina corpora redituras affirmabant! Etiam poitās non ad Rhadamanti nec ad Minois, sed ad inopinati Christi tribunal palpitantes! Tunc magis tragoedi audienti, magis scilicet vocales (..) in sua propria calamitate ; tunc histriones cognoscendi, solitiores multo per ignem ; tunc spectandus auriga in flammea rota totus rubens, tunc xystici contemplandi non in gymnasiis, sed in igne jaculati, nisi quod ne tunc quidem illos velim vivos, ut qui malim ad eos potius conspectum insatiabilem conferre, qui in dominum desaevierunt. "Hic est ille, dicam, fabri aut quaestuariae filius (..), sabbati destructor, Samarites et daemonium habens. Hic est, quem clam discentes subriperunt, ut resurrexisse dicatur vel hortulanus detraxit, ne lactucae suae frequentia commearum leaderentur." Ut talia spectes, ut talibus exultes, quis tibi praetor aut consul aut quaestor aut sacerdos de sua liberalitate praestabit ? Et tamen haec jam habemus quodammodo perf idem spiritu imaginante repraesentata. Ceterum qualia illa sunt, quae nec oculus vidit nec auris audivit nec in cor hominis ascenderunt ? (I. Co. 2, 9) Credo circo et utraque cavea (..) et omni stadio gratiora."

2 - باللاتينية في النص: "بالإيمان".

3 - قارن: الفجر، § 205؛ ما وراء الخير والشر، §§ 46، 52، 195، 251؛ المسيح المضاد، §§ 24-27.

4 - يعني قيمة "الخيرّ والشرّير": التمييز الذي اخترعه الاضطغان وحولّه الكاهن إلى أخلاق للعبيد. وعلينا أن نبصر هنا بالتراتب الذي يلمح إليه نيتشه: أنّ قيمة "الكريم واللثيم" هي الأولى والمؤسسة؛ أمّا قيمة "الخيرّ والشرّير" فهي تابعة ومشتقة.

قد رجح ميزانها منذ أمد، فنحن لا زلنا إلى الآن لا نعدم أماكن حيث الصراع لا ينفك يصطرع دونها ضربة فيصل. بل للمرء أن يقول إنه في غضون ذلك ما فتى يدفع به أعلى فأعلى على الدوام، فصار بذلك أشد عمقا وأثرى روحاً¹ على الدوام: بحيث [286] إنه ليس ثمة اليوم، على الأرجح، من أمانة فاصلة على "الطبيعة العليا"²، على الطبيعة الأقرب إلى الروح³، مثل أن يكون المرء منقسماً على نفسه في ذلك المعنى وعلى الحقيقة ساحة وغنى لتلك الأضداد. وإن رمز هذا الصراع، مكتوباً بخط ظل إلى حد الآن مقروءاً على مدى تاريخ البشر برمته، إنها اسمه "روما ضد يهودا، يهودا ضد روما"⁴ - لم يوجد إلى الآن حدث أعظم من هذا الصراع، هذا الإشكال⁵، هذا التناقض المميت. شعرت روما أن في اليهودي شيئاً مثل عكس الطبيعة ذاتها، شيئاً من قبيل المسخ الذي هو لها ضديد؛ وفي روما اعتُبر اليهودي كائنًا "ثبتت إدانته" بكره الجنس البشري في جملة⁶؛ "عن حق، بقدر ما يكون للمرء الحق في أن يعقد خلاص الجنس البشري ومستقبله على الغلبة غير المشروطة للقيم الأرستقراطية، للقيم الرومانية⁷. فبم شعر اليهود إزاء روما؟ للمرء أن يحزر ذلك من ألف أمانة وأمانة؛ سوى أنه يكفي أن يضع في البال سفر يوحنا عن رؤيا نهاية العالم⁸، تلك الأكثر استحاشاً من كل ثورات النفس التي دُونت، التي يحملها الثأر عبءاً على الضمير. (بقي أنه على المرء ألا يسيء تقدير الاتساق العميق للغرائز المسيحية إذ سجلت كتاب الكراهية هذا باسم حوار⁹ المحبة خصيصاً، هو عينه الذي خصته بذلك الإنجيل المفعم بمحبة وحاسّة - هاهنا يوجد شيء من الحقيقة، مهما كان حجم

geistiger - 1

die "höhere Natur" - 2

geistiger - 3

Fragestellung - 4

überführt - 5

6 - قارن: تاسيت (Tacite)، الحوليات XV، 44.

7 - هي معركة بين شعوب الاضطغان التي أقامت قوتها على إفراغ نفسها من الحياة ووهبتها إلى "إله" ليس من هذا العالم وأهل الفعل الذين يريدون إثبات شكل الحياة الذي بحوزتهم كنمط من إرادة الانتهاء الفظيع والغد إلى مستطاع أنفسهم الأقصى على الأرض أي الاقتدار المحض كنوع جذري من البراءة والصحة الكبرى. التقابل بين اليهود والرومان هو تأويلي إذن ونفساني وليس تاريخياً أو سياسياً. قارن: المسيح المضاد، §§ 24-25.

die Apokalypse - 8

der Jünger - 9

التزييف الأدبيّ ضروريًا من أجل هكذا غاية). لقد كان الرومان هم الأقوياء والنبلاء، كما لم يكن أبداً أقوى وأنبل على الأرض إلى حدّ الآن، ولا خطر أبداً على نائم حلماء؛ كلّ بقية باقية منهم، كلّ نقيشة تسترق اللبّ، شريطة أن نحرز ما كان فيها منقوشاً. أمّا اليهود فإنّما كانوا ذلك الشعب من الكهان، شعب الاضطغان¹ par excellence، الذي تسكنه عبقرية أخلاقية-شعبية بلا مثيل: فحسبُ المرء أن يقارن الشعوب التي لها مواهب مجانسة، مع اليهود، من قبيل الصينيين أو الألمان، حتى يفقه ما الذي رُتبته الأولى وما الذي هي الخامسة. من الذي منها [287] انتصر مؤقتاً، روما أم يهودا؟ بيد أنّه ليس ثمة أدنى شك: فلننظر أمام من يركع الناس اليوم في روما ذاتها، كما أمام جوهر القيم العليا-وليس في روما فحسب، بل يكاد يكون ذلك على نصف الأرض، حيثما أصبح الإنسان داجناً² أو يريد أن يصبح داجناً، - أمام ثلاثة يهود، كما نعلم، ويهودية (أمام يسوع الناصرة، والصيد بطرس والحائك بولس وأُمّ المسمّى يسوع، المسماة مريم)، إنّ هذا لأمرٌ عجّاب: إنّ روما ولا ريب قد غلبت. أجل، كان ثمة في عصر النهضة صحوة رائعة مهية للمثل الأعلى الكلاسيكي³، لذلك النحو من التقويم النبيل لكلّ شيء: إنّ روما بذاتها تحرّكت، كمن يستفيق من موت ظاهر، تحت ثقل روما الجديدة، المهوَّدة⁴ التي بُنيت عليها، ترنو في منظر معبد⁵ يلقي بضلاله على المعمورة⁶ ويسمّى "كنيسة"⁷: لكنّ يهودا سرعان ما أخذت تنتصر مرة أخرى بفضل تلك الشاكلة من حركة الاضطغان (الألمانية والانجليزية) التي يعود أساسها إلى الرعاع⁸، التي نسمّيها الإصلاح⁹، بالإضافة إلى

1 - بالفرنسية في النص الألماني: "بامتياز".

2 - zahm

3 - علينا أن نأخذ هذا اللفظ بشكل موجب وحاسم: "كلاسيكي" هو كل تقويم نشط أعطى سلماً لقيم الحياة على الأرض، فهو إذن من اختراع النبلاء. كلاسيكي هو ما يخلق إرادة اقتدار ويسنّ إثباتاً كبيراً للحياة.

4 - judaisirt

5 - Synagoge

6 - ökumenisch

7 - المقصود هو النهضة الإيطالية وخاصة شخصية سيزار بورجيا السياسي ورجل الحرب الكبير ابن البابا الكسندر السادس. انظر: ما وراء الخير والشر، § 197 حيث يُقدّم بوصفه نموذجاً على الوحش الكاسر النبيل الطافح بالقوى الحية؛ وكذلك المسيح المضاد، § 61.

8 - pöbelhaft

9 - قارن: المعرفة المرحقة، § 358. - ينتصر نيتشه كما هو منتظر للنهضة الإيطالية (الفن والنزعة

ما كان ينبغي أن ينجم عنها، من ترميم¹ الكنيسة، - وكذلك ترميم الصمت الجنازري لروما القديمة. وفي معنى أكثر حسماً وأكثر عمقاً من ذي قبل، عادت يهودا مرة أخرى، مع الثورة الفرنسية، إلى الانتصار على المثل الأعلى القديم: فإذا بالنبال السياسية الأخيرة التي كانت توجد في أوروبا، نبالة القرنين السابع عشر والثامن عشر الفرنسيين، تنهار تحت غرائز الاضطغان الشعبى²، لم يحدث أبداً أن سُمعَ على الأرض تهليلٌ أكبرٌ وتحمُّسٌ أكثرَ صخباً! صحيح أنه أثناء ذلك قد حدث الأمر الجلل الذي لا يمكن أن يُنتظر: أنَّ المثل الأعلى القديم ذاته قد برز لحماً ودماً³ وفي بهاء لم يُسمع بمثله، على مرأى الإنسانية وضميرها، - ومرة أخرى، ولكن بشكل أقوى وأبسط وأنفذ من أي وقت مضى، وفي وجه الرهان⁴ الكاذب للاضطغان على فضل الأغلبية، في وجه إرادة الخط من الإنسان وإهانته وتوطئته⁵ [288] وانحداره وغروبه، دوى الرهان المعاكس، المهيب والبهيج على فضل الأقلية! وكما آخر سهم نحو السبيل الأخرى ظهر نابليون، ذلك الإنسان الأكثر فرداً وآخر المواليد من جنسه، متى وُجدوا أصلاً، وفي جعبته مشكل المثل الأعلى النبيل في ذاته، ومتجسداً- وعلى المرء أن يتدبّر جيّداً أيّ مشكل هو: نابليون⁶، هذه التآليفة من اللا-إنسان وما فوق الإنسان⁷...

الإنسانية وثقافة الجمال وتهذيب الروح) ضد الإصلاح الديني (لوثر وثقافة الضمير). الأولى إحياء للقيم الأرستقراطية، في حين أنَّ الثاني ضرب من تمرّد العبيد في الأخلاق: إعادة محو الحياة حول الشعور بالذنب وقياس إرادة الاقتدار بواسطة تقنية الاضطغان.

1 - Wiederherstellung

2 - من المهم أن نعرف التقابل الذي يقيمه نيتشه بين روسو (الذي نعتة نيتشه ذات مرة بأنه "أول إنسان حديث، مثالي وسوقي" ورمز للثورة الفرنسية بوصفها ثورة العبيد في الأزمنة الحديثة) وفولتير (الذي يصفه نيتشه بأنه "سيد كبير للعقل" ومناضل ضد سلطة الكنيسة). قارن: الفجر، تصدير § 3؛ أفول الأصنام، "تسكعات غير موافقة للعصر"، § 48؛ هذا هو الإنسان، فصل "إنساني، مفرط في إنسانيته".

3 - leibhaft

4 - Losung

5 - Ausgleichung

6 - قارن: الفجر، § 245.

7 - "اللاإنسان" في معنى الغول الجبار. أمّا "ما فوق الإنسان" فلا يعني طورا يتخطى أفق البشر (كالملائكة أو الفضائيين) بل أقصى مستطاع الطبيعة الإنسانية، والتي لا نستعمل منها إلا الطبقة الكسولة: الإنسان الأخلاقي الذي سئم من الحياة. ولا يملك نيتشه مثالا واحداً على ما فوق الإنسان بل هو يتمثل له بشخصيات عدة من قبيل نابليون ولكن أيضاً ستونداً وشكسبير وبورجيا...

17.

- هل ولى ذلك العهد وانقضى؟ هل أنّ هذا التضاد العظيم بين المثل العليا قد وُضع بذلك¹ ad acta إلى الأبد؟ أم أنّه قد أُجّل، قد أُجّل إلى أمد بعيد؟ ... ألا يجب أن تندلع يوماً ما شرارة من الحريق القديم، أكثر رعباً، وأعدّها إعداداً طويلاً؟ أفضل من ذلك: ألا يجدر بنا أن نتمنّى ذلك بكلّ قوانا؟ بل أن نريد ذلك؟ بل أن نفرض ذلك؟² ... من بدأ عند هذا الموضوع يشغل فكره، مثل قرّائي، بالذهاب في هذا التفكير قدماً، سوف يصعب عليه أن يبلغ نهايته قريباً، - إلاّ أنّها علة كافية عندي كي أبلغ إلى النهاية، متى فرضنا أنّه قد صار مفهوماً كفايةً منذ أمد طويل ماذا أريد، ماذا أريد على وجه الدقة بهذا الرهان الخطير، الذي جسّدته في كتابي الأخير: "ما وراء الخير والشر" ... وذلك لا يعني على الأقلّ "ما وراء الكرم واللؤم"³.

تنبيه. أنا أنتهز الفرصة التي وفّرتها هذه المقالة، كي أعترّ علناً وشكلاً رسميّ عن أمنية لم أصرّح بها إلّا في حوارات عارضة مع بعض العلماء: ألا وهي أنّه قد يجب على أية كلية فلسفة أن تنال السبق، عبر سلسلة من المناظرات الأكاديمية، في تشجيع الدراسات في تاريخ الأخلاق: - ولعلّ هذا الكتاب يصلح أن يكون دفعا قوياً نحو هكذا وجهة. ربّ إمكانية قد نقترح لها السؤال التالي، الذي يستحقّ عناية فقهاء [289] اللغة والمؤرخين كما علماء الفلسفة الحقيقيين:

"أية إشارات يوفّرها علم اللغة، والبحث الاشتقاقي⁴ على الخصوص، بالنسبة إلى تاريخ تطوّر المفاهيم الأخلاقية؟"

- أمّا من غير هذه الجهة فمن الواجب أيضاً أن نظفر بمشاركة الفزيولوجيين والأطباء في هذه المسائل (المتعلقة بقيمة التقويات السارية إلى حدّ الآن⁵): على أنّه قد يمكن أن نذر فلاسفة المهنة يقومون، في هذه الحالة الخاصة أيضاً، مقام الشفعاء

1 - باللاتيني في النص: "جانباً"

2 - قارن: المعرفة المرحّة، § 47. "إنّ أحفادنا سيكون لهم توحش أصيل وليس فقط توحش أو انعدام ثقافة الأشكال".

3 - "Jenseits von Gut und Schlecht" - اعتمدنا هنا الاسم وليس الصفة، "الكرم واللؤم" وليس "الكريم والليثيم" لأنّ الألمانية تسمح بذلك. فكثيراً ما تحوّل الصفة إلى اسم عام. وذلك تناظراً مع عنوان كتاب "ما وراء الخير والشر"، الذي كان يمكن أن يُترجم أيضاً "ما وراء الخير والشرير" بل ذلك كان أولى وأحرى.

4 - etymologisch

5 - قارن: ما جاء في الفقرة 6 من التصدير عن البحث الجنياالوجي.

والوسطاء، بعد إذ يكونوا قد أفلحوا بالكلفة في تحويل العلاقة، التي هي في أصلها جدُّ هشة وجدُّ مريبة، ما بين الفلسفة والفيزيولوجيا والطب، إلى تبادل صدوق وخصيب. وفي واقع الأمر فإنَّ كلَّ لوحات القيم، كلَّ "يجب عليك"، التي عرفها التاريخ والبحث الإثنولوجي، إنَّما تحتاج قبلُ إلى إيضاح وتفسير² فيزيولوجي، وعلى الأرجح قبل الحاجة إلى تفسير نفساني؛ كلها تنتظر كذلك نقداً من جهة العلوم الطبية. إنَّ السؤال: ما قيمة لوحة القيم أو "الأخلاق" هذه أو تلك؟ إنَّما شأنه أن يُطرح تحت منظورات شتى؛ فلا يقدر المرءُ بخاصة أن يفكَّك³ [السؤال] "قيمة لماذا؟" بشكل دقيق كفاية. شيء ما، مثلاً، له قيمة لا تكذبها العين فيما يخصُّ أكبر قدرة ممكنة على الاستمرار بملكها عرقٌ قوميٌّ ما (أو زيادة قوى تأقلمه مع مناخٍ معيَّن أو بقاء العدد الأكبر)، لن تكون له عين القيمة، متى تعلق الأمر بتشكيل نمط أكثر قوة. إنَّ صالح الأغلبية وصالح الأقلية إنَّما هما زاويتان تقويميتان متباينتان: أن يؤخذ الأول منها بوصفه في ذاته هو التقويم الأسمى، ذلك ما ندعه لسداجة علماء الحياة الانجليز... كلَّ العلوم إنَّما شأنها منذ الآن أن تهيمَّ المهمة المستقبلية للفيلسوف: عندما نفهم هكذا مهمة بأنَّ على الفيلسوف أن يحلَّ مشكل القيمة، أنَّ عليه أن يعيَّن تراتب القيم.

1 - إشارة إلى الوصايا الموسوية كما هي مصاغة في الألماني. في العربية مثلاً هي تُصاغ من دون فعل "يجب عليك"، بل في صيغة أمر: "لا تقتل!" وليس "يجب عليك ألا تقتل" (du sollst nicht töten).

Ausdeutung - 2

auseinanderlegen - 3

"werth wozu?" - 4

المقالة الثانية

"الذنب"، "الضمير المعذب" وما جانس ذلك¹

1.

أن نربي² حيواناً، يحقّ له أن يعد الوعود³ - أليس ذلك تحديداً هو تلکم المهمةُ المفارقة ذاتها، التي وضعتها الطبيعة لنفسها فيما يتعلق بالإنسان؟ أليس ذلك هو المشكل المخصوص للإنسان؟ ... أمّا أنّ هذا المشكل هو إلى حدّ كبير قد حلّ، فذلك ما ينبغي أن يظهر بأكثر مدعاة للعجب عند من⁴ يعرف كيف يقدر حقّ قدرها القوة الفاعلة عكساً، قوة النسيان⁵. فليس النسيان مجرد⁶ *vis inertiae*، كما يعتقد السطحيون، بل بالحريّ هو ملكة ردع⁷ فاعلة، موجبة بأدقّ معنى الكلمة،

1 - بالمعنى الجنياولوجي أي كلّ ما هو صادر عن "الجنس" القيمي الذي أنتج ظواهر الضمير، باعتبارها جنساً أخلاقياً واحداً.

2 - علينا أن نأخذ "التربية" (*heranzüchten*) في معنى "تربية الحيوان" وليس التربية في دلالتها الحديثة. - ومن المفيد أن نعرف ثراء اللفظة في الألمانية: إذ تشير *Züchtung* إلى التربية في معنى التأديب الذي يحمل النفس على التبتّل والتحصّن والعصمة، ولا تخلو من الضرب والعقوبة. والطريف أنّ نيتشه ينسب هذه المهمة إلى الطبيعة: هي التي ربّت الحيوان البشري، ولكن أيضاً رسمت النهج المناسب لتربيته. را: التصدير، § 6.

3 - *das versprechen darf*. يستعمل نيتشه هنا صيغة "dürfen" مستغلاً كونها تحتوي على أكثر من معنى: 1. يحتاج؛ 2. يجوز له ويُسمح له ويحقّ له؛ ومن ثمّ 3. بإمكانه أن (يعد) ويقدر ويستطيع. بحيث أنّ الإمكان هو ناجم عن حقّ هو بدوره ناجم عن أحقية أو أهلية تؤدي إلى سماح وجواز وتسويغ.

Dem - 4

Vergesslichkeit - 5

6 - باللاتينية في النص الأصلي: "قوة عطالة".

Hemmungsvermögen - 7

وإليها علينا أن نغزو أن ما نعيشه فحسب، ما نجرّبه، ما نمتصّه في دواخلنا، هو، في حالة الهضم¹ (وحقيق بالمرء أن يستميّه "الهضم بالنفس"²)، ليس أكثر بروزاً في الوعي من السيورة ذات الثنايا الألف، التي بها يجري غذاؤنا الجسدي، ما قد يسمّى "الالتهام بالجسد"³. فأن نصدّ لبعض الوقت أبواب الوعي ونوافذه؛ أن نطلّ في فسحة من الصخب والعراك الذي يعتور العالم السفلي لأعضائنا، مع وضدّ بعضها؛ قليل من الصمت، قليل من الـ *tabula rasa*⁴، حتى ينفسح المكان مرة أخرى للجديد، وقبلًا لوظائف وموظفين أكثر نبلاً، للتدبير⁵ والتكهن والتقدير (وذلك أنّ جهازنا العضوي مهياً بشكل أوليغارشي⁶) - تلكم هي، كما قلنا، فائدة النسيان النشط، حارس الباب [292] بوجه ما، حافظ النظام النفسي والدعة واللياقة: بذلك قد نرى للتوّ بأيّ وجه ليس يمكن أن يكون ثمة سعادة ولا صفاء ولا رجاء ولا فخار ولا حاضر من دون نسيان. أمّا الإنسان الذي صار فيه هذا النحو من جهاز الردع معطّبا أو معلقاً، فإنّما شأنه أن يُقارَن مع مصاب بعسر الهضم (وليس أن يُقارَن فحسب-)، فهو لن "يفرغ"⁷ من أيّ شيء... هذا الحيوان النساء ضرورة، الذي يمثل النسيان عنده قوة، شكلاً من الصخّة المنيعة، ما لبث أن استنبت لنفسه ملكة مضادة، ذاكرة، بعونها يتمّ، في حالات معيّنة، تعليق النسيان، - نعني في الحالات التي يجب فيها أن تُوعَد الوعود؛ فليس ذلك أبداً مجرد ضرب منفعل من عدم - إمكانية - التخلّص⁸ من انطباع انتقش فينا مرة، ولا مجرد سوء هضم لكلمة سبقت منّا فصرنا لها رهناً، بل هو

Verdauung - 1

2 - "Einverseelung". ينحت نيتشه هنا مصدراً من لفظة "die Seele" - النفس. ومن ثمّ يكون المعنى الحرفي هو "التنفيس" حيث المقصود هو إذابة الطعام وصهره في النفس. - وذلك أسوة، كما سنرى بعد قليل، بمصدر "Einverleibung" - الذي يوجد فعل له في الألمانية هو "einverleiben" من لفظة "der Leib" - الجسد أو اللحم، والذي يعني معنى لافتاً هنا هو "التهم" و"تناول" و"ضمّ إليه". والمهمّ هو الإبصار بطريقة نيتشه في تفسير عمل الدوافع والغرائز كأنها إوالية فزيولوجية. قا: المقالة III، § 16.

3 - Einverleibung - في معنى "التجسيد" أو "المزج بالجسد". وهنا يراوح نيتشه بين معنى "الالتهام" ومعنى "المزج بالجسد".

4 - باللاتينية في النص: "الصفحة البيضاء".

5 - بالمعنى السياسي (das Regieren).

6 - oligarchisch. أي حكم القلة.

7 - "fertig".

8 - ein Nicht-wieder-los-werden-können

في جنياولوجيا الأخلاق

ضرب نشط من عدم-إرادة-التخلص¹، إرادة دائمة لما أريد ذات مرة، ضرب حقيقي من ذاكرة الإرادة: بحيث إنه ما بين "أنا أريد"، "أنا سأفعل" الأصلي وتفجر الإرادة، أي فعلها، قد يمكن دونها حرج أن يتخلل عالم من الأشياء الجديدة الغريبة والأحوال بل والأفعال الإرادية، وذلك من دون أن تنقطع تلكم السلسلة الطويلة من الإرادة. ولكن كم يفترض ذلك من أشياء! كم كان ينبغي على الإنسان، حتى يبلغ به الأمر أن يتصرف في المستقبل سلفاً، أن يتعلم أولاً كيف يفصل ما يحدث بالضرورة عما يكون عرضاً، أن يفكر بالأسباب، أن يرى إلى البعيد كأنها هو قريب وأن يأخذ استباقاً، أن يحدد يقيناً ما الهدف وما الوسيلة له، وعلى العموم أن يحسب وأن يحتسب- كم كان ينبغي على الإنسان ذاته أن يصبح قبل قابلاً للحساب²، منتظماً، خاضعاً للضرورة، حتى بالنظر إلى تمثله الخاص عن ذات نفسه، بحيث يستطيع في النهاية، كما يفعل كائنٌ يعد³، أن يكفل نفسه بوصفه مستقبلاً!

[293]

2.

هوذا التاريخ الطويل لنشأة⁴ المسؤولية. إن مهمة تربية حيوان يحق له أن يعد الوعود، إنما تتضمن في ذاتها، كما تُصور ذلك قبل، شرطاً لها وهيئة، المهمة الأقرب منها، ألا وهي أن نجعل الإنسان، رأساً وإلى حد معين، ضرورياً، على وتيرة واحدة، مثلاً بين متاثلين، مطابقاً للقاعدة، وبالتالي قابلاً للحساب والتوقع. إن العمل المهيب لما كنت قد سمّيته "أخلاق العادات والتقاليد"⁶ (قارن: الفجر ص 7، 13، 16)⁷- العمل الحقيقي للإنسان على ذات نفسه أثناء المدة الطويلة للنوع البشري، ذلك العمل قبل التاريخي، إنما يجد هاهنا معناه، وتبريره الأقوى، وذلك مهما كان له من صلادة

1 - ein Nicht-wieder-los-werden-wollen

2 - berechenbar

3 - ein Versprechender

4 - Herkunft

5 - nothwendig. لفظة ساقطة في ترجمة غاليلهار 1971: 61.

6 - "Sittlichkeit der Sitte"

7 - هذه الإحالة تقابل: الفجر، الفقرات 9، 14، 16.

وطغيان وتبدل وخبل: لقد جعل الإنسان عن طريق أخلاق العادات والتقاليد وجبة¹ المجتمع قابلاً فعلاً للحساب والتوقع. فإذا وضعنا أنفسنا على الضد من ذلك في خاتمة هذا المسار المهيب، هاهنا حيث آتت الشجرة، في نهاية المطاف، أكلها، حيث كشف المجتمع² وكشفت أخلاق عاداته وتقاليده آخر المطاف، في وضوح النهار، عن الأمر الذي من أجله³ لم يكن كل ذلك إلا محض وسيلة: فإن ما نجده بمثابة الثمرة البانعة لتلك الشجرة هو الفرد الرئيس⁴، الذي لا يشبه إلا نفسه، الذي تخلص مرة أخرى من أخلاق العادات والتقاليد، الفرد المستقل⁵ فوق الأخلاقي⁶ (إذ "مستقل" و"أخلاقي" يتنافيان⁷)، وباختصار الإنسان ذو الإرادة الخاصة، غير التابعة لشيء، الطويلة الأمد، الذي بإمكانه أن يعد - وفيه وعي فخور، نابض في عضلاته جميعاً، بكل ما أحرزه هناك في آخر الأمر وما صار فيه لحماً ودماءً، وعي حقيقي بالقدر وبالحرية، شعور باكتمال الإنسان بعامه. هذا الذي أصبح حرّاً، الذي بإمكانه فعلاً أن يعد الوعود، هذا السيد⁹ ذو الإرادة الحرة، هذا الرئيس¹⁰ - كيف يمكنه ألا يعرف أي فضل له بذلك على كل ما ليس بإمكانه أن يعد الوعود ولا أن يكون لنفسه ضامناً وكفيلًا، أي قدر من الثقة، أي قدر من الخوف، أي قدر من الاحترام، يبعثه في النفوس - هو [294] "جدير" بتلك الثلاثة طراً - وكيف أنه، بهذه السيادة على النفس، هو بالضرورة أيضاً قد أوتي السيادة على تصارييف الأحوال، على الطبيعة وكل المخلوقات التي إرادتها أقصر شأواً وأوهى موثقاً؟ كذا الإنسان "الحر"، المالك¹¹ لإرادة طويلة الأناة

1 - die Zwangsjacke. بالمعنى الشائع "قميص المجانين".

2 - die Societät

3 - wozu

4 - das souveraine Individuum

5 - autonome

6 - übersittlich. ينبغي أخذ هذا النحت الخاص بلغة نيتشه بواسطة حرف "فوق" كما رأينا سابقاً عبارة "ما فوق الإنسان" (المقالة الأولى، الفقرة 16). "الفوقية" في القيم موقف أرسطراطي وليس دلالة على المفارق بالمعنى الديني.

7 - اعتراض مباشر على فرضية كانط حول بناء الأخلاق على "الأتونوميا" أو الاستقلال بالنفس.

8 - leibhaft

9 - der Herr

10 - der Souverain

11 - der Inhaber

في جنياالوجيا الأخلاق

لا تنكسر، إنما يجد في ذا الملك¹ أيضا مقياس القيم² الذي يخصه: إذ يمدّ بصره إلى الآخرين انطلاقاً من ذات نفسه، فإذا هو لا يفعل إلا أن يُجَلَّ أو يزدري؛ وكما أنه يُجَلَّ بالضرورة نظراءه، الأقوياء وأهل الثقة (الذين بإمكانهم أن يعدوا الوعود)، - نعي كل امرئ يعد مثل سلطان، وعداً ثقيلاً، نادراً، طويل الأناة، يضمن بثقته، يميّز، إذا وثق، ذاك الذي كلامه شيء³ يُعوّل عليه، من أجل أنه يعرف أنه قويّ كفاية كي يفني به ولو على الضدّ من الحادثات، ولو "على الضدّ من القدر" - كذلك بالضرورة سيكون على قدم وأهبة لركل الكلاب الهزيلة، التي تعد من دون حق⁴، مشرعاً عصاه على الكذاب الذي يُخلف قوله⁵، في عين اللحظة التي يكون فيها على فمه. إنّ المعرفة الفخور بالميزة الخارقة للمسؤولية، والوعي بهذه الحرية النادرة، هذا الاقتدار على الذات والقدر، قد تغلغل لديه في أعماق أعماقه وصار غريزة، غريزة غالبية: كيف سيسمّي هذه الغريزة الغالبة، متى فرضنا أنّ لديه حاجة إلى كلمة لقول ذلك؟ بيد أنه ليس في ذلك من شك: هذا الإنسان الرئيس سوف يسمّيها ضميره⁶...

3.

ضميره؟... من الممكن سلفاً أن نحرز أنّ مفهوم "الضمير"، الذي نلتقي به هنا في هيئته العليا، والتي تنزع إلى حدّ الغرابة، إنّما له بعدٌ وراء تاريخ وتحوّل - في الشكل⁷

der Besitz - 1

Werthmass - 2

3 - العبارة هي: "der sein Wort giebt" - بالمعنى الحرفي: "الذي يعطي كلمته". غير أنّ هذه صياغة غريبة، معناها عندنا: "وعد الحرّ دين". فمن يعد يصير لوعده عبداً. ومن يقول شيئاً وعداً ويفني به: الوفاء كضرب من العطاء.

ohne es zu dürfen - 4

der sein Wort bricht - 5

6 - das Gewissen. هذا مصطلح حاسم في هذه المقالة: الضمير (وهذه العبارة لم تُستعمل في العربية بهذا المعنى إلا في الفصاحة المعاصرة المرتبطة باللغات الأوروبية) هو منبع الشعور بالإنذار الأخلاقي. وينبغي تمييزه جيّداً عن "das Bewusstsein" الذي يعني "الوعي" وهو ما تعرضنا له قبل قليل. الضمير هو نمط أخلاقي من "المعرفة" المستبطنة في شكل شعور بالواجب، ومن ثمّ بالإثم أو بالراحة أو بالنقاء أو بالشقاء... هو "كوجيطو" الأخلاق.

Form-Verwandlung - 7

طويل. أن يحق¹ للمرء أن يكفل نفسه²، ويفخر، ومن ثم أن يحق³ له أن يقول نعم³ لذات نفسه [295] - هو، كما قيل، ثم يانع، بيد أنه أيضاً ثمراً متأخراً: - كم كان ينبغي على هذا الثمر أن يظلّ معلّقاً على الشجر مراً ومزاً! ولزمن أطول طيلةً بكثير ما كان ثمّة شيء يُرى عن هكذا ثمر أبداً - ما كان لأحد أن يعدّ به، وإن كان كل شيء على الشجرة قد هُتئ له وكان نحوه بالذات يربو! - "كيف نصنع للحيوان البشري ذاكرة؟ كيف نطبع على هذا الذهن المؤقت، الذي هو في شطر منه أثلم وفي بعضه هاذ، على هذا النسيان المتجسّد، شيئاً على نحو بحيث يبقى حاضراً؟" ... هذا المشكل السحيق القدم هو، كما يمكن للمرء أن يحدّث، لم يُحلّ رأساً عبر الأجوبة والوسائل الناعمة؛ بل ربّما لم يكن ثمّة شيء أكثر إخافة وإحاشاً في ما قبل تاريخ الإنسان برمته، من تقوية الذاكرة⁴. "يسمُ المرء شيئاً، حتى يبقى محفوراً في الذاكرة؛ فوحده ما لا يكفّ عن إيلامنا، يظلّ في الذاكرة⁵" - إن ذا هو المبدأ الرئيسي في علم النفس الأقدم تماماً (ومع الأسف الأطول بقاءً) على الأرض. بل قد يمكن للمرء أن يقول إنّه حيثما لا يزال على الأرض إلى الآن أبهةٌ وجِدٌ وسرٌّ وألوان قائمة في حياة إنسان أو شعب، ثمّة شيء من الرعب يترك أثره، ذاك الذي به قبل في كلّ مكان على الأرض كانت تُوعَد وعودٌ وتؤخذ رهونٌ وتُقطّع عهودٌ؛ إنّه الماضي، الماضي الأطول مدى، الأهمق غورا، الأشدّ غلظةً، ينفث فينا ويطفح من تحتنا، عندما نأخذ الأمر "جداً". إذ لا يجري الأمر أبداً من دون دم واستشهاد⁶ وتضحية، متى رأى الإنسان ضرورةً في أن يصنع له ذاكرةً؛ إنّ التضحيات والنذور الأكثر هولا (ومن ذلك نذر الولد البكر)، والتشويهات الأشدّ فظاظَةً (مثل الإخصاء)، والأشكال الطقوسية الأكثر فظاظَةً لكلّ الشعائر الدينية (وكلّ الأديان إنّما هي في أساسها الدفين منظومة من الفظاعات) - كلّ ذلك ينبع في أصله من تلك الغريزة التي حدست في الألم أقدر وسيلة على تقوية الذاكرة⁷. وبمعنى ما فإنّ التنسك⁸ إنّما

dürfen - 1

gut sagen - 2

Ja sagen - 3

Mnemechnik - 4. تمارين تقوية الذاكرة.

nachwirken - 5

Martern - 6

die Mnemonik - 7

die Asketik - 8

ينتمي إلى هذا المضمار؛ أنه يجب أن نجعل بعض الأفكار لا تُمحي، حاضرة أينما ولينا، عصيّة على النسيان، "ثابتة"، وذلك بهدف [296] تنويم النظام العصبي والذهني عبر هذه "الأفكار الثابتة" - وإتّما طرائق الحياة وأشكالها السُّكّية وسائل من أجل أن نخلّص هذه الأفكار من التنافس مع الأفكار الأخرى جميعاً، من أجل أن نجعلها "لا تُنسى". وبقدر ما تكون الإنسانية سيئة "على صعيد الذاكرة"، بقدر ما يكون وجه تقاليدنا أشدّ رعباً على الدوام؛ وإنّ صرامة النُظم الجنائية إنّما تمنحنا بخاصّة مقياساً لمدى العناء الذي تجشّمته حتى تظفر بالنصر على النسيان، وتُبقي على بعض المقتضيات البدائية للعيش معاً ضمن اجتماع ما، حاضرة لدى عبيد اللحظة، عبيد الهوى والرغبة. نحن الألمان، لا نعتبر أنفسنا من دون شكّ شعباً فظاً قاسي القلب، أو حتى مستهترا غافلا عن غد؛ ولكن لينظر المرء فقط في نُظُمنا الجنائية القديمة، حتى يدرك مدى العناء الذي تُجشّم على الأرض حتى نربّي "شعباً من المفكرين" (نعني: شعب أوروبا الذي لا تزال تجد عنده إلى اليوم أقصى ما يمكن من الثقة والجدّ وانعدام الذوق والتمرّس بالأشياء³، والذي هو بهذه الخصائص يملك الحقّ في أن يشتمل كلّ أنواع الموظفين المتنفّذين في أوروبا). هؤلاء الألمان قد صنعوا لأنفسهم ذاكرة عبر الوسائل الأكثر رعباً، عسى أن يصبحوا أسياداً على غرائزهم العاميّة؛ الدفينة وعلى غلظتهم الفظة؛ ليتفكّر المرء في العقوبات الألمانية القديمة، كالرجم مثلاً (-) إذ الأسطورة تُسقط حجر الطاحون على رأس المذنب) والدولاب⁵ (الاختراع الأخصّ واختصاص العبقريّة الألمانية في ميدان العقاب) والحازوق⁶ والنهش والدّفس تحت سنانك الخيل ("تقطيع الأوصال"⁷) وسلّق الجاني في زيت أو خمر (وهو أمر كان لا يزال معمولاً به في القرنين الرابع عشر والخامس عشر) والسلخ الذي كان رائجاً ("تقطيع الجلد إلى سُبور"⁸) واستئصال اللحم من الصدر؛ أو أيضاً أن يعمد المرء إلى فاعل السوء فيُطليه عسلاً ويتركه للذباب تحت شمس حارقة. بمساعدة هكذا

Das Zusammenleben 1

grausam - 2

Sachlichkeit - 3

pöbelhaft - 4

das Rädern - 5. عجلة تُستخدم في التعذيب.

das Werfen mit dem Pfahle - 6

das "Viertheilen" - 7

"Riemenschneiden" - 8

[297] صور وحوادث، سوف يحفظ المرء في الذاكرة خمسة، ستة من "أنا لا أريد"، بالنظر إليها هو قد أعطى وعده، حتى يعيش منتفعاً من المجتمع، - وبالفعل! بمساعدة هذا النوع من الذاكرة لابد وأن المرء في آخر الأمر سيسرد "عقله"! - آه، العقل، الجّد، السيطرة على المشاعر، كلّ هذا الشيء الكئيب الذي نسميه التفكير²، كلّ هذه الامتيازات ومظاهر الأبهة في الإنسان: ما أغلى ما دفعنا من أنفسنا من أجلها! وكم من الدماء والرعب في أعماق كلّ "الأشياء الجميلة"!...

4.

ولكن كيف أتى هذا "الشيء الكئيب" الآخر إلى العالم، هذا الشعور بالذنب، بل "الضمير الشقي" ³ برمته؟ - ها نحن نعود بذلك إلى أصحابنا جنينالوجي الأخلاق. لنقل مرة أخرى - أم أنني لم أقل ذلك من قبل - هُم لا يرجي منهم شيء. تجربة خاصة غريبة، "حديثه" تماماً؛ لا معرفة ولا إرادة معرفة بالماضي؛ فما بالك بغريزة تاريخية⁴، هي هنا تحديدًا ضرب من "النظرة الثانية" التي لا مندوحة منها - وعلى ذلك هم يشتغلون بتاريخ الأخلاق؛ ومن العدل أن ينتهي ذلك ضرورةً إلى نتائج، ليس لها مع الحقيقة سوى علاقات أقل من هشة. فهل سبق لجينالوجي الأخلاق⁵ هؤلاء أن دار في خلداهم، ولو من بعيد، شيء عن أن "الذنب"، هذا المفهوم الأخلاقي الكبير، على سبيل المثال، إنما قد نشأ عن المفهوم الماديّ جدًّا

1 - "zur Vernunft"

2 - das Nachdenken

3 - das "schlechte Gewissen". - نحن نصطدم هنا بمعنى آخر للفظه "schlecht" (ومن ثمة لما يقابلها أيضاً، نعي "gut"): لم يعد الأمر يتعلق بالثنائي الأرسطراطي "كريم / لئيم" أو "شريف / خسيس"، بل بثنائي من نوع آخر، وهذه المرة هو من صنع الإنسان الأخلاقي الارتكاسي: إنه التقابل بين الضمير "النقي السريرة"، "المرتاح"، "الراضي عن نفسه".. والضمير "الشقي"، "المعذب"، "الذي يؤنب نفسه"، "المستكف"، "النام"، "الذي يعاني من" و"خز" النفس الأثمة ومن "الشعور بالإثم".

4 - علينا أن نأخذ مصطلح "الغريزة التاريخية" تحت قلم نيتشه في معنى مخصوص لما يسميه "الحس التاريخي" ويعني به ليس فقط الإحساس بالضرورة والتغير، بل بخاصة الشعور الفائق بالفروق الحاسمة بين التقويبات والاختلافات العميقة بين القيم والعلاقات المعقدة بين سلطة القيم ونوع القوى والدوافع التي تحركها. قارن: ما وراء الخير والشر، § 224. وإنساني، مفرط في إنسانيته، I، § 274.

5 - قارن: التصدير، §§ 4 و 7؛ المقالة I، 3-1.

"ديون"¹؟ أو أنّ العقاب، من حيث هو قصاص²، قد تطوّر تطوّراً تاماً على حدة من كلّ افتراض مسبق حول حرية الإرادة أو عدم حريتها؟ - وذلك إلى حدّ بحيث أنّ ذلك يحتاج دوماً على الأرجح إلى درجة عالية من الأنسنة³، من طريقها يبدأ الحيوان "إنسان" في القيام بتلك التفرقات التي هي أكثر بدائية من قبيل "عمداً" و"سهواً" و"عرضاً" و"مكلفاً" ومقابلاتها ووضعها في الحسبان عند [298] تقدير العقاب. إنّ هذه الفكرة الرخيصة، التي هي في الظاهر جدّ طبيعية، وجدّ قاهرة، التي تُستخدَم اضطراباً عند تفسير كيف نشأ الشعور بالعدالة على الأرض بعامة، أنّ "المجرم يستحق العقاب، لأنّه كان يمكنه أن يتصرّف بشكل آخر"، إنّما هي في الواقع شكل متأخر تماماً، بل حتى متلف، من الحكم والاستنتاج الإنساني؛ أمّا من ينزاح بها إلى البدايات، فإنّه يتعدّى على علم نفس الإنسانية الأقدم عهداً، تعدّياً سافراً. إنّ الزمن الأطول من التاريخ البشري الذي أثنائه لم يكن يُعاقب بأيّ حال من الأحوال، لأنّ المرء يعتبر مقترف الأذى مسئوولاً عن فعله، وبالتالي ليس تحت الافتراض المسبق بأنّ المذنب وحده ينبغي أن يُعاقب - بل بالحري، على نحو ما يعاقب الآباء أطفالهم إلى اليوم، من غضب على مضرة لحقت، يُصَبّ على فاعل الضرر، - بيد أنّ هذا الغضب إنّما يُمسك به في حدود ويُغيّر منه من جهة الفكرة القاضية بأنّ كلّ ضرر إنّما له في كلّ الأمور شيءٌ يعادله ويمكن أن يُسدّد عيناً، ولو كان ذلك ألماً لمن ألحق بنا ضرراً. من أين استمدّت قوتها هذه الفكرة العتيقة، الغائرة الجذور، التي لم يعد ممكناً اليوم اقتلاعها، فكرة التعادل بين المضرة والألم؟ لقد أوحيت بذلك للتوّ: من علاقة التعاقد بين الدائن⁴ والمدين⁵، التي هي قديمة قدم "الذات القانونية" بعامة والتي تحيل، من جانبها، على الأشكال الأساسية للشراء والبيع وتبادل السلع.

1 - ما يشبهه هنا أمر خاص باللغة الألمانية حيث أنّ ثمة صلة اشتقاقية بين "die Schuld" (الذنب) و"Schulden" (الديون). وهي صدقة لغوية سوف يستثمرها هيدغر ضمن استشكال من نوع آخر في الكينونة والزمان (§ 58).

2 - Vergeltung

3 - Vermögensschlichung

4 - der Gläubiger. - من الطريف أن نعلم أنّ هذا اللفظ الألماني يعني في نفس الوقت: 1. المؤمن؛ ولكن أيضاً، 2. الدائن. وإنّه من المثير لدينا في العربية أنّ ثمة صلة بين "الدّين" (الطاعة) وبين "الدّين" (القرض المؤجل)، بين الديانة (الملة أو المعتقد) والدينونة (القضاء والحساب). ومنه "المدين" أي العبد. ولكن أيضاً: "قضى دينه" أي مات.

5 - der Schuldner

5.

إنَّ استحضار علاقة التعاقد هذه من شأنه، بلا ريب، كما هو منتظرٌ بعد الملاحظات السابقة، أن توقظ، ضدَّ الإنسانية الأقدم عهداً، التي خلقتها أو سمحت بها، أنحاءَ شتَّى من الريبة والمناوأة، وإثماً هاهنا تحديداً يقع الوعدُ؛ هاهنا تحديداً يتعلق الأمر بأنَّ [299] تُصنَّع للذي يَعِدُ وعداً، ذاكرةً؛ هاهنا تحديداً، ويحق للمراء أن يرتاب، سيكون مستودعٌ للشدة والفضاضة والألم. إنَّ المدين، من أجل أن يبعث الثقة في وعده بالتسديد، من أجل أن يمنح ضماناً على جدية وعده وقداسته، من أجل أن ينتقش التسديد هو بنفسه في صلب ضميره¹ بوصفه واجبا والزاماً عليه، هو، بمقتضى العقد، إنَّما يرهن لدى الدائن، في الحالة التي لن يدفع فيها، شيئاً آخر لا يزال "يملكه"، وعليه لا تزال له سلطةٌ أخرى، مثلاً جسده أو امرأته أو حريته أو حتى حياته (أو، تحت مفترضات دينية معيّنة، حتى سعادته في الآخرة² وخلص روحه، وفي الأخير راحته في القبر: كما في مصر القديمة، حيث لا تجد جثة المدين راحةً من الدائن حتى في القبر، - وبلا ريب كان المصريون يحملون في أنفسهم شيئاً عظيماً من هذه الراحة). بيد أنَّ الأمر الخاص هو أنَّ الدائن إنَّما يمكنه أن يصنع بجسد المدين ألوان الإهانة والعذاب جميعاً، كأن، مثلاً، يقتطع منه شطراً قد يظهر عديلاً لحجم الدين: - وكان ثمة منذ أقدم الأزمان وفي كلِّ مكان، من زاوية النظر هذه تحديداً، تقديراتٌ تذهب أكثر فأكثر في دقائق الأمور، بشكل مفرغ أحياناً، تقديرات قائمة على القانون³ تطال كلَّ عضو وكلِّ موضع من الجسم. وأنا أعتبر الأمر بعدُ بمثابة تقدّم ودليل على تصوّر للقانون أكثر حرية وأعظم حصافة وأشدَّ رومانيتة، حينما نصّ قانون ألانتي عشرة لوحة الروماني على أنَّ الأمر سواءٌ أنَّ يقتطع الدائن في هكذا حالة كثيراً أم قليلاً «*si plus minusve secuerunt, ne fraude esto*»⁴. لنجعل منطق هذا الشكل من التعويض واضحاً لدينا في كليته: فهو غريب بما فيه الكفاية. إذ تقوم المعادلة بذلك على أنَّه بدلاً عن ربح يكون عديلاً مباشراً للخسارة (أي بدلاً عن تعويض

1 - das Gewissen. ننبت إلى أنَّ ترجمة غاليهار 1971: 68، تضع عبارة "ذاكرته" بدلاً من "ضميره". وهو سهوٌ.

2 - Seligkeit

3 - zu Recht

4 - باللاتينية في النص الأصلي: "أكانوا قطعوا أكثر أم قطعوا أقل، فذلك ليس بجرم". هذا مقطع من الفصل السادس من الثالثة من لوحات القانون الروماني المشار إليه. "أكانوا قطعوا كثيراً أم لم يقطعوا كفاية، فذلك ليس بجرم".

يكون مالا أو أرضاً أو ملكاً مهما كان نوعه)، إنها يُحوَّل للدائن ضربٌ من المتعة¹ هي بمثابة تسديد وتعويض، - متعة أن يستطيع صب جام قوته على كائن لا قوة له [300] دونها حرج، وشهوة² «faire le mal pour le plaisir de le faire»، واستلذاذاً للجور: استلذاذاً يؤثر أكثر فأكثر بقدر ما يكون الدائن في مراتب المجتمع أخطّ موضعاً وأسفل مكاناً، بل يمكن أن يظهر له ذلك لقمةً لذيدة وحتى مذاقاً يثير الشهية نحو رتبة عليا. فبها يسلطه من "العقاب" على المدين، يشارك الدائن في قانون-الأسياذ³: أخيراً بلغ هو أيضاً إلى الشعور الرائع بأنه يستطيع أن يحتقر كائناً وأن يسيء إليه بوصفه "أدنى منه ذاتاً"⁴ - أو على الأقل، في حالة ما إذا انتقلت مقاليد الجزاء الحقيقية وتنفيذ العقاب إلى "السلطات"⁵، أن يرى إليه كيف يُحتقر ويُساء إليه. إنها التعويض يقوم بذلك على أمرٍ بالقسوة وبالحق في القسوة.-

6.

في هذا الفلك، الخاص بقانون الإلزامات إذن، إنها يجد عالم المفاهيم الأخلاقية، من "ذنب" و"ضمير" و"واجب" و"قداسة الواجب"، مَنبَت نشأته، - إن بدايته، مثل بداية كلِّ العظام على الأرض، قد رُوِيَت بالدماء عميقاً وطويلاً: أليس حقيقة على المرء أن يضيف أن هذا العالم لازال في أعماقه لم يفقد أبداً كليةً قدراً معيناً من رائحة الدم والعذاب! (ولا حتى لدى الشيخ كانط: فإن الأمر القطعي يفوح منه شيء من القساوة⁶...). إنها هاهنا قد تم لأول مرة عقد هذا الاقتران الموحش والذي صار على الأرجح بلا حل، بين فكرتي "الذنب والألم"⁷. لنسأل مرة أخرى: بأي وجه يمكن أن يكون الإيلاُم⁸ تعويضاً عن "الديون"؟ من جهة ما يكون

1 - das Wohlgefühl

2 - بالفرنسية في النص الألماني: "أن يسيء حباً في الإساءة".

3 - das Herren-Rechte

4 - ein "Unter-sich"

5 - "Obrigkeit"

6 - قارن: المقالة III، 14؛ هذا هو الإنسان، IV، 8. - تبدو الأخلاق الكانطية عند نيتشه بمثابة سلب مقتع لقيم الحياة وإثباتاً مقلوباً لقيم الضعفاء ضد قيم الاقتدار النبيل. بحيث يظهر الأمر القطعي كأنه الطور الأعلى من أخلاق الضغينة: تعميق للضمير الشقي وردة الحياة ضد نفسها.

7 - das Leid

8 - das Leiden

إلحاق-الأم¹ مصدرا لمتعة لا توصف، من جهة أنّ الضرر قد استُبدل عن الضرر وغمّ الضرر متعة مضادة لا قبل له بها: إلحاق-الأم، - عرسٌ حقيقيّ، شيءٌ، هو، كما قيل، أغلى ثمنًا بقدر ما يناقض ذلك رتبة الدائن ومنزلته في قومه [301]. هذا أمر على سبيل الافتراض: ذلك بأنّ هكذا أشياء دفيئة إنّما يعسر أن نرى إليها في أعماقها، فضلا عن أنّ الأمر لا يخلو من مشقة؛ أمّا من يلقي هنا بمفهوم "الثأر" في وسط كلّ ذلك كما بحجر من علّ، فهو على الأرجح قد حجب الرؤية أو أظلمها، بدل أن يجعلها أيسر وأشفّ (-) إذ الثأر ذاته إنّما يحيل على عين المشكل: "كيف يمكن أن يكون إلحاق-الأم ترضية؟". فهذا أمر، كما يبدو لي، يأباه الظرف، بل أكثر من ذلك يأباه رياء الحيوانات المنزلية الأليفة (أعني الإنسان الحديث، أعني نحن)، في المساعدة بكلّ قوّة على أن تتمثّل إلى أيّ حدّ كانت القساوة بهجة العرس الكبرى للإنسانية البدائية، أجل باعتبارها ما تصنع منه كلّ مباحجها تقريبا؛ ومن جهة أخرى، كم تبدو ساذجة، كم بريئة² حاجتها إلى القساوة، وعلى أيّ أساس عميق كان "الشرّ بلا مصلحة"³ (أو، حتى نتكلّم مع زينوزا،⁴ *sympathia malevolens*) قد تعيّن عندها باعتبارها صفة عادية⁵ للإنسان-: ومن ثمة بوصفه شيئا يقول الضمير له من كلّ قلبه نعم! وبالنسبة إلى العين الأعمق نظرا لا يزال على الأرجح ما يكفي اليوم لتستشفّه عن هذه البهجة الأقدم والأرسخ أصلا في الإنسان؛ وكنت في "ما وراء الخير والشرّ" ص 117 وما بعدها⁶ (وقبل ذلك في "الفجر"، ص 17، 68، 102)⁷ قد أشرت بأصابع حذرة إلى ضرب مطرد دوماً من روحنة⁸ القساوة و"تأليهها"⁹، يخترق تاريخ الثقافة العليا بكلّيته (ومتى أخذناه في معنى جليل هو يشكّلها). وعلى كلّ حال، لم يكن المرء، منذ أمد ليس ببعيد، ليتصوّر عرساً أميرياً واحتفالا شعبياً

1 - *das Leiden-machen*. أو حتى "صناعة-الإساءة".

2 - *unschuldig*

3 - "uninteressierte Bosheit"

4 - باللاتينية في النص: "التعاطف سيء النية". قارن: سينوزا، الإتيقا. القسم الثالث، القضية 32.

5 - *normal*

6 - ما وراء الخير والشر، §§ 197 وما بعدها.

7 - الفجر، §§ 18، 77، 113.

8 - *Vergeistigung*

9 - "Vergottlichung"

من الطراز الرفيع من دون إعدامات وعذابات أو شيئاً من الموت ¹autodafé، كما لم يكن ثمة بيت ²نبيل من غير كائن ³، عليه يمكن للمرء دونها حرج أن يصبّ شرّه ومزاحه اللفظ (- ليذكر المرء شيئاً من دون كيشوط في بلاط الدوقة: هل نقرأ اليوم دون كيشوط كله إلا بمذاق مرّ على اللسان، أقرب إلى التعذيب منه إلى شيء آخر، ونحن بذلك في نظر مؤلفه ومعاصريه [302] نأتي أمراً عجيباً، أمراً مبهماً، - إذ هم قرؤوه بأكثر الضمائر راحة بوصفه أكثر الكتب أنساً وصفاء، وبه كانوا يموتون ضحكاً). أن نرى - ألماً هو أمر يمنح الراحة، أما أن نؤلم، فذلك أروح للنفس أكثر فأكثر - إن هذا لمبدأ مركبه وعزّ، إلا أنه مبدأ أساسي، قديم وقوي، إنساني، جذّ إنساني ⁴، قد يمكن للقردة، فضلاً عن ذلك، أن يضعوا تواقيعهم تحته: ألم يحدث أحدهم أنهم من حيث ما ابتدعوا القساوات العجيبة هم بشّروا بالإنسان تبشيراً عريضاً وبوجه ما "غثوا لقدمه" ⁵. دونها قساوة لا يكون عرس: كذا يعلمنا التاريخ الأقدم والأطول للإنسان - أن في العقاب أيضاً قدراً كبيراً من الاحتفال ⁶! -

7.

- بهكذا أفكار، لنقل ذلك عرضاً، أنا لا أقصد بلا ريب أن أساعد متشائمين ⁷الذين ضاقوا بالحياة ضرعاً في أن يستجلبوا لنواعيرهم النشاز ذات الصرير ماءً جديداً؛ بل على الضدّ من ذلك، قد يجب أن نعقد شهادة بيّنة على أنه في الأباد التي لازالت الإنسانية فيها لا تخجل من قساوتها، إنّا كانت الحياة أطيب على الأرض ممّا هي عليه اليوم، حيث يوجد متشائمون. إنّ تجهم السماء فوق البشر

1 - بالفرنسية في النص الألماني "حرقاً".

2 - der Haushalt

3 - Wesen

4 - علينا أن نأخذ عبارة "إنساني، مفرط في إنسانيته" في معنى ساخر، يقابل موقف "العقل الحر" أو الفيلسوف الحق.

5 - "vorspielen"

6 - ضدّ شوبنهاور يقوم نيتشه بإثبات الألم والعذاب والعناء بوصفها أموراً جوهرية يقتضيها معنى الحياة ذاتها. والضمير الشقي هو ذاك الذي يحول وجهة هذه القوى الحيوية الفعالة ويفصلها عن مفاعيلها الطبيعية ويزجّج بها باتجاه الباطن، حيث يقع استعمالها ضدّ إرادة الحياة نفسها في شكل شعور بالذنب.

7 - تعريض واضح بشوبنهاور. را: المقالة III، §§ 5-8.

إنّما كان يطغى دوماً بقدر ما يزداد خجل الإنسان أمام الإنسان. إنّ نظرة التشاؤم المتعبرة، والريبة من لغز الحياة، و"كلّ" الصقيعية التي ترنو في الاشتمزاز من الحياة- ليست تلك بالأمارات على العصور الأكثر شراً للجنس البشري: إنّها على الأرجح لا تبرز إلى وضوح النور، من حيث هي نباتاتٌ مستنقعات، إلّا متى وُجد المستنقع الذي تنتمي إليه، - أقصد بذلك ضرباً مميتاً من ترقيق العواطف¹ وبتّ عدوى الأخلاق² بمقتضاها يتعلم الحيوان³ "البشري" آخر الأمر كيف يخجل من غرائزه جميعاً. على الطريق نحو "الملاك" (حتى لا نستخدم هنا لفظاً أكثر شناعة) قام الإنسان بتربية هذه المعدة السقيمة وهذا اللسان المقيد، الذين من طريقهما ليس فقط صارت بهجة الحيوان و[303] براءته شيئاً تنفر منه النفس، بل الحياة ذاتها صارت خلواً من أيّ مذاق: - بحيث أنّه أحياناً ما يقف أمام نفسه بأنفٍ مسدود ومع بابا إينوسونسي الثالث يضع، لائماً مستنكراً، قائمةً في الشدائد التي ألّت به ("ولادة نجسة، تغذّ مقرّز من ثدي الأم، سوء المادة التي بها يتم نموّ الإنسان، رائحة كريهة، إفراز لللعاب والبول والبُراز"). واليوم، حيث ينبغي أن يُعرّض الإيلامُ دوماً بوصفه أول الأدلة ضدّ الكيان⁴، بوصفه علامة الاستفهام الأكثر خبثاً، قد يُحسن المرء صنيعاً أن يتذكّر العصور التي كان المرء يحكم فيها بشكل معاكس، لأنّه لم يكن يريد أن يستغني عن صناعة-الألم⁵ وكان يرى فيها فتنةً من الدرجة الأولى ووسيلة إغراء حقيقية بالحياة⁶. ربما- لنقل ذلك عزاءً لأصحاب الرقة والنعومة- ربما لم يكن الوجد⁷ مؤذياً بعدّ كما هو الحال اليوم؛ ذلك على الأقلّ ما أمكن لطبيب أن يستنتجه كان قد عالج الزوج (متى أخذنا هؤلاء على أنّهم ممثّلو الإنسان قبل التاريخ-) من حالات احتراق

Verzärtlichung - 1

2 - Vermoralisierung يستعمل نيتشه هذه العبارة في معنى تأويلي ونقدي وسالب علينا وضعه في الاعتبار: أنّ "الأخلاق" عبارة عن عدوى أو مرض قد أصاب الحيوان البشري القديم بعد تاريخ طويل وسحيق من "تخلّق الأخلاق" على الأرض. لا يتعلق الأمر بأيّ ضرب من "تهذيب الأخلاق" بالمعنى التقليدي، بل بتلوين أخلاقي للنفس القديمة. "تخلّق" تعني بذلك مرض بنوع من القيم المضادة للحياة كما هي متاحة في غرائز الأنا الحيواني القديم.

das Getier - 3

das Dasein - 4

das Leiden-machen - 5

zum Leben - 6

der Schmerz - 7

داخلية خطيرة، شأنها أن تدفع بالأوروبيين الأوفر بنية إلى حافة اليأس؛- أمّا لدى الزوج فهي لا تفعل ذلك. (ويبدو أنّ خطّ القدرة الإنسانية على الوجدع إنّما يأخذ في الانحسار بشكل يخرج عن كلّ نظام بل ومفاجئ تقريباً، ما إن يجتاز عشرة الآلاف أو عشرة الملايين من الطبقة الراقية من ذوي الثقافة العالية؛ وبالنسبة إلى شخصي، أنا لا أشكّ في أنّ ليلة توجّع وحيدة لفتاة هستيرية واحدة على قدر من الثقافة، لا تعادلها في شيء ألأم كلّ الحيوانات مجتمعة، تلك التي سُويّلت بالمبضع إلى اليوم لأغراض علمية.) ربما من الجائز أن نقبل بإمكانية أنّ لذّة القساوة لا تحتاج إلى أن تزول حقّاً؛ هي، بالقياس إلى كيف أنّ الوجدع اليوم قد بات أكثر إيذاءً، إنّما يعوزها فقط ضرب معيّن من التسامي³ والتلطّف، هي ينبغي بالخصوص أن تتبدّى مترجمةً في الخياليّ والنفسيّ⁴، ومحلّة بأسماء هي من النقاء بحيث أنّها [304] لا تشوبها أيّ ريبة حتى من الضمير المنافق الأكثر تنعماً ("الشفقة التراجيدية"⁵ اسم من هذا القبيل؛ وها اسم آخر "les nostalgies de la croix"⁶). إنّ ما يثير حقّاً ضدّ الألم، ليس الألم بحدّ ذاته، بل لا-معنى الألم؛ بيد أنّه لا المسيحيّ، الذي أدخل في تأويل الألم كلّ آليّة الخلاص الخفيّة، ولا الإنسان الساذج للأزمنة القديمة الذي فهم كيف يفسّر كلّ ألم بالنظر إلى المُشاهد أو إلى فاعل الألم⁷، كان ليعتبر أنّ ثمة بعامة هكذا ألماً بلا معنى⁸. حتى يمكن إزالة الألم الخفيّ، غير المكشوف، الذي لا شاهد عليه، عن العالم ونفيّه نفيّاً صادقاً، كان المرء عندئذ مضطراً تقريباً لا اختراع الآلهة والكائنات الوسيطة،

1 - Überkultur. علينا هذه المرة (قارن: المقالة I، 16 والمقالة II، 2) أن نأخذ البادئة "über" في معنى سآخر: فنيتشه لا يقصد "ما فوق الثقافة" بل "الثقافة المستعلية" للإنسان الحديث، حضارة الأخلاق الرقيقة، غير القادرة على تحمّل أيّ قدر حقيقي من الألم، على عكس "الزنجي" مثلاً، هذا الذي لا يزال يتمتع بقدرات الحيوان البشري القديم.

2 - Eine

3 - Sublimierung

4 - Subtilisierung

5 - عن هذه الترجمة في العنصر النفسيّ أو "الروحنة"، راجع: ما وراء الحبر والشر، §§ 229-230.

6 - ربما هي إشارة إلى شيلر.

7 - عبارة واردة بالفرنسية في النص الألماني: "آلام الحنين إلى الصليب".

8 - das Leiden-Macher

9 - قارن: الفقرة 28 والأخيرة من جنياولوجيا الأخلاق قد تعلّقت بهذه المسألة.

على كلّ علوّ وتحت كلّ غور، شيء ما باختصار، يجوب حتى في غيابة الخفاء¹، ويرى حتى في عتمة الظلام وليس شأنه أن يفوت مشهداً مؤلماً على قدر من الأهمية. إذ بعون هكذا اختراعات، حذقت الحياة تلك السعدوة التي حذقتها دوماً، أن تبرّر نفسها، أن تبرّر ما فيها من "أذى"²؛ أمّا اليوم فربّما نحتاج في ذلك إلى عون اختراعات أخرى (مثلاً: الحياة بوصفها لغزاً، الحياة بوصفها مشكلاً للمعرفة³). "كلّ أذى مبرّر، إذا هو بمرآة إله قد يُسرّ": كذا كان منطق العاطفة في سالف الزمان رناناً— وعلى الحقيقة، هل كان منطق سالف الزمان فحسب؟ آلهة تصوّر كأنها هي أصدقاء مشاهد قاسية— آه إلى أي مدى لازال هذا التمثّل السحيق يتوفّر على أنسنتنا الأوروبية! وللمرء أن يراجع في ذلك كالفان ولوثر⁴. ومهما يكن من أمر، فإنّ الإغريق، بلا ريب، ما عرفوا من أبازير تُقدّم للآلهة في سعادتهم أطيب من مُنع القساوة. بأيّ عين، إذن، ظننتم، أنّ هوميروس قد جعل آلهته يطلّون على قدر بني الإنسان؟ أيّ معنى أخير كان في حقيقة الأمر لحروب طروادة وللأهوال التراجيدية التي على شاكلتها؟ - لا يمكن للمرء أن يخامره في ذلك شكّ أبداً: إنّها كانت مقصودة بوصفها مهرجاناً للآلهة؛ [305] ويقدر ما أنّ الشاعر هو في ذلك "إلهي" جبلة أكثر من سائر البشر، لا يبعد أن تكون أيضاً مهرجاناً للشعراء... بل إنّ فلاسفة الأخلاق المتأخّرين عند يونان ما تحيّلوا أيضاً تحيلاً مغايراً عيّن الآلهة إذ هي تطلّ من عل على الكفاح الأخلاقي، على البطولة ومجاهدة النفس في الفضائل: لقد كان "هرقل الواجب" على مسرح، وكان يعتقد أيضاً أنّه واقف عليه؛ الفضيلة من دون شاهد إنّها كانت عند هذا الشعب من الممثّلين شيئاً لا يمكن التفكير فيه بتاتاً. ألا يكون ذلك الاختراع الجسور جدّاً والوخيم النتائج جدّاً الذي اقترفه الفلاسفة، الذي كان وقتئذ قد صُنِع أول الأمر من أجل أوروبا، اختراع "الإرادة الحرة" والعفوية المطلقة للإنسان في الخير والشرّ، ألا يكون قد صُنِع قبل كلّ شيء من أجل أن نجعل لأنفسنا

im Verborgnen - 1

das "Übel" - 2

3 - كلّ ما علا على الأرض إلى حدّ الآن كان طريقة من الطرق التي اخترعتها الحياة لتبرير نفسها وخاصة لتبرير ألمها. ومن الطريف أنّ ذلك لن يتوقّف: إنّ فكرة "الإله" تقع على هذه الطريق. لكنّ العلم الحديث ربما يدفعنا حسب نيتشه إلى اختراع فن جديد لتبرير الحياة: تحويلها إلى "لغز أو مشكل للمعرفة".

4 - قارن: المقالة III، 2.

Festspiele - 5

حقاً في أن نتخيّل أنّ اهتمام الآلهة بالإنسان، بالفضيلة الإنسانية، ليس يمكن أن ينقطع أبداً؟ على مسرح هذه الأرض لم يكن يجب أبداً أن تكون فاقّة في ما هو جديد حقاً، في الشدائد والمصاعب والكوارث الرائعة حقاً: عالمٌ حتميٌّ تماماً كان يكون عند الآلهة شيئاً يمكن حزره فإذا به في لحظةٍ يُسَمِّمُ إسماءاً، - وإِثْمًا لَعَلَّةٌ كافية لأولاء أصدقاء الآلهة، أولاء الفلاسفة، كي لا يسوموا آلهتهم عالماً هكذا حتمياً! إنّ الإنسانية القديمة برمتها إنّما كانت تزخر بالاعتبارات المرفهة إزاء "المُشاهد"، بعالمٍ عموميٍّ بالجواهر، جليٍّ للعين بالجواهر، لم يكن ليتصوّر السعادة من دون مشهد أو عرس. - وكما قيل قبل، حتى في العقاب العظيم ثمة قدرٌ كبير من الاحتفال! ...

8.

إنّ الشعور بالذنب والتعهد الشخصي، حتى نستأنف مسار بحثنا من جديد، إنّما يأخذ مصدره، كما رأينا، من العلاقة الأقدم عهداً والأكثر بدائية التي يمكن أن توجد بين الأشخاص، من العلاقة بين الشاري والبائع، بين الدائن والمدين [306]: هنا لأوّل مرة يبرز الشخص للشخص، هنا لأوّل مرة يقيس الشخص بالشخص نفسه. ولازلنا لم نعر على درجة دنيا من الحضارة، لا يكون فيها شيءٌ من هذه العلاقة ملحوظاً. أثْنا تَقْدَرُ وقيمٌ تُقاسُ وأبدالٌ تُخْتَرَعُ² وتُقايَسُ - ذلكم ما شغل الفكر الأقدم للإنسان إلى ذلك الحدّ الذي معه قد كان بمعنى ما هو الفكر ذاته: وإِثْمًا هاهنا كان قد تربّى أقدم نوع من الفطنة، هاهنا قد يمكن أيضاً أن نُحْمَنَ أوّل نشأة لكبرياء الإنسان وشعوره بتقدّم مرتبته بالنظر إلى سائر الحيوان. وربما يعبرُ لفظُنا "Mensch"³ (manas) تعبيراً دقيقاً عن شيء من هذا الشعور بالنفس: إذ يُخَصِّصُ الإنسان نفسه بوصفه كائناً يقيس القيم، يقوم وقيس، بوصفه "الحيوان المقدّر" في ذاته. إنّ البيع والشراء، مع ملحقاتها النفسية،

deterministisch - 1

ausdenken - 2. يجمع هذا الفعل بين "التفكير" و"الاختراع".

3 - إنسان. قارن: إنساني، مفرط في إنسانيته، II "المسافر وظلّه"، § 21. حيث يربط نيتشه بين اكتشاف الإنسان البدائي فنّ الوزن والميزان وبين "تسمية نفسه" باسم "الوزان" أو "القياس" (Mensch, manas). و"القياس" في العربية يعني "التقدير" ولكن أيضاً التبختر والشدّة ومنه "إمرؤ القيس". لكن القيس يعني أيضاً "الجوع": هل الإنسان إلا حيوان يقيس جوعه بالديون؟

"abschätzend" - 4

هما أقدم عهداً حتى من بدايات أيّ شكل من التنظيم والارتباط الاجتماعي؛ فإنّما من الشكل الأكثر فقراً من قانون الأشخاص قد انتقل الإحساس الناشئ بالتبادل والتعاقد والدين والإلزام والتعويض، أوّل الأمر، إلى مجموعة الجماعات الأكثر خشونة والأكثر بدائية (في علاقتها مع مجموعات مماثلة)، في وقت واحد مع التعوّد على مقارنة قدرة بقدرة وعلى قياسها واحتسابها. فإذا بالعين تنضبط على هذا المنظور؛ وهذا الاستنتاج الفظ، الذي يميّز الفكر الثقيل الحركة، ولكن الذي يذهب من بعد بلا هوادة في عين الوجهة لا يحيد عنها، الخاص بإنسانية الأزمنة السحيقة، سرعان ما بلغ المرء إلى هذا التعميم الغليظ بأنّ "لكلّ شيء ثمنه؛ وأنّ كلّ شيء يمكن أن يُدفع ثمنه" - إلى أقدم قاعدة أخلاقية للعدالة وأكثرها سذاجة، إلى بداية كلّ "خيرية" وكلّ "إنصاف" وكلّ "إرادة خيرة" وكلّ "موضوعيّة" على الأرض. وما العدالة على هذا الصعيد الأوّل إلاّ إرادة الأخيار⁵ التي تحدد مقتدرين متساوين تقريباً، على أن يقبلوا بعضهم البعض، وأن "يتفاهموا" من جديد بواسطة تعويض⁶ ما-و، [307] بالنسبة إلى الأقلّ مقدرة، أن يفرضوا على هؤلاء تعويضاً ما فيما بينهم-.

97

من حيث ما هي مقيسة دوما بمقياس الأزمنة القديمة (ربّ أزمنة قديمة هي فيما عدا ذلك حاضرة في كلّ الأزمان أو هي ممكنة من جديد): توجد الجماعة⁷ أيضاً بالنظر إلى أعضائها ضمن تلكم العلاقة الأساسية الخطيرة، علاقة

1 - abgezahlt

2 - "Gutmüthigkeit"

3 - "Billigkeit"

4 "Das gute Willen"

5 - der gute Wille. ثمّة صعوبة تعرض هنا: إذ علينا أن نميّز بين "الإرادة الخيرة" (بالمعنى الكانطي)، إرادة الضعفاء للعدالة، وهو ما أشار إليه نيتشه في السطر السابق، وبين "الإرادة الخيرة" أو "إرادة الأخيار" أي إرادة النبلاء للعدالة.

6 - قارن: التصدير، § 4.

7 - بعد عرض مشكل الذاكرة (§§ 1-3) ثمّ بسط العلاقة بين الفرد والفرد داخل الجماعة بوصفها قائمة على نوع من "التعاقد" البدائي بين الأقوياء والذي تشوّه بسبب ظهور الأخلاق الارتكاسية (§§ 4-8)، يأتي الآن دور البحث في العلاقة بين الفرد والجماعة نفسه.

8 - das Gemeinwesen

في جنياالوجيا الأخلاق

الدائن بالمدين. يعيش المرء في كنف جماعة، ويمتّع بمنافع جماعة (وآية منافع! بل نحن اليوم نسيء تقديرها أحياناً)، إذ يسكن المرء محمياً، مترقّقاً به، في أمن وسلام، خليّ البال من بعض الأضرار والاعتداءات التي من شأنها أن تنزل بالإنسان الذي في الخارج، "غير المطمئن"¹ - والألماني يفهم ماذا كان "Elend"²، "êlend"³ يعني في أصله -، وبأيّ وجه كان المرء على وجه الدقة بإزاء هذه الأضرار والاعتداءات يرهن نفسه للجماعة⁴ ويقطع العهود لها. ماذا يحدث في حالة مغايرة؟ إنّ الجماعة⁵ بوصفها الدائن المخدوع، سوف تستردّ حقّها⁶، بقدر الإمكان، وعلى المرء أن يعتمد عليها في هذا الأمر. لأقلّ ما⁷ يتعلق الأمر هنا بالضرر المباشر، الذي دبره فاعل الضرر: فإنّ المجرم، وذلك بقطع النظر عن الضرر، هو قبل كلّ شيء "جَارِمٌ"⁸، قاصفٌ للمواثيق بخلافّ للوعود ضدّ الكلّ، فيما يخصّ كلّ خيرات حياة الجماعة ونعمها، التي كان له فيها نصيب إلى حدّئذ. إنّما المجرم مدينٌ ليس فقط لا يسدّد ثمن ما أسدي إليه من منفعة أو سُلقة، بل بلغ به الأمر أن تعدّى على دائنه: فمن العدل أن يُجرّد ليس من هذه الخيرات والمنافع جميعاً فحسب، - بل هو الآن حرّ بأن يُذكّر بشأنه مع هذه الخيرات جميعاً⁹. إنّ غضب الدائن المتضرّر، غضب الجماعة، إنّما يعيده من جديد إلى الحالة المتوحشة، حالة المهودور دمه¹⁰،

1 - der "Friedlose"

2 - das Elend أي الفقر والفاقة والضعف.

3 - êlend لفظ قديم يعني في الأصل: المنفى. وقد نفقو هذا في وجه الصلة بين القفر والفقر.

4 - die Gemeinde

5 - die Gemeinschaft

6 - sich bezahlt machen

7 - am Wenigsten

8 - يستثمر نيتشه هاهنا وجه الصلة اللغوية بين "der Verbrecher" - المجرم، و "ein Brecher" - القاطع والكاسر، وذلك بإرجاع اللفظة الثانية إلى الفعل الألماني "brechen" أي قطع وكسر. - وهو تأصيل ليس من الصعب وجوده في العربية، حيث أنّ "المجرم" لفظ مشتق من فعل "جَرَمَ" أي قطع وجزّ وقطف. فالمجرم في الألمانية والعربية "جَارِمٌ" أي قاطع وكاسر للعهود والمواثيق، كما سنرى. كما ليس من المستحيل أن نعثر على عين الصلة الاشتقاقية بين "الجانّي" في معنى من اقترف جنائية، وبين "الجانّي" في معنى من قطف الثمرة وقطعها!

9 - was es mit diesen Gütern auf sich hat

10 - vogelfrei. بالمعنى الحرّفي: حالة "الطير الحرّ" (الذي يمكن اصطياده)، أمّا المعنى المجازي فهو حالة "المحروم من حماية القانون".

التي حُفِظَ¹ منها إلى حدّ الآن: هو يطرده [308] منها، - وبالتالي قد يمكن لأيّ ضرب من الاعتداء أن ينصبّ عليه. إنّ "العقاب" هو، في هذا الطور من تشكّل الأخلاق²، لا يعدو أن يكون الصورة، النسخة³ العاكسة للسلوك السويّ إزاء العدوّ المكروه، الذي جُرّد من سلاحه، المطروح أرضاً، الذي خسر ليس فقط كلّ حقّ أو حماية، بل أيضاً كلّ رافة أو رحمة؛ كذا هو قانون الحرب وانتصار شعار⁴ *vae victis!* في كلّ فظاظته وقساوته: - وإنّا من هذا يتبيّن لم أنّ الحرب ذاتها (بما في ذلك طقوس التضحية في الحرب) قد جادت بكلّ الأشكال التي تحتها ظهر العقاب في التاريخ.

10.

إنّ جماعةً قويت شوكتها⁵ لن تأخذ جرائم الفرد على محمل الجدّ، من أجل أنّه لم يعد يسوغ لها أن تعدّ تلك الجرائم كما في السابق خطيئةً وهدامةً بنفس المقدار إزاء بقاء الكلّ: لم يعد الجاني⁶ "يهدّر دمه دونما حرج"⁷ ويُخْرَج من دياره، ولم يعد يحقّ لغضب الكلّ أن ينصبّ عليه بلا عِنان كما في السابق، - بل إنّ الجاني هو، على الأرجح، منذ الآن محميّ ومُجَارٌّ برفق من قبل الجماعة في وجه هذا الغضب، وبالأخصّ من المتضرّرين للتوّ. الصلح مع غضب الذين أصابتهم الجناية للتوّ؛ وجهدٌ يُبذل من أجل تحديد موقع الواقعة والوقاية من مشاركة وقتنة أوسع أو حتى عامة؛ ومحاولات، للعثور على أبدال متكافئة وفضّ الأمر كلّهُ (*compositio*)⁸؛ وقبل كلّ ذلك الإرادة، التي تجابه الأمر على نحو أكثر فأكثر إصراراً، لأنّ تؤخذ كلّ جريمة بوصفها قابلة للفدية⁹ بمعنى أو

behüten - 1

Gesittung - 2

der *Minus* - 3

4 - باللاتينية في النص الألماني: "الويل للمغلوبين!".

Macht - 5

der Übelthäter - 6

"friedlos gelegt" - 7

8 - *compositio*. مصطلح من القانون الروماني يعني الحكم الذي ينظّم البتّ في نزاع بين متخاصمين.

abzahlbar - 9

بآخر، ومن ثم، لأن يُفصل، على الأقل بمقدار معين، بين المجرم وفعلته - تلك هي الملامح التي طبعت التطور اللاحق للقانون الجنائي على نحو أكثر فأكثر وضوحاً. فإذا نمت قدرة جماعة ما وزاد وعيها بذاتها، خف أيضاً على الدوام [309] قانون العقوبات؛ وكلّ إضعاف وكلّ خطير جسيم قد يلحق به من شأنه أن يُبرز من جديد إلى النور أشكاله الأشد صرامة. إنّ "الدائن" إنّما يصبح دوماً في طور أكثر إنسانية بقدر ما يصبح أكثر ثراءً؛ وفي الأخير فإنّ مقياس ثرائه ذاته إنّما هو مدى ما يمكنه أن يتحمّل من الأضرار، دون أن يألم. ما كان من المحال أن يوجد وعي بالقدرة لدى مجتمع ما، بحيث أنّه قد يجوز له ألاّ يضنّ عن نفسه بالترف الأسمى شرفاً، الذي يمكن أن يوجد بالنسبة إليه، - أن يذر بلا عقاب من ألحق به ضرراً. "وعلى الحقيقة، ما شأني والمتطفلين؟ كذا، حقيقّ به أن يقول عندئذ. فليعيشوا وليفلحوا؛ فلهذا الأمر أنا مازلت قوياً كفاية!"... إنّ العدالة التي ابتدأت بـ "أنّ كلّ شيء يمكن أن يُدفع ثمنه"، وأنّ كلّ شيء ينبغي أن يُدفع ثمنه"، إنّما تنتهي بذلك إلى أن تتغاضى عن الهفوات وأن تترك غير القادر على الدفع يذهب في حال سبيله، - هي تنتهي مثل أيّ شيء جيّد على الأرض، إلى تدمير نفسها بنفسها². هذا النحو من تدمير العدالة لنفسها؛ يعلم المرء بأيّ اسم جميل تسمّى - باسم الرحمة³؛ وإنّما هي تبقى، كما يفهم ذلك من نفسه، امتياز المقتدر، بل أفضل من ذلك، ما وراء الحق الذي يخصّه⁴.

11.

- كلمة استنكار⁵ هنا ضدّ المحاولات المبذولة في العهد القريب تنقيباً عن أصل العدالة على أرضية أخرى تماماً، - لاسيّما على أرضية الاضطغان. لنقل ذلك باديئ الأمر في آذان النفسانيين، متى فرضنا أن راودتهم الرغبة مرّة في أن يدرسوا الاضطغان ذاته عن كثب: هذه النبتة إنّما تزهر اليوم أيّما إزهار بين الفوضويين والمعادين للسامية، كما كانت قد أزهرت دوماً، على كلّ حال، في الخفاء، مثل بنفسجة، وإنّ برائحة أخرى. وكما أنّه من الشبيه ينبغي بالضرورة أن يخرج الشيء الشبيه، كذلك

abzahlbar - 1

2 - قارن: المقالة III، § 27.

3 die Gnade - 3

4 sein Jenseits des Rechts - 4

5 - استطراد سوف يتواصل إلى نهاية الفقرة 12.

ليس من العجب أن نرى محاولات تخرج من جديد من تلك الدوائر عينها، كما سبق أن وُجدت ذات المرات - قارن أعلاه ص 30¹ -، [310] تبرّر -و- تقدّس² الثأر تحت اسم العدل - كما لو أنّ العدل لم يكن في أساسه غير تطوير لاحق للشعور بـ كينونة -منتهكة³ - ومع الثأر تضع آخر الأمر كلّ المشاعر الارتكاسية⁴ بعامة موضع الشرف. إنّ أقلّ شيء قد أشعر إزاءه بالصدمة هو الأمر الأخير: بل، بالنظر إلى المشكل البيولوجي برقمته (الذي ما حُطّ من قيمة تلك المشاعر إلى حدّ الآن إلّا بالاستناد إليه)، هو عندي خصلة حميدة⁵. إنّ ما أُنَبّه عليه فحسب هو هذا الأمر: أنّ روح الاضطغان ذاته هو الذي منه انبثقت هذه اللطيفة⁶ الجديدة في الإنصاف العلمي (لصالح الكراهية والحسد والغيرة والظنّ والحقد والثأر). وذلك أنّ هذا "الإنصاف العلمي" سرعان ما يحمّد ويذر مكانه لنبرات العداء والانحياز المميّنة، ما إنّ يتعلق الأمر بزمرة أخرى من المشاعر، هي، على ما أظنّ، أرفع قيمة بيولوجية من مشاعر الارتكاس تلك بكثير، وبالتالي تستحقّ رأساً أن تُقيّم علمياً وأن يُعلّى من شأنها. لاسيّما المشاعر الفعّالة حقيقةً، من قبيل حبّ السيطرة وحبّ التملّك وما شابه. (أ. دوهرنغ⁷، قيمة الحياة؛ دروس في الفلسفة؛ وعلى الحقيقة في كلّ المواضع). كذا هو أمر هذه النزعة في عمومها؛ أمّا ما يتعلق بالأطروحة الخاصة بدوهرنغ، أنّه علينا أن نبحث عن موطن⁸ العدالة على أرضية الشعور الارتكاسي، فإنّه ينبغي، محبّة للحقيقة، أن نعارضه بالانقلاب الشديد لهذه الأطروحة الأخرى: إنّ آخر أرض، اقتحمها روح العدالة⁹، هي أرض الشعور الارتكاسي! ولو حدث فعلاً أنّ ظلّ الإنسان العادل

1 - المقالة I، § 14 .

2 - heiligen. برّر في معنى يقرب أن يؤخذ في معنى "قدّس".

3 - das Verletzt-sein

4 - راجع: المقالة I، § 10 .

5 - ein Verdienst

6 - die Nuance

7 - E. Dühring - فيلسوف ألماني (1833-1921)، اشتهر بمعاداته للتصوّر الماركسي لصراع الطبقات.

قارن: المقالة III، § 14 .

8 - die Heimat

9 - علينا أن نبصر برهان نيتشه هنا، كما في جميع كتاباته: أنّ العدالة ليس لها معنى واحد ولا مصدر واحد. ثمة عدالة فاعلة، خلافة، مقتدرة، عدالة الاختلاف بين النبلاء المتنافسين، وهي الأولى ظهوراً على الأرض؛ ثم جاءت من بعد عدالة العبيد، عدالة المساواة بين الضعفاء والمعدمين،

عادلا حتى إزاء الذي ألحق به ضرراً (وليس فقط بارداً، مُقسطاً، غريباً، غير مكرث؛ فأن يكون المرء عادلا هو على الدوام سلوكٌ موجب)، لو أنه حتى تحت فُجاءة اعتداءٍ أو هُزءٍ أو اتِّهام شخصيٍّ، لا تتعكّر الموضوعية العالية، الواضحة، العميقة بقدر ما هي رحيمة، أَلتي تتحلّى بها العين العادلة، المستددة في حكمها¹، إذاً لكان ذلك شوطاً من الكمال والرئاسة العليا على الأرض، - وكذلك شيئاً يجب على المرء هنا أن يحترس أكثر فلا ينتظره، وبه ليس من اليسر على كلّ حال أن يؤمن أبداً. فمن المؤكّد بين غالب الناس أنّه حتى لدى أعفّ الأشخاص وأصلحهم إنّما يكفي جرعة صغيرة من التهجم والخبث والغمز حتى تحمّر العين دماً وتعمى عن كلّ إنصاف. إنّ الإنسان الفاعل، المعتدي، الجائر، إنّما يقف على الدوام أقرب مائة خطوة إلى العدالة من الإنسان الارتكاسي؛ وليس ههنا من حاجة لازمة عنده، على منوال ما يصنع الإنسان الارتكاسي وما يجب عليه أن يصنع، لأنّ يحطّ من قدر موضوعه خطأً وتحيزاً. وإنّما لهذا السبب، في واقع الأمر، كان الإنسان المهاجم² في جميع الأزمان، من حيث هو الأقوى والأشجع والأنبل، يملك أيضاً من جهته النظرة الحرة والضمير الأنقى سريرة؛ والأمر يُعكس، فإنّ المرء لا بدّ وأنّ تخنّ بعدُ من الذي يحمل في ضميره بعمامة اختراع "الضمير الشقيّ"، - ألاّ إنّهُ إنسان الاضطغان³! وفي النهاية فليُنظر المرء إلى التاريخ⁴: إذ في أيّ فلك كان استعمال الحقّ⁵ في كليته، وكذا الحاجةُ الأصيلة إلى الحقّ بعمامة، قد وجدا موطنهما على الأرض إلى حدّ الآن؟ هل في فلك الإنسان الارتكاسي؟ كلاً أبداً؛ بل في فلك الإنسان الفاعل، القويّ، العفويّ، المهاجم. ومتى فحصنا الأمر من جهة ما دُوّن في التواريخ⁶، - لنقل

لتكسرها وتمحوها وتسيطر على جهاز العدالة برمته من خلال المشاعر الانفعالية: مشاعر الذنب التي تقوم على تحويل ألم الحياة إلى شعور بالخطأ والخوف والعقوبة. قارن: حدّث زرادشت قال، الكتاب الثاني، "عن العناكب"، المسيح المضاد، § 57.

1 - richtend. يستغل نيتشه هنا معنيين على الأقلّ في فعل "richten" ألا وهما: 1. سدّد وصوّب؛ و2. حكم وقضى. وأغلب الترجمات لا توفق في الجمع بين المعنيين. ولذلك جمعنا بينهما في عبارة "المستددة في حكمها".

2 - aggressiv

3 - استباق لما سيأتي في الفقرة 16، حيث يتمّ بحث مفصّل في مسألة أصل الضمير المعذب.

4 - Geschichte

5 - das Recht

6 - ist... heimisch gewesen.

7 - historisch

ذلك تنغيصاً على الداعية¹ المشار إليه (الذي بنفسه اعترف على نفسه ذات مرة قائلاً: "إنّ مذهب الثأر قد اخترق كلّ أعماله وجهودي باعتباره خطّ العدالة الأحمر")- فإنّ القانون على الأرض إنّما يمثّل الصراع ضدّ المشاعر الارتكاسية، والحرب عليها من جانب القدرات² الفاعلة والمهاجمة التي تستعمل شطراً من قواها³ بغية إيقاف انفلات الباثوس الارتكاسي والحدّ منه وفرض صلح ما عليه. ففي كلّ مكان حينما تُراعى عدالة ما، حينما تكون العدالة مصونةً قويمةً، يرى المرء قدرةً أقوى بإزاء قدرة أضعف منها خاضعة لها (أكانت جمعاً أم أفراداً) تبحث عن وسائل، [312] بها تضع نهايةً للحقّ المجنون للاضطغان، وذلك إمّا بأن تنتزع موضوع الاضطغان من يد الثأر، أو أن تخوض بنفسها، نيابةً عن الثأر، صراعاً ضدّ أعداء السلام والنظام، أو أن تخترع تعويضات وتقترحها، وفي بعض الحالات أن تفرضها فرضاً، أو أن ترفع أعضاضاً معيّنة عن الأضرار إلى رتبة المعيار، إليها يتمّ منذ الآن فصاعداً ردّ الاضطغان. بيد أنّ الأمر الأكثر حسماً، الذي تفعله السلطة العليا وتفرضه ضدّ غلبة المشاعر المضادة والمتعاطفة- وهي تفعل ذلك دوماً، ما إن تكون قوية كفاية للقيام به- إنّما هو تنصيب القانون⁴، التفسير⁵ القطعي لما ينبغي أن يسوغ، في عينيها، باعتباره مباحاً، باعتباره عادلاً، ما ينبغي أن يسوغ باعتباره ممنوعاً، باعتباره ظالماً؛ فمن حينها، بعد تنصيب القانون، تعامل الاعتداءات والأفعال الاعتبارية التي يقترفها فرد أو مجموعة كاملة، بوصفها جناية⁶ ضدّ القانون وتمرداً على السلطة العليا ذاتها، هي تُزيغ شعور الخاضعين لها عن الضرر المباشر الناجم عن هكذا جناية فتبلغ من ثمة مع المدة إلى عين العكس تماماً يريد كلاً ثأراً، الذي يرى الأمر من جهة نظر المتضرّر وحده، ولا يسمح أن تسوغ إلّا هي-: منذئذ تأخذ العين في التدرّب على تقدير للفعل لا-شخصي أكثر فأكثر، بل حتى عين المتضرّر ذاته (وإن كان ذلك بأخيرة، كما تمت الإشارة إلى ذلك).- وطبقاً لذلك فإنّه انطلاقاً من تنصيب القانون فحسب إنّما يكون ثمة

Agitator - 1

Mächte - 2

Stärke - 3

das Gesetz - 4

Erklärung - 5

der Frevel - 6

"عدل" و"ظلم"² (وليس، كما يريد دوهرنغ، من فعل الانتهاك). إنّ الكلام على عدل وظلم في ذاته إنّما يخلو من كلّ معنى، إذ في ذاته لا يمكن بالطبع أن يكون انتهاكاً أو اغتصاباً أو استغلالاً أو إهلاكاً ما شيئاً "غير عادل"، وذلك من جهة أنّ الحياة في جوهرها، أي في وظائفها الأساسية، إنّما تعمل من حيث ما تنتهك وتغتصب وتستغل وتُهلك ولا يمكن أبداً أن تُتصوّر من دون هذه الطباع³. بل ينبغي على المرء أن يقرّ بشيء أكثر خطراً: أنّ الأوضاع القانونية⁴ لا يمكن أن تكون، من جهة النظر البيولوجية الأعلى شأواً، [313] إلا أوضاعاً استثنائية⁵، من جهة ما هي في شطر منها تقليص لإرادة الحياة الأصلية، التي تحضّ على الاقتدار، وهي تنخرط في غرضها العام بوصفه وسيلة خاصة: لاسيما بوصفها وسيلة من أجل خلق وحدات-اقتدار⁶ أكبر حجماً. إنّ نظاماً حقوقياً⁷ يتمتع بسيادة كلية ويُفكر فيه، لا باعتباره وسيلة في الصراع بين مركّبات-اقتدار⁸، بل بوصفه أداة ضدّ كلّ صراع بعامة، بوجه ما بحسب قالب دوهرنغ الشبوعي، أنّ على كلّ إرادة أن تأخذ كلّ إرادة باعتبارها مساوية لها، إنّما سيكون مبدأ معادياً للحياة، شيئاً مدمراً⁹ ومفكّكا للإنسان، محاولة اغتيال لمستقبل¹⁰ الإنسان، أمانة على الإنهاك¹¹، طريقاً تتسلّل نحو العدم.

12.

كلمة أخرى هنا حول أصل العقاب والهدف منه- إذ هما مشكلان يقعان الواحد بمعزل عن الآخر أو قد يجب أن يقعا: إلّا أنّ المرء، وأسفاً، يلقي بهما في سلة واحدة. ولكن كيف تصرف جنياولوجيو الأخلاق إلى حدّ الآن إزاء

1 - "Recht"

2 - "Un-recht"

3 - قارن : ما وراء الخير والشر، § 259.

4 - Rechtszustände

5 - Ausnahme-Zustände

6 - Macht-Einheiten

7 - Rechtsordnung

8 - Macht-Complexen

9 - قارن : المقالة III، § 14؛ ما وراء الخير والشر، § 204.

10 - قارن : التصدير، § 6.

11 - قارن : المقالة I، § 12.

هذه الحالة؟ بشكل ساذج، كما كانوا تصرّفوا دوماً: فهم يعثرون في العقاب على أيّ "هدف" اتفق، الثأر مثلاً أو الردع، ثمّ يضعون هذا الهدف بكلّ ثقة في موضع البداية، بوصفه *causa fiendi*¹ العقاب، و- انتهى الأمر. بيد أنّ "الهدف من القانون"² هو آخر شيء ينبغي أن يُستخدم للكشف عن تاريخ مولد القانون؛ بالحرّيّ ليس ثمة بالنسبة إلى أيّ نوع من كتابة التاريخ⁴ من مبدأ أهمّ من ذاك الذي لم يُحرز عليه إلّا بهكذا مشقّة، على أنّه كان يجب أيضاً أن يكون قد أُحرز فعلاً، - ألا وهو أنّ سبب مولد شيء ما، من جهة، والفائدة الأخيرة منه واستعماله في الواقع وتنزيله ضمن منظومة من الأهداف، من جهة أخرى، إنّما هما أمران منفصلان انفصال السماء عن الأرض؛ أنّ شيئاً قائماً، بلغ إلى الحالة التي هو عليها على أيّ نحو اتفق، إنّما يُفسّر دوماً مرة أخرى من قبل قدرة غالبية عليه وفقاً لأراء جديدة، ويؤخذ بناصيته على نحو جديد، ويُعاد تأليفه وتسديده نحو فائدة جديدة؛ أنّ كلّ حادثة في [314] العالم العضوي هي غلبة وسيادة⁵ وأنّ كلّ غلبة وسيادة هي بدورها تأويلٌ جديد، وترميم⁶، لديه لابدّ وأن يصبح "المعنى" و"الهدف" السابق مستورا أو محوّاً تماماً. وحتى لو فهم المرء جيّداً وجه الفائدة⁷ من عضو فزيولوجي أو آخر (أو أيضاً من مؤسسة حقوقية أو عرف اجتماعي أو تقليد⁸ سياسي أو شكل في الفنون أو في الطقوس الدينية)، فهو لما يفهم بذلك شيئاً بخصوص مولده؛ ومهما كان صدى هذا الأمر غير مريح وغير موافق لهوى هذه الأذان العجوز، - فإنّ المرء منذ الأقدمين كان قد اعتقد أنّه إنّما في الهدف⁹ القابل للبرهنة، في الفائدة من شيء ما، من شكل ما، من مؤسسة ما، علينا أيضاً أن ندرك سبب تولّده، العين بوصفها مجعولة للبصر، واليد بوصفها مجعولة

1 - باللاتينية في النص الألماني: "علة حدوث".

2 - "Zweck im Rechte" der. إشارة إلى مقالة شهيرة لحقوقي ألماني يُدعى إهرينغ (Ihering).

3 - Recht

4 - Historie

5 - Herrwerden

6 - ein Zurechtmachen. الترميم عارض على تشوّه تأويلي يصيب إرادة اقتدار جديدة استولت على قيمة قديمة. قارن: ما وراء الخير والشر، الفقرة 14.

7 - Nützlichkeit

8 - der Brauch

9 - عن تفسير الغاية لدى نيتشه، را: المعرفة المرحّة، § 360.

للإمساك. كذا أيضا قد تخيل المرء أنّ العقاب قد اخترع لتسليط العقاب. بيد أنّ كلّ الأهداف وكلّ الفوائد إنّ هي إلاّ أمارات¹ على هذا أنّ إرادة اقتدار قد صارت كما سيّد مقتدر على شيء أقلّ منه اقتداراً، وختم له من نفسه على معنى وظيفة ما؛ وإنّ التاريخ الكامل لـ "شيء" ما وعضو ما وتقليد ما إنّما يمكن أن يكون على هذا النحو سلسلة علامات² متصلة من التأويلات والاستصلاحات الجديدة على الدوام، لا تحتاج أسبابها ذاتها لأن تكون في تلازم فيما بينها، بل حشّنها على الأرجح إذا اقتضى الحال أن تتتالي على سبيل المصادفة وأن تتناوب³. إنّ "تطوّر" شيء ما، تقليد ما، عضو ما، هو بذلك أقلّ ما يكون مرادفاً لما يحقّقه من progressus⁴ نحو غاية ما، بل وأقلّ ما يكون progressus منطقياً ومختصراً، يُبلّغ إليه بأسر إنفاق في القوة والتكاليف، - بل هو تعاقب سيرورات التغلب، البعيدة الغور قليلاً أو كثيراً، المستقلة بهذا القدر أو ذاك عن بعضها البعض، التي تجري في صلبه، بالإضافة إلى المقاومة المتعددة التي تعرض في وجهه في كل مرة، ومحاولات تغيير-الشكل بغرض الدفاع ورد الفعل⁵، وكذا نتائج [315] الأعمال المضادة⁶ الناجحة، إنّ الشكل لمائع، لكنّ "المعنى" أكثر وأكثر... بل حتى في داخل كلّ عضو⁷ مفرد لا يجري الأمر على نحو آخر: فمع كلّ نموّ جوهريّ للكُلّ إنّما يزحزح أيضاً "معنى" الأعضاء المفردة، - وإذا اقتضى الحال يمكن لهلاكها الجزئي وتقلّص عددها (مثلاً عبر إعدام الأعضاء⁸ الأواسط) أن يكون علامة على قوة¹⁰ وتمايّة مطّردة. وإنّما أريد أن أقول: حتى كون شيء ما قد صار غير ذي نفع¹¹ بوجه من الوجوه وحتى الحرمان والمسوخ وفقدان المعنى

Anzeichen - 1

eine Zeichen-Kette - 2

3 - قارن: المعرفة المرحلة، § 83.

4 - "Entwicklung"

5 - progressus

6 - Reaction

7 - Gegenaktion

8 - das Organ

9 - der Glied

10 - Kraft

11 - das Unnützlichwerden

والجدوى، وباختصار حتي الموت إنَّها هي أمور تنتمي إلى شروط التقدّم الفعلي؛ ربّ تقدّم كان يظهر دوماً في هيئة إرادة وسبيل نحو قدرة أعظم ويُنفَّذ دوماً على نفقة قدرات أصغر عديدة. بل إنَّ عظمة "تقدّم" ما إنَّها تُقاس بحسب كمية¹ كلّ ما كان ينبغي أن يُضخّى به دونه؛ كذا الإنسانية جمهوراً² يُضخّى به من أجل فلاح نوع واحد أقوى، من البشر - ذَا كان يكون تقدّماً...- وأنا أبرز هذا الجانب الرئيس من المنهجية التاريخية، لاسيما وأنَّه في أساسه يذهب بعين الضد من الغريزة الغالبة وذوق العصر، الذي لازال يودّ أن يتعاقد مع المصادفة المطلقة، بل مع العبث الميكانيكي الذي يحرك الحادثات، أفضل من التعاقد مع النظرية القاضية بنحو من إرادة الاقتدار الجاري دولابها في كلّ حادث. إنَّ الحسّاسيّة³ الديمقراطية إزاء كلّ ما يسود ويريد أن يسود، نعني الميزاركية⁴ الحديثة (حتى ننحت لفظة سيئة لأمر سيء) قد تحوّلت وتنكرت شيئاً فشيئاً في زيّ روحانيّ، أكثر ما يكون روحانيّة، بحيث أنّها اليوم تتسرّب بعد، بمقدورها أن تتسرّب، خطوة خطوة، إلى صلب العلوم الأكثر صرامة، التي تبدو موضوعيّة كأشدّ ما يكون⁵؛ أجل، يظهر لي أنّها بسطت بعد سيادتها على الفزيولوجيا ونظريات الحياة في جملتها، حيفاً ومضرة لها، كما يفهم ذلك من نفسه، من حيث أنّه قد حجب عنها مفهومها أساسيّاً، مفهوم الفعاليّة⁷ الحقيقية. لكنّ المرء، تحت [316] ضغط هذه الحسّاسيّة، إنّها يضع "التكيف"⁸ في الصدارة، وذلك يعني فعاليّة من الدرجة الثانية، مجرّد انفعاليّة⁹، بل هو يعرف الحياة ذاتها بوصفها تكيفاً باطنيّاً، هادفاً أكثر فأكثر، مع أوضاع خارجية (هربرت سبنسر¹⁰). بيد أنّه بذلك إنّها

die Masse - 1

die Masse - 2

Idiosynkrasie - 3

4 - der *Misarchismus*. لفظ منحوت مركّب من جذور لغوية يونانية: 1. misein أي كره وأبغض ومقت؛ و 2. arkhein بمعنى "قاد" و"حكم" و"برز". فالعبارة تعني: "كره القيادة" أو "بغض الحاكم" أو "مقت البروز".

dürfen - 5

6 - قارن: المقالة I، § 4؛ المقالة III، § 23 وما بعدها؛ ما وراء الخير والشر، § 14.

Aktivität - 7

die "Anpassung" - 8

Reaktivität - 9

.Herbert Spencer - 10

يتمّ تجاهل ماهية الحياة، ما فيها من إرادة الاقتدار؛ وإنّما بذلك تقع الغفلة عن الأولوية المبدئية التي تملكها القوى¹ العفوية، الهجوم²، العنوت³، التي تفسّر فتجدّد وتوجّه في غير مسبوق وتهب الأشكال، وليس من "تكيف" إلاّ تحت تأثيرها؛ وإنّما بذلك يجري إنكار الدور الرئيس الذي للوظائف العليا في الجهاز العضوي ذاته، تلك التي فيها تظهر إرادة الحياة نشطة، واهبة للصورة⁴. والمرء يذكّر ما كان هاكسلي يعيه على سبنسر، - "عدميته الإدارية"⁵؛ إلاّ أنّ الأمر يتعلّق بشيء أكثر بكثير من عمل "الإدارة"...

13.

- على المرء إذن، حتى يعود القهقري إلى عين المسألة، أعني إلى العقاب، أن يميّز فيه أمرين: من جهة، الشيء الذي هو بقدر ما ديوّم فيه، التقليد، الفعل، "الدراما"، متوالية من الإجراءات صارمة بوجه ما، ومن جهة، الشيء الذي هو سيّال فيه، المعنى، الهدف، المنتظر، الذي يقترن بتنفيذ هكذا إجراءات. عندئذ سوف يتمّ الافتراض، دون مُشاحّة في الأمر، *per analogiam*⁶، وذلك طبقاً لجهة النظر الكبرى للمنهجية التاريخية، التي بسطانها للتوّ، أنّ الإجراءات ذاته سيكون شيئاً أقدم وأسبق من الانتفاع بها في أمر العقاب، أنّ هذا الأخير قد وُضع أوّل الأمر في صلب الإجراءات (القائم منذ أمد طويل، ولكن المتّبع في معنى آخر) وتُووّل في حوضه، وباختصار، أنّ الأمر لا يجري كما أخذه أصحابنا السذج من جنياولوجي الأخلاق والقانون إلى حدّ الآن، الذين ظلّوا بكلّيتهم أنّ الإجراءات قد اخترع بهدف العقاب، كما ظلّ الناس من قبلهم أنّ اليد قد اخترعت بهدف الإمساك. [317] أمّا فيما يخصّ العنصر الآخر للعقاب، العنصر السيّال، و"معناه"، فإنّ مفهوم

1 - die Kräfte

2 - angreifend

3 - übergreifend

4 - neu-auslegend

5 - formgebend

6 - يحيل نيتشه على مقالة للبيولوجي البريطاني توماس هنري هاكسلي عنوانها: "Administrative Nihilism" (*Forthnightly review*، نوفمبر 1871).

7 - باللاتينية في النص الألماني: "بحسب قاعدة التناسب".

"العقاب"، في واقع الأمر، لن يمثل أبداً، ضمن حالة جد متأخرة من الثقافة¹ (في أوروبا اليوم على سبيل المثال)، معنى واحداً، بل تأليفاً كاملاً من "المعاني"؛ فإن تاريخ العقاب إلى حد الآن بعامه، تاريخ الاستنفاع منه في أهداف شتى، إنما يتبلور آخر الأمر ضمن ضرب من الوحدة، التي هي عصية على الحل، عصية على التحليل والتي هي، وهو ما ينبغي على المرء أن يخصّه بالذكر، غير قابلة للحدّ أبداً ولا بوجه من الوجوه. (إنّه من غير الممكن اليوم أن نقول على وجه اليقين لماذا ثمة عقاب أصلاً: كلّ المفاهيم التي فيها يتلخّص مسارٌ سيميوتيقى² برمتّه، إنما تمتنع عن الحدّ؛ فليس بقابل للحدّ إلا شيءٌ ليس له تاريخ). وعلى ذلك ففي طور سابق كان هذا التوليف من "المعاني" يظهر أكثر قابليّة للحلّ، بل وأكثر قابليّة للإزاحة؛ كان لازال يمكن للمرء أن يدرك، كيف تغيّر عناصرُ التّأليف، بإزاء كلّ حالة جزئية، من تكافؤها³ وطبقاً لذلك تغيّر من مرتبتها، بحيث تارة هذا العنصر وطوراً ذاك يبرز ويهيمن على سائرهما، بل وكيف يظهر، في بعض الأحوال، أنّ عنصراً (مثل الهدف من الردع) قد أبطل⁴ بقية العناصر برمتها. من أجل أن نمنح، على الأقلّ، صورةً عن كم أنّ "معنى" العقاب لا يمتّ إلى اليقين بصلّة، كم هو ملحق وعرضي، وكيف يمكن لنفس الإجراء الواحد أن يُستخدَم ويؤوّل ويرتّب وفقاً لأغراض شتى: هوذا الرسم الذي سنح لي وإنّ بالاستناد إلى موادّ هي في شطر منها قليلة ولا تخلو من المصادفة. العقاب بما هو إبطال للقدرة على الضرر⁵، بما هو منعٌ لضررٍ أكبر. العقاب من حيث هو دفعٌ ثمن⁶ عن الضرر للمتضرّر، في أيّ شكل اتفق (حتى ولو كان ذلك في شكل تعويض⁷ وجداني). العقاب من جهة ما هو عزل لإخلال بالتوازن، اتّقاءً من اتّساع الخلل. العقاب بوصفه إخافةً للذين يحدّدون العقاب وينفّذوه. العقاب باعتباره نوعاً من البدل⁸ عن المغام التي تمتّع بها المجرم إلى حدّ ذلك (مثلاً [318] بجعله

die Cultur – 1

semiotisch – 2

Werthigkeit – 3

aufheben – 4

Unschädlichmachen – 5. في معنى تحييد القدرة على الإضرار. أن نجعل أحدهم غير قادر على الإضرار.

Abzahlung – 6

Compensation – 7

der Ausgleich – 8

قابلاً للانتفاع به عبداً في المناجم). العقاب بصفته إفراداً للعنصر المسوخ (وبعض الأحيان لفرع كامل، كما في القانون الصيني : بحيث كما وسيلة للإبقاء على صفاء العرق القومي أو ترسيخ نمط اجتماعي). العقاب بما هو عرس، لاسيما من حيث ما يكون جوراً وهزءاً من عدوّ تُغلب عليه بعد لأي. العقاب من جهة ما هو صنعٌ لذاكرة²، سواء أكان ذلك لدى الذي أصابه العقاب- "الإصلاح"³ المزعوم، أم لدى الشهود على التنفيذ. العقاب بوصفه تسديداً للأجر المشروط من جانب السلطة⁴، التي شأنها أن تحمي مقترف الجرم من نزوات الثأر. العقاب بما هو تسوية مع الحالة الطبيعية للثأر، إذا ما كان هذا الأخير لا يزال محفوظاً ساري المفعول لدى أقوام ذوي بأس، يطالبون به كفضل لهم على الناس. العقاب من حيث هو إعلان حرب وإجراء حربي ضدّ عدوّ للسلم والقانون⁵ والنظام والسلطة⁶، شأن المرء أن يحاربه باعتباره خطراً على الجماعة، بوصفه مخلاً بالعقد من حيث شروطه، بوصفه ثائراً، خائناً، ومخللاً بالسلم، وذلك بحسب الوسائل التي تضعها الحرب في أيدينا⁸.

14.

تلك قائمة هي بلا ريب غير مستوفاة؛ ومن البين أنّ العقاب محمّل بفوائد من كلّ نوع. بالحرّي إذن أن يُسمح للمرء بأن يطرح منه فائدةً مظنونة⁹، هي على كلّ حال تسوغ في الوعي الشعبي بوصفها فائدته الأرسخ أصلاً، - بل إنّ الإيمان بالعقاب، الذي تزعزع اليوم لأسباب عديدة، لا يزال يجد فيها بالتحديد دعامة الكبرى. يُفترض أنّ العقاب إنّما يستمدّ قيمته من كونه يوقظ الشعور

Ausscheidung - 1

ein Gedächtnismachen - 2

"Besserung" - 3

Zahlung - 4

die Macht - 5

das Gesetz - 6

Obrigkeit - 7

8 - قارن: المقالة II، §§ 5 و 21.

9 - vermeintlich

بالذنب عند المذنب، إذ يبحث المرء فيه على الـ *instrumentum* الحقيقي لهذا الارتكاس النفسي الذي يُسمّى "الضمير المعذب"² و"خز الضمير"³. بيد أنّ المرء بذلك، حتى بالنظر إلى عصرنا، إنّما يعتدي [319] على الواقع وعلى علم النفس؛ وكم يكون الاعتداء أكبر حينما يتعلق الأمر بالتاريخ الأطول للإنسان، بما قبل تاريخه! إنّ تأنيب الضمير في ما بين المجرمين والمساجين إنّما هو شيء أندر ما يكون، إذ ليست السجون والمحابس بالأوكار التي يولع فيها هذا النوع من الديدان القاضمة بالنجاح والفلاح؛ - على هذا يتفق كل الملاحظين العاملين بما يمليه الضمير، الذين في حالات كثيرة يدلون بهذا الحكم رُغمًا عنهم وعلى الضدّ من رغبتهم الأخصّ. ومتى أخذنا الأمر على الجملة فإنّ العقاب يزيّد المرء صلابة وبرودة في الطبع؛ هو يشدّه إلى مركز؛ ويشحذ الشعور بالاغتراب؛ وهو يعزّز قوة المقاومة. وإذا ما حدث أن كسر الطاقة وقاد إلى طريق السجود الوضعي وإذلال النفس، فإنّ هكذا نتيجة هي بلا ريب أقلّ إمتاعاً من التأثير السائد للعقاب: من جهة ما يتميّز بحدّة جافة وصادية. بيد أنّ المرء متى فكّر بتلك الآلاف من السنين ما قبل تاريخ الإنسان، فإنّه يمكن أن يحكم دونما تردد بأنّ العقاب هو الذي عطلّ⁶ تطوّر الشعور بالذنب كأقوى ما يكون، - على الأقلّ بالنسبة إلى الضحايا التي نزل بها عنف العقاب. إذ علينا ألاّ نغفل إلى أيّ مدى كان المجرم، من خلال مشهد الإجراءات القانونية والتنفيذية ذاتها، ممنوعاً من أن يشعر بفعلته وطبيعته فعلته كأمر مشين في ذاته: إذ هو يرى إلى نفس الشاكلة من الأفعال تُقترَف في خدمة العدالة فيُرحّب بها أحسن ترحيب، وتُقرَف بسريرة نقيّة⁷؛ كذا التجسّس والتحايل والارتشاء ونصب الفخاخ، كلّ الفنّ المخادع والمكار للشرطيّين والمدّعين، ثمّ النهب والقهر والسّب والأسر والتعذيب والتقتيل، المبدأ الأساس الذي لا يُعذّره عذرٌ حتى العاطفة، كما يبدو ذلك في مختلف أنواع

1 - باللاتينية في النص: "الأداة".

2 - "schlechtes Gewissen"

3 - "Gewissensbiss"

4 - *gewissenhaft*. يلمّح نيتشه إلى معنيين في نفس الكرة: 1. المعنى الحرفي أو الأصلي: المتحلّي بالضمير؛ 2. المعنى العادي: الدقيق الأمين في بحثه. والشرّاح يرون في هذه السطور ملامح شخصيات دستوفسكي، الذي قرأ له نيتشه على الخصوص ذكريات بيت الموتى.

5 - *Entfremdung*

6 - *aufhalten*

7 - *mit gutem Gewissen*

العقاب، - كلّ ذلك إذن ما هو في عين القضاة بشيء مذموم أو مُدان في ذاته أبداً، بل فقط من ناحية ما وبحسب مصلحة بعينها. [320] إنّ "الضمير الشقيّ"، هذه النبتة الأكثر وحشة والأكبر أهمية من بين نبات الأرض، إنّما لم ينم على هذه التربة¹، - في الواقع، لم يكن ثمّة شيء يُعبّر في وعي القضاة والمعاقين أنفسهم في أغلب ردهات الزمان عن أنّ المرء قد بات له شأن مع "مذنب". بل مع متسبّب في ضرر، مع قطعة غير مسئولة من شؤم مقدور². وهذا نفسه، الذي عليه وقع العقاب بدوره كقطعة من المقدور، لم يكن ليصيبه بذلك أيّ "عذاب باطني" مغاير لما قد يصيبه من وقوع خاطف لشيء غير متوقّع أو حادثة طبيعية مرعبة أو جلمود صخر ساحق حُط من علّ، فلم يعد ضده من كفاح.

15.

هذا أمر دار ذات مرة في خلد سبينوزا على نحو محرج (على رغم من شرّاحه، الذين يجهدون أنفسهم بعناية فائقة كي يسيثوا فهمه في هذا الموضع، كحال كينو فيشر³ مثلاً)، إذ هو ذات مساء، ومن يدري بأيّ شيء ارتطمت نفسه من أجل كذا ذكرى، طفق يسأل ماذا يا ترى يكون تبقى له من الـ *morsus conscientiae*⁴ - هو، الذي طرد الخير والشرّ إلى بوتقة الخيالات البشرية وناجح بحنق عن شرف إلهه "الحزّ" ضدّ أولئك المجذّفين الذين يذهب ادّعاؤهم إلى أنّ الله يفعل كلّ شيء *sub ratione boni*⁵ ("إلا أنّ ذلك يعني أن يخضع الله للقدر فيكون بذلك أكبر الشناعات حقّاً"). إنّ العالم بالنسبة إلى سبينوزا قد عاد مرة أخرى إلى تلك البراءة حيث كان يقف قبل اختراع الضمير الشقيّ: فما هو عندئذ مصير الـ *morsus conscientiae*؟ "إنّ نقيض الـ *gaudium*⁶، كذا قال في آخر الأمر، - هو حزنٌ مصحوب بفكرة شيء ماضٍ⁷، وقع على خلاف كلّ

1 - قارن: التصدير، § 2.

2 - das Verhängnis

3 - Kuno Fischer. هذا المؤلف له كتاب: تاريخ الفلسفة الحديثة (هايدلبورغ، 1865)، نهل منه نيتشه كما فعل هنا فيما يخص سبينوزا.

4 - باللاتينية في النص: "وخز الضمير".

5 - باللاتينية في النص: "طبقاً لعلّة الخير". قارن: سبينوزا، الإتيقا. الكتاب I، القضية 33، حاشية 2.

6 - باللاتينية في النص: "الفرح".

7 - vergangen

انتظار. "الإتيقا، III، القضية XVIII، الحاشية I، II. وليس بمغاير في شيء لما ارتآه سبينوزا¹ [321] ما شعر به المسيئون الذين أنزل بهم العقاب، طيلة آلاف السنين، بإزاء "إساءتهم"²؛ هذا أمرٌ قد زلّت فيه القدم من حيث لا نحتسب"، وليس "ما كان يجب عليّ أن أفعل" -، كانوا يلقون بأنفسهم إلى العقاب، كما يستسلم المرء إلى مرض أو مصيبة أو كما يذعن للموت، بتلك القدرة³ الشجاعة دونما تمرد، التي بها على سبيل المثال لازال الروس⁴ في استعمال⁵ الحياة يتميزون عتّا نحن بلاد الغرب إلى اليوم. فإذا كان ثمة من نقد للفعل، فإنّ الحكمة⁶ هي التي تمارس النقد على الفعل: دون أيّ سؤال ينبغي أن نبحث عن المفعول الحقيقي للعقاب قبل كلّ شيء في ناحية زيادة الحكمة وإطالة الذاكرة وإرادة تصبو إلى أن تفعل من هنا فصاعداً بتحوّط أكبر وتحذّر أكثر وتكتّم أسرّ، في الإبصار لآخر مرة بأن المرء في كثير من الأمور لابدّ يعجز، في ضرب من تحسين الحكم على أنفسنا. وعلى الجملة فإنّ ما يمكن أن يُبلّغ إليه من طريق العقاب، أكان ذلك لدى الإنسان أم الحيوان، إنّما هو مضاعفة الخوف وزيادة الحكمة والسيطرة على رغباته: بذلك فإنّ العقاب يدجن⁷ الإنسان، لكتّه لا يجعله "أحسن" ممّا كان، - بل قد يمكن للمرء أن يزعم العكس بشرعيّة أكبر. ("من الأذى ما يجعلك حكيماً"⁸)، كذا يتقول الشعب: ويقدر ما يجعله حكيماً، هو يجعله معذباً⁹ أيضاً. ولحسن الحظّ فهو غالباً ما يجعله غيباً.

1 - قرأ نيتشه نصوص سبينوزا سنة 1883 بكثير من الاهتمام، وبخاصة دحضه للعلل الغائية. إلّا أنّه انتبه في آخر المطاف إلى أنّه لم ينبج من "الفساد اليهودي" للفلسفة، تماماً مثلما أنّ باسكال يجسّد انحطاطها المسيحي. ما يغفله سبينوزا هو "دوافع" الحياة، قبل كل معرفة بـ "أفكار" أبدية، متى تعلّق بها الفيلسوف انقلب إلى أحد "مصاصي الدماء". قارن: المعرفة المرحّة، §§ 333 و 372.

2 - "das Vergehen". - يلعب نيتشه هنا على مراوحة خفية بين دالتين للفعل الألماني "vergehen" الذي يعني توالياً: 1. مضى وانقضى ومرّ؛ ولكن أيضاً 2. أئثم وأذنب وجنى وأساء وأجرم. وهي مراوحة في المعنى لا تؤديها الترجمات.

Fatalismus - 3

4 - حول قدريّة الروس، قارن: هذا هو الإنسان، "لم أنا جدّ حكيم"، § 6.

Handhabung - 5

Klugheit - 6

7 - قارن: المقالة I، § 11.

"Schaden macht klug" - 8

9 - schlecht. علينا أن نضع في الاعتبار أنّ نيتشه يشير هنا إلى معنيين معاً: 1. معنى السياق:

الآن، وقد بلغت هذا الموضوع، لم يعد ممكناً أن أبطئ في مساعدة فرضيتي الخاصة عن أصل "الضمير المعذب" على أن تحصل على إبانة أولى مؤقتة؛ فليس من اليسر أن نحملها إلى الأسماح وهي تريد أن يُتفكّر فيها وأن تحرّس وأن تُعاشّر لأمد طويل. إنّما أنا آخذ الضمير المعذب بمثابة إصابة بمرض دفين، لا بد وأن يقع فيه البشر تحت وطأة الأعماق من كلّ تلك التغيّرات التي مرّ بها في حياته، - ذاك التغيّر الذي طرأ، حين [322] وجد نفسه عالقاً بلا رجعة في سحر¹ المجتمع والسلم. وليس ذلك بمغاير في شيء لما ينبغي أن يكون حدث للحيوانات المائية، حيث كانت قد أرغمت على أن تصبح حيوانات برّية أو أن تأخذ في الانقراض، كذا جرى الأمر مع هذا الرهط من أنصاف الحيوانات، التي كانت لحسن الحظّ مهتأة لحياة القفار، للحرب، للترحال وللمغامرة، - ودفعة واحدة، صارت كلّ غرائزهم بلا أدنى قيمة و"تعطلت". قد بات يجب عليهم منذ الآن أن يسعوا على أقدامهم و"أن يحملوا أنفسهم بأنفسهم"، حيث كانوا إلى حدّ الآن محمولين على الماء؛ إنّ ثقلًا مريعاً قد أخذ يهدّ كاهلهم. فإذا داهمتهم أبسط الملمات وجدوا أنفسهم لحمة فاترين، ما عاد لهم في وجه هذا العالم الجديد المجهول أحدٌ من القادة³ القدامى، من تلك الغرائز النازمة، المسددة الخطى من حيث لا تدري- رُدّوا إلى التفكّر والنظر في العواقب والحساب وتركيب العلل والمعلولات، هؤلاء التعساء، قد رُدّوا إلى "وعيمهم"، إلى عضوهم الأكثر بؤساً والأكثر عرضة للأخطاء! أعتقد أنّه لم يكن أبداً على الأرض هكذا شعور بالفاقة، هكذا ضيق ثقيل، - فضلاً عن ذلك فإنّ تلك الغرائز القديمة لم تكفّ في كَرّة واحدة عن فرض مطالبها! بيد أنّه كان يعسر ونادراً ما كان يمكن للمرء أن يكون طوع إرادتها: بالأساس كان ينبغي عليها أن تبحث عن أوطار⁵ جديدة وبوجه ما سردابيّة⁶. ألا إنّ كلّ الغرائز التي لا تنفجر خارجاً،

معذب؛ 2. المعنى التأويلي: لثيم، وضيع، دنيء.

der Bann - 1

"ausgehängt" - 2

die Führer - 3

"Bewusstsein" - 4

Befriedigungen - 5

unterirdisch - 6

تنقلب نحو الباطن- ذلك ما أسمّيه استبطان¹ الإنسان؛ بذلك تثبت لأول مرة في الإنسان شيء ما سيُسمّى لاحقاً "نفسه"². إنّ العالم الباطني برمته، الذي كان في أصله رقيقاً كأنّما هو مشدود بين أدمتين³، قد توسّع في مقاسه وتفتّح، وأخذ عمقاً وعرضاً وعلوّاً، وذلك بقدر ما يتمّ كبح انفجار الإنسان نحو الخارج. وإنّ كلّ تلك الحصون المربعة التي احتمت بها منظومة الدولة ضدّ الغرائز القديمة للحرية- وهلّ العقوبات إلّا شيء يقع على رأس هذه الحصون- قد أفلحت في أن تجعل كلّ غرائز الإنسان المتوحش الحرّ المترحلّ هذه تنقلب على نفسها القهقري، تنقلب ضدّ الإنسان [323] نفسه. عداوة وقساوة ولذّة في الطريدة والتّهجم والتقلب والدمار- كلّ ذلك منقلباً ضدّ أصحاب تلك الشاكلة من الغرائز: ذلكم هو أصل "الضمير المعذب". إنّ الإنسان الذي لنقص في أعداء تهدّده من خارج أو عوائق تقف في طريقه، وقد زُجّ به في ضيقة حاصرة وفي رتابة العادات، فطفق في لهفة يمزّق نفسه ويطاردها ويعضّها ويزعجها وينكّل بها، هذا الحيوان الدّفوع⁴ حتى يُدمي على قضبان قفصه، الذي يريد المرء أن "يدجنه"، هذا المُعدّم الذي أهلكه الحنين إلى الصحراء، الذي كان عليه أن يخلق من نفسه مغامرة ومرتعاً للعذاب وفلاة غير مأمونة مخوفة بالمخاطر- هذا المخبول، هذا الأسير الملهوف القنوط هو الذي صار مخترع "الضمير المعذب". بيد أنّه معه إنّما افتتح أيضاً المرض الأكبر والأوحش الذي منه لم تبرئ الإنسانية إلى حدّ اليوم، ألمّ⁵ الإنسان من الإنسان، من ذاته؛ باعتبار ذلك نتيجة ناجمة عن فصل عنيف عن الماضي الحيواني، عن قفزة ووقعة بوجه ما في وضع جديد وشروط جديدة للبقاء⁶، عن إعلان حرب ضدّ الغرائز القديمة، التي عليها ارتكزت قوّته وامتّعته ومهابته إلى حدّ الآن. علينا أن نضيف للتوّ، من جهة أخرى، أنّه مع واقعة نفس حيوانية مرتدة ضدّ نفسها، وتقف من نفسها موقف الضدّ، إنّما حصل أيضاً على الأرض

1 - Verinnerlichung. - الاستبطان أو تحويل وجهة الإرادة نحو الباطن هو المسار الارتكاسي الذي من طريقه تنقلب قوة فاعلة إلى قوة منفعة. وذلك عندما يشتغل الاضطغان بوصفه فصلاً للقوة عن مفعولها الطبيعي وحرمانها من اندفاعها وانبساطها الحيوي العفوي. والنتيجة هي إفراز ضمير شقي يحوّل السيد إلى عبد.

2 - "seine" Seele

3 - die Haut

4 - من الدوابّ الكثير اللبظ والضرب بقوائمه.

5 - das Leiden

6 - Daseins-Bedingungen

شيء هو من الجدة والعمق والروعة والإلغاز واحتمال التناقض والامتلاء بالمستقل، بحيث أن منظر الأرض قد تغير بذلك تغيراً جوهرياً. وفي الواقع، كان ذلك يحتاج إلى مشاهدين إلهيين لتقدير هذا المشهد الذي بدأ على هذا النحو ولا ريب أن نهايته لا تزال بمنأى عن كل إِبصار، - مشهد جد رائق، جد عجيب، جد محال، حتى يمكن أن يجري، في غفلة حمقاء، على أي كوكب ضاحك انفق! إن الإنسان قد صار يُحسب منذئذ من بين رميات الحظ الأقل انتظاراً والأكثر استفزازاً، التي رماها¹ "الطفل الكبير" لهرقليطس²، أُنسَمي زوس أم البخت، - هو قد أثار نحوه اهتماماً [324] وشوقاً وأملاً وأكاد أقول يقيناً، كما لو أن شيئاً معه قد أنبأ عن نفسه، أن شيئاً قد تهيأ، كما لو أن الإنسان لم يكن هدفاً، بل كان طريقاً فحسب، حادثة في وسط الطريق³، جسراً، وعداً كبيراً...

17.

إن أول ما يدخل في مقدمات هذه الفرضية عن أصل الضمير المعذب هو أن ذلك التغير لم يكن متدرجاً أو طوعاً ولا هو تبدى في شكل نهائٍ عضوي ضمن شروط جديدة، بل بوصفه كسراً، وثبةً، إكراهاً، قضاءً مبرماً، ما كان ثمة ضده من كفاح بل ولا حتى شيء من الاضطغان. بيد أن الأمر الثاني هو أن تكيف جماعة سكانية⁴، ظلت إلى حد الآن لا هيئة لها ولا كايح، مع صورة ثابتة، ومثلها أخذت بدايتها من عملية عنف، هو شيء ما كان له أن يُدفع به إلى النهاية إلا من طريق عمليات عنف خالصة، - أن أقدم "دولة" هي قد حدثت طبقاً لذلك في شكل طغيان مربع، في شكل آلة⁵ ساحقة باطشة واستمرت في عملها حتى صارت تلك المادة الخام من الشعب وأنصاف الحيوانات ليس فقط مطحونة وطوع

spielt - 1

2 - تلميح إلى الشذرة 52: "الزمان: إمارة طفل يلعب بالنرد". - عن هراقليطس راجع: مولد التراجيديا، § 24. وكذلك: مولد الفلسفة، التصدير والفقرات 5-8. عن زهر النرد كعلامة جوهريّة على الحرية الجذرية للبشر أمام المصير، أن الإنسان، كما قال محمود درويش ذات قصيد، هو "الوعد والموعد والموعد"، قارن: حدّث زرادشت قال، أحاديث "عن الألواح القديمة والألواح الجديدة" و"الأختام السبعة" و"قبل الشروق".

ein Zwischenfall - 3

Bevölkerung - 4

Maschinerie - 5

العنان، بل ومشكلة¹ أيضاً، لقد استعملتُ لفظة "دولة": من البين بنفسه من هو مقصود بذلك - أيّ قطع² اتفق من الحيوانات المفترسة الشقراء³، عرق من الغزاة والأسايد، منظم تنظيمًا حربيًا ويملك قوة التنظيم، ودونها تردّد، يضع مخالفه المرعبة على جماعة سكانية هي على الأرجح متفوّقة في العدد بشكل هائل، لكنّها لا تزال بلا هيئة، لا تزال شاردة. فإنّها على هذا النحو بدأت "الدولة" على الأرض: أظنّ أنّنا قد انتهينا من تلك الحماسة التي جعلتها تبدأ بواسطة "عقد" ما⁴. من يمكنه أن يأمر، من كان "سيداً" بطبعه، من يبدو غنياً في أفعاله وحركاته- ماذا عساه يصنع بالعقود! كذا كائنات لا تقع للمرء في حسابان، فهم يأتون كما قدر، دونما سبب أو عقل أو اعتبار أو ذريعة، هم هناك مثلما تكون الصاعقة هناك، جدّ [325] مرعبين، جدّ خاطفين، جدّ مُفجّمين، جدّ "آخرين" فلا يمكن حتى أن يصبّحوا مكروهين فحسب. إنّ عملهم بمثابة خلق وسكّ غريزيّ للأشكال، إنّهم الفنانون الأكثر لإرادية، الأكثر لاوعياً، الذين وُجدوا يوماً ما: - ما أسرع ما ينتصب شيءٌ جديد حيثما ظهروا، شكل من السيادة التي تحمي، فيها الأجزاء والوظائف قد حُدّدت وتناسبت، حيث ليس ثمة من مكان لأيّ شيء لم يكن له "معنى" بالنظر إلى الكلّ. هم لا يعرفون ماذا يكون الذنب، ما المسؤولية، ما الاعتبار، أولاء المنظمون جبلةً ومولداً؛ الذين تغلب عليهم تلك الأنانية المرعبة للفنانين، ترنو كما معدن وامض⁵ وتعرف سلفاً ولأبد الأبدن كيف تبرّر "أفعالها" كما الأمّ في طفلها. هم ليسوا من نبت "الضمير المعذب" لديهم، ذلك أمرٌ بين نفسه من بادئ الأمر، - لكنّه ما كان له أن ينبت من دونهم، هذه النبتة الكريمة، إذ كان شأنها أن تُفقد لو أنّه، تحت وطأة ضربات مطرقتهم، وقساوة الفنانين التي فيهم، لم تقطع كمّية هائلة من الحرية عن العالم أو على الأقلّ عن الرؤية، وبوجه ما لم تحمّل على الكمون⁶. هذا النحو من غريزة الحرية التي حُمّلت بشكل عنيف على الكمون- قد فهمنا ذلك للتوّ- غريزة الحرية هذه، المكبوتة، المرتدة، المحبوسة

geformet - 1

das Rudel - 2

3 - قارن: المقالة I، § 11.

4 - تعريض واضح بروسو وفلاسفة العقد الاجتماعي من ورائه.

5 - das Erz. المعدن. ويبدو أنّه من اللفظ اللاتيني "aeris" الاسم القديم للبرونز. وهي لفظة لم تعد تُستعمل إلّا في الشعر، مثل l'airain في الفرنسية. وهي في المجاز تشير إلى معنى "الصلابة" و"القسوة" والتشبه بالحجر أو بالمعدن.

latent - 6

في الداخل، التي لم تعد تملك، آخر الأمر، أن تنفجر وأن تنصبّ إلا على ذاتها؛ إنّ هذا، في بدايته، هذا وحده، هو الضمير المعذب.

18.

ليحذر المرء من أن يستخفّ بعدُ بهذه الظاهرة برمتها، لا لسبب سوى لكونها هي منذ أول أمرها كريمة وأليمة. في الأساس إنّها هي هذه القوة الفاعلة عينها، التي تعتمل بشكل بارع لدى فتانيّ العنف وصانعيّ النظام، وتبني الدول، تلك التي هاهنا، في الداخل، وعلى نحو أصغر حجماً، بشكل أكثر تفاهةً، باتجاه الخلف، وفي "غيابة الصدور"، حتى [326] نتكلّم مثل غوته¹، هي تخلق الضمير المعذب في نفسها وتبني المثلّ العليا السالبة، بل هي بالتحديد ذلك النحو من غريزة الحرية (ومتى تكلمنا في لغتي: إرادة الاقتدار): سوى أنّ المادة التي عليها تمارس الطبيعة المكوّنة والمغتصبة هذه القوة، إنّها هي هاهنا الإنسان ذاته، كلّ ذاته² الحيوانية القديمة - وليس، كما في تلك الظاهرة الأضخم والأكثر جلاءً، الإنسان الآخر، والبشر الآخرين. هذا الاغتصاب السريّ³ للذات، هذا النحو من قساوة-الفئان، هذه المتعة في أن نمّح لأنفسنا شكلاً كما لمادّة عسرة، كارهة، ألمّة، في أن نسّم بالنار على ذاتنا إرادة ما، نقداً ما، تناقضاً ما، احتقاراً ما، لا معيّة⁴، هذا العمل الموحش والمليء بمتعة مريعة، الآتي من نفس في شقاق طوعيّ مع ذات نفسها، تؤلم نفسها لذّة في الإيلام، هذا "الضمير المعذب" الفاعل⁵ بكليته، إنّما حمل إلى النور أيضاً في نهاية الأمر - كما قد يخيّن المرء - من حيث هو الرحم الأصيل للأحداث⁶ المثالية والخيالية⁷، ثروة غريزة من الجمال والرضا⁸، وربّما، لأوّل مرة، الجمال بعامّة... فما الذي سيكون "جميلاً"، إذا لم يكن التناقض قد بلغ إلى

1 - من قصيدة غوته "An den Mond" - "إلى القمر".

das Selbst - 2

heimlich - 3

ein Nein - 4

5 - "ضمير معذب فاعل" لا ينتج إلا "عالماً مقلوباً" (المقالة III، § 14).

das Ereignis - 6

7 - كان نيتشه قد وصف الاضطغان بأنّه ثار "خيالي وروحاني"، قارن: المقالة I، §§ 7 و 10.

Bejahung - 8

الوعي بنفسه، إذا لم يكن القبيح¹ قد قال لنفسه: "أنا قبيح"؟... على الأقل إن اللغز سيكون، تبعاً لهذا الإشارات، أقل إلغازاً، نعتي بأي وجه يمكن الإشارة من خلال مفهومات متناقضة²، من قبيل الإيثار على النفس³ وإنكار الذات والتضحية بالنفس، إلى مثل أعلى، إلى جمال ما؛ وأول شيء سيعلمه المرء من الآن فصاعداً، لا شكّ عندي في ذلك-، هو أي نوع من المتعة سيُشعر بها من يؤثر على نفسه وينكر ذاته ويضحّي بنفسه: هذه المتعة إنما تنتمي إلى دائرة المساواة. - قد أصبنا مؤقتاً ما يفي بالحاجة عن مصدر "اللاأناني"⁴ من حيث هو قيمة أخلاقية وعن تحديد الأرض التي منها نمت تلك القيمة⁵؛ وحده الضمير المعذب، وحدها إرادة الإساءة لأنفسنا [327]، من شأنها أن توفّر الشرط المسبق حتى تنهقد قيمة اللاأناني.

19.

إنّه لمرض، هذا الضمير المعذب، ليس في ذلك من شكّ، إلا أنّه مرض، كما يكون الحمل مرضاً. فلنبحث عن الشروط التي تحتها بلغ هذا المرض إلى ذروته الأشدّ رعباً والأكثر جلالاً: - سوف نرى، ما الذي تسبب حقاً في دخوله إلى العالم لأول مرة. بيد أنّ ذلك قد يحتاج إلى نفس طويل، - وقبل ينبغي أن نعود مرة أخرى إلى جهة نظر أقدم عهداً. إنّ علاقة المدين بدائنه، في القانون

1 - das Hässliche. هنا نقف على السبب الذي جعلنا لا نعول على الثنائي القديم "حسن وقبيح" في ترجمة "gut und schlecht".

2 - "الإيثار على النفس وإنكار الذات والتضحية بالنفس" هي حسب نيتشه مفهومات متناقضة لأنها في جوهرها ضدّ إرادة الحياة، ومن ثمّ هي فقط إرادة تخفي "متعته": متعة مركزية متكررة وخجولة من نفسها، متعة أن يجعل المرء نفسه إلهاً لنفسه، يدور حول نفسه. كل إنكار للذات يخفي عنّا مصلحته وطريقته في تبرير نفسه. قارن: الفجر، § 215.

3 - Selbstlosigkeit. نلاحظ أنّ ترجمة غاليلار 1971: 98، تضع لفظة "désintéressement" وهو غير دقيق، لأنّ المعنى المقصود هو "الإيثار" ومحبة "الغير" أو الإخلاص. وحتى لو أخذنا اللفظة الفرنسية في معنى "التعويض للدائنين" أو إرضائهم بشيء ما، فإنّ اللفظة "الفرنسية" ذاتها قد استعملها نيتشه في فقرات أخرى في معنى آخر (المقالة III، 6) ومن ثمّ فإنّ وضعها هنا من شأنه أن يدخل اضطراباً وخلطاً يمكن تفاديها.

4 - "das Un-egoistische"

5 - قارن: التصدير § 4

Voraussetzung - 6

المدني¹، التي جرى الكلام عنها بعدُ بإسهاب، إنَّما تُؤوِّلُ مرةً أخرى، وذلك بطريقة مريبة في عين المؤرِّخ ولافتة تماماً، ضمن علاقة هي بالنسبة إلينا نحن البشر المحدثين ربما تكون من أكثر الأشياء اعتياصاً على الفهم: نعني ضمن علاقة أبناء الحاضر بأسلافهم. ففي داخل الاجتماع القبلي² الأصلي - نحن نتحدث عن الأزمنة الأولى - يعترف الجيل الحي في كل مرة للأجيال الأقدم منه وبالخصوص للأجيال الأقدم على الإطلاق، المؤسَّسة للقبيلة، بولاء³ قانوني (وليس مجرد رابطة عاطفية: بل يحقُّ للمرء، وليس دون سبب، أن ينكر وجود هذه الرابطة لاسيَّما أثناء المدة المترامية الطول من بقاء⁴ الجنس⁵ البشري). هاهنا تسود قناعة بأنَّ القبيلة لا تستمرُّ في البقاء⁶ بأيِّ حال من الأحوال إلاَّ بفضل التضحيات⁷ الأسلاف ومآثرهم، - وأنَّ على المرء أن يسدِّد⁸ لهم ما عليه من ذلك بالتضحيات والمآثر: إنَّ المرء يعترف من ثمَّ بدين ما، هو ما يلبث أن يزداد باستمرار، بأنَّ هؤلاء الأجداد في وجودهم الدائم، كأرواح جبارة، لم يكفَّوا، بما فيهم من قوة، عن منح القبيلة ميزات وسُلُفات جديدة. هل كان ذا شيئاً مجَّاناً؟ بيد أنَّه لم يكن ثمة [328] "مجَّاناً" بالنسبة إلى تلك الأزمنة القاسية و"الفارغة الفؤاد"⁹. ماذا عسى المرء أن يعطيهم بدلاً؟ - أضاحي¹¹ (في البدء كان الأمر طعاماً، ولنفهم ذلك بأشنع

privatrechtlich - 1

Geschlechtsgenossenschaft - 2

Verpflichtung - 3

Verbindlichkeit - 4

5 - die Dauer. يستعمل نيتشه هذه الكلمة في معنيين معاً: 1. المدة أو الفترة؛ ولكن أيضاً 2. البقاء والدوام.

6 - das menschliche Geschlecht. من المفيد أن نرى إلى نيتشه كيف يصرِّف المعاني المختلفة للفظـة "Geschlecht" حيث تعني هنا: 1. الجنس (البشري)؛ ولكن قبل ذلك 2. القبيلة والعرق. ولكن أيضاً: 3. الجيل؛ و 4. الجنس (المذكَّر والمؤنث وما وراء ذلك)؛ و 5. العائلة والنسب. وكان دريدا قد وقف طويلاً ذات مرة عند ثراء وتعدّد هذه اللفظة الألمانية المثيرة.

bestehen - 7

das Opfer - 8

zurückzahlen - 9

"seelenarm" - 10

11 - das Opfer. قبل قليل استعمل نيتشه نفس اللفظة للدلالة على معنى "التضحية". والآن للدلالة على "الأضحية".

الطرق)، أعراساً، كنائس، شهادات شرفية، وبالأخص طاعة - ذلكم بأنّ كلّ العادات هي أيضاً، بما هي من أعمال الأسلاف، لوائح وأوامر - هل أعطاهم المرء كفاية يوماً ما؟ هذا الارتياح يظل قائماً بل يتنامى: بين الفينة والأخرى هو يفرض خلاصاً كبيراً في صفقة واحدة²، نحواً من التسديد³ الفاحش لديون "الغرماء" (التضحية سيئة السمعة بالمولود الأول مثلاً، بالدم، بالدمّ البشري على كلّ حال). إنّ الخوف من الجد الأعلى وسلطانه⁴، والشعور بالدين تجاهه، إنّما يزداد ضرورة، تبعاً لهذه الشاكلة من المنطق، بقدر ما يزداد بالتحديد سلطان القبيلة ذاتها، بقدر ما تكون القبيلة ذاتها على الدوام أعلى نصراً وأشدّ استقلالاً وأسنى شرفاً وأكثر هيبة. وليس العكس! إنّ كلّ خطوة نحو اندثار القبيلة، كلّ الحوادث التي تنزل بها، كلّ الأمارات على تفسخها وتحللها القادم، إنّما شأنها أن تضعف دوماً على الأرجح من الخوف من روح مؤسسها وتمنح على الدوام صورة فاترة عن حكمته وبصيرته وسلطانه على الحاضر. لتتصور هذا الشكل الخام من المنطق وقد بلغ إلى نهايته: لا بدّ أنّ الأجداد الأوائل للقبائل الأقوى سلطاناً⁵ قد صاروا في آخر الأمر، عبر تخيل الخوف المتفاقم ذاته، في قامة الجبابة⁶ وزجّ بهم في ظلمات وحشة إلهية لا يمكن تمثيلها: - لا بدّ أنّ الجد الأول في آخر الأمر قد أخذ هيئة⁷ إله. إنّما هاهنا على الأرجح يكمن حتى أصل الآلهة، كذا أصل ينحدر من الخوف! ... ومن رأى ضرورة في أن يضيف: "ولكن أيضاً من التقوى!" فإنّه يصعب أن يكون على حقّ بالنسبة إلى ذلك الزمن السحيق من الجنس البشري،

1 - Ablösung. علينا أن نرى هنا كيف يجمع نيتشه بين 1. معنى "الخلاص" الديني؛ و 2. معنى "الشراء ثانية" الاقتصادي. وهو وضع دلالي تؤديه العربية صراحة: حيث نجد لفظة "الخلاص" تعني: 1. الخلاص، في معنى النجاة والفوز بالمعنى الديني (المخلص هو المسيح)؛ و 2. الخلاص، في معنى ما يُعطى بوصفه "مثل الشيء" أو فدية عنه؛ وهذه اللفظة الأخيرة قد شاعت في العربية المعاصرة، لاستيماً في المعجم التجاري.

2 - in Bausch und Bogen

3 - Gegenzahlung

4 - لا يمكن إثبات لفظة واحدة مقابل لللفظة "die Macht" فهي تعني: 1. القدرة والقدرة والافتقار والوسع والاستطاعة؛ 2. الطاقة والقوة والطول والحول؛ 3. الشوكة والنفوذ والسلطة والحكم والسلطان والقضاء. - وإنّ نيتشه ليصرّف هذه المعاني تصرفاً حراً ماكرّاً غزيراً.

5 - die mächtigste

6 - in's Ungeheure gewachsen

7 - transfigurirt

في جنياولوجيا الأخلاق

بالنسبة إلى الزمن الأول. لاسيّما وأنّه لكذلك، والحق يُقال، فيما يتعلق بالزمن الأوسط، الذي فيه تشكّلت الأعراق¹ النبيلة:- فهذه في الواقع قد أعادت إلى مؤسسيها وأجدادها الأوائل (إلى أبطالها وألهتها)، وذلك مع الأرباح والفوائد²، كلّ الشيم³ [329] التي كانت في الأثناء قد تجلّت فيها، الشيم النبيلة. سوف نلقي نظرة فيما لحق على تأثيل⁴ نسب الآلهة وتحسينه وتطعيمه⁵ (الذي هو بلا ريب شيء مختلف عن "التقديس"⁶): أمّا الآن فعلينا فحسب أن نسير مؤقتاً على طريق هذا التطوّر الكامل في الشعور بالذنب⁷ إلى النهاية.

20.

إنّ الشعور بأنّ لنا ديوناً إزاء الآلهة⁸ هو، كما علّمنا التاريخ، أمر لم يبلغ خاتمته حتى بعد انحطاط شكل "الجماعة" المنظمة على قرابة الدم؛ كذلك فإنّ الإنسانية، مثلها ورثت مفاهيم "الكريم والدين"⁹ عن نبالة النسب¹⁰ (بنزعتها النفسية الأساسية لتعيين المراتب)، هي قد تلقّت أيضاً مع ميراث آلهة القبيلة والسلالة، أعباء الديون التي لم تُسدّد والرغبة في خلاصها. (ربّ انتقال قامت به

Geschlechter - 1

mit Zins - 2

Eigenschaft - 3

Veradligung - 4

Veredelung - 5

"Heiligung" - 6

7 - قد نلاحظ أنّ استعمالات نيتشه لعبارة "die Schuld" مضاعفة غالباً: فهي تحتل في نفس الوقت، ولكن بنهتين إشكاليتين مختلفتين ولكن متضافرتين، 1. معنى "الذنب"؛ ولكن أيضاً، وهو رهان تأويل نيتشه في هذا المقالة، 2. معنى الدّين. إنّه يريد أن يثبت أصل الذنب الأخلاقي في واقعة الدّين الاقتصادي والقانوني: هو شعور بالذنب متحدّر من شعور بالدّين. (وهو أمر طريف بالنسبة إلى اللغة العربية، ولكن في صعيد آخر: حيث يمكن إرجاع "الدّين" أيضاً إلى "الدّين"، أي ردّ الديانة إلى الاقتصاد والقانون المنجّر عنه). كأن يقول: في السابق كان للبشر ديون أرضية، ومع مرور الوقت الأخلاقي، صار لهم ذنوب أخروية. أليس التنوير هو أن نردّ الذنوب إلى الديون التي صدرت منها ومن ثمّ التحرّر منها معاً؟

Gottheit - 8

9 - "gut und schlecht" في معنى "كريم الأصل" و"دنيء الأصل"، أو الشريف والوضيع.

Geschlecht - 10

تلك الجموع¹ العريضة، المستعبدة والتابعة، التي تكيفت مع طقوس آلهة أسياها، أكان ذلك إكراهاً أم استكانةً و²mimicry: فمنها³ خرج هذا الميراث وفاض من بعد على كل الجهات). لم يكف الشعور بالدين إزاء الآلهة عن التنامي لقرون عديدة، وذلك دوماً بقدر ما كان مفهوم الإله والشعور بالآلوهية يُنمى على الأرض ويُحمل إلى الأعالي. (إن كل تاريخ الكفاح والانتصار والصلح والاندماج بين الأقوام، كل ما سبق التراتب النهائي لجملة عناصر شعب ما في تلك التوليفة العرقية⁴ الكبرى، إنما ينعكس في الفوضى الجينيةالوجية لألهتها، في الأساطير عن معاركها وانتصاراتها ومصالحاتها؛ إن السير نحو الممالك الكونية إنما هو دوماً سير نحو الآلهة الكونية، وإن الاستبداد، بقهره [330] للنباله الحرة، إنما يعبد الطريق أيضاً على الدوام نحو توحيدية ما). إن مجيء الإله المسيحي، من حيث هو الإله-الأقصى⁵، الذي تم البلوغ إليه إلى حد الآن، هو قد أدى أيضاً، لهذا السبب، إلى ظهور أقصى ما يمكن من الشعور بالدين على الأرض. لو فرضنا أننا دخلنا أخيراً في حركة معاكسة، فإنه يمكن للمرء، وليس دون مصداقية ما، أن يستنتج من الانهيار المحتوم للإيمان بالآلهة المسيحية، أنه ثمة الآن انهيارٌ خطير في الشعور الإنساني بالذنب؛ بل ليس علينا أن نستبعد الأمل⁶ في أن النصر التام والنهائي للإلحاد قد يخلص الإنسانية من كل هذا الشعور بالدين تجاه بداياتها، تجاه ال⁷causa prima التي تدين لها بوجودها. الإلحاد ونوع من البراءة⁸ الثانية إنما ينتميان إلى معدن واحد⁹.

Bevölkerung – 1

2 – بالانجليزية في النص: "تمويهاً وتنكراً وتخفياً". قارن: الفجر، § 26. - *mimicry* مصطلح وضعه الطبيعيون الانجليز لوصف سلوك بعض الحيوانات التي تتخفى عن الأعين إما بالتلون بلون محيطها أو بالتهاوت أو باتخاذ شكل أو لون حيوان آخر أو لون الرمل أو الأوراق...

3 – الجموع المستعبدة.

Rassen – 4

5 – der Maximal-Gotte. الإله الأقصى في معنى أقصى ما يمكن من الإله: أكثر وأكبر وأعلى ما يمكن من الآلوهية. وكان هيدغر الثاني قد فكر في معنى "الإله الأخير" (der letzte Gott)، الأخير في معنى الأقصى والنهائي.

Aussicht – 6

7 – باللاتينية في النص "علتها الأولى".

Unschuld – 8

9 – هذا ليس الرأي الأخير لنيتشه حول حرية "الملحد". ففي المقالة الثالثة سوف يدفع بنقده

ذلك، مؤقتًا، باختصار وإجمالاً ما يتعلّق بتواشج مفهوميّ "الذنب" و"الواجب" مع مسبّقات دينية: وقد تركت جانباً التلوّث الأخلاقي¹ الحقيقي لهذين المفهومين إلى حدّ الآن عمدًا (نعني ارتجاعهما² إلى داخل الضمير، وعلى نحو أدقّ، تشابك الضمير المعذب مع مفهوم الإله) وفي خاتمة الفقرة السابقة، تمّ الكلام، كما لو أنّ هذا البناء الأخلاقي لم يكن موجوداً أبداً، وبالتالي، كما لو أنّ هذه المفاهيم قد آلت الآن بالضرورة إلى نهايتها، بعد أن سقطت المسبّقة التي تشدّها، الإيمان بـ"دائننا"، الإيمان بالربّ. بيد أنّ واقع الأمر إنّها يختلف عن ذلك اختلافاً شديداً. فمع البناء الأخلاقي لمفاهيم الذنب والواجب، ومع ارتدادهما إلى داخل الضمير المعذب، إنّها وقعت فعلاً وبشكل كامل محاولةً عكس وجهة التطوّر الذي وصفناه للتوّ، أو على الأقلّ إيقاف حركته: أمّا الآن فإنّ الأمل [331] في خلاص نهائيّ للديون يجب أن ينسُدّ لآخر مرة على نحو متشائم، الآن يجب أن ينخسف النظر ويرتدّ وهو حسير، أمام إمكانية لا ترحم، الآن يجب على مفاهيم "الذنب" و"الواجب" أن تنقلب على عقبيها - ولكن ضدّ من؟ لا يمكن للمرء أن يداخله شكّ: بادئ ذي بدء ضدّ "المدّين"، الذي في صلبه منذ الآن ترسّخ الضمير المعذب وانحفر وتفشّى وتنامى مثل إخطبوط في كلّ جهة وغورٍ، وبلغ حدّاً بحيث أنّه في نهاية الأمر مع عدم إمكانية خلاص³ الدّين، تمّ أيضاً تصوّر⁴ عدم إمكانية خلاص الغرامة⁵، وفكرة عدم إمكانية دفعها ("العقاب الأبدي")؛ - إلّا أنّ الأمر من شأنه أن ينقلب في النهاية حتى ضدّ "الدائن" ذاته، ليفكّر المرء للتوّ في الـ

إلى النهاية: حيث يبيّن أنّ الإلحاد نفسه يعاني هو بدوره من آثار المثل النسكيّة التي طالت العلم والعلماء في عصرنا. لا يزال الإلحاد يروح تحت ديانة "لا" ولم يرتق إلى ديانة "نعم".

Moralisierung - 1

Zurückschiebung. ارتجاع الشيء رده إلى الخلف وارتدّه ودفعه إلى الوراء.

Unlösbarkeit - 3

conzipieren. الآن نقول (في الرسم المعاصر للغة الألمانية) "konzipieren": خطّط ورسم وتصوّر.

5 - لا يخفى أنّ نيتشه يستثمر هنا (كما في مواضع سابقة) الاستعمال المزدوج (القانوني والديني) لنفس الألفاظ في الألمانية: حيث أنّ "die Busse" تعني في نفس الوقت: 1. الغرامة ودفع غرامة بالمعنى القانوني؛ ولكن أيضاً 2. التوبة والكفّارة بالمعنى الديني. والعمل الجنيا لوجي هنا هو إرجاع الديني إلى القانوني.

causa prima¹ للبشر، في بداية الجنس البشري، في جدّه الأوّل، الذي صار منذ الآن مصاباً بلعنةٍ ما ("آدم"، "خطيئة أولى"²، "عبودية"³) أو في الطبيعة، التي من رحمها خرج الإنسان والتي فيها أودع منذ الآن مبدأ الشرّ ("شيطنة الطبيعة") أو في الوجود⁴ بعامّة، من جهة أنّه سيظلّ في ذاته بلا قيمة (الإدبار العدمي عنه، الشوق إلى العدم أو التوق إلى "ضدّنا"، إلى كيان مغاير⁵، إلى بوديّة ما وما شابه) - حتى نفق مرة واحدة أمام الوسيلة⁶ العجيبة والمروعة التي عثرت فيها الإنسانية المعذّبة⁷ على ارتياح طويل الأمد، تلك اللمسة العبقريّة للمسيحية⁸: الإله ذاته الذي يضحي بنفسه من أجل ذنوب الإنسان، الإله ذاته الذي دفع لنفسه بنفسه، الإله بوصفه الوحيد الذي يمكنه أن يفتدي من⁹ الإنسان ما صار عند الإنسان ذاته غير قابل

1 - باللاتينية في النص: "العلّة الأولى".

2 - die Erbsünde. بالمعنى الحرفي: "الخطيئة الموروثة" وهو أدقّ من العبارة الشائعة "الخطيئة الأصلية".

3 - "Unfreiheit des Willens". بالمعنى الحرفي "عدم حرية الإرادة". لكنّ نيتشه يستثمر هنا معنيين معاً: 1. معنى لغويًا: غياب حرية الإرادة ومن ثمّ معنى الجبريّة وأنّ الإنسان مسيرٌ في أفعاله ولا يقصدها ولا يختارها؛ ولكن أيضًا: 2. معنى تاريخيًا يعود إلى عصر الإقطاع: unfrei تشير إلى الفنّ أو العبد أو المملوك أو المستعبد أو الأسير أو التابع.

4 - das Dasein

5 - ein Anderssein

6 - das Auskunftsmittel.

7 - gemartert

8 - ينظر نيتشه إلى المسيحية بوصفها الشكل الأعلى والحديث من أخلاق الشفقة، فهي "ديانة الشفقة" بامتياز، وهو نقد موجه بشكل غير مباشر لموقف شوبنهاور. قارن: التصدير، §§ 5-6؛ وكذلك المسيح المضادّ، § 7.

9 - ablösen von. "خلّص من" في معنى افتدى أي أعاد شراء دين أكره المرء على بيعه، وفكّ رهنه. ومن ثمّ جاء معنى "التخليص" (Erlösung) بالمعنى الديني أي تحرير الإنسان من مسؤوليّة ذنوبه. - نلاحظ كيف يلتقي هنا المعنيان اللذان ما فتئ نيتشه يلمّح إليهما: 1. معنى "الخلاص" بالمعنى الاقتصادي أي دفع المستحقّ علينا أو دفع بدل أو تعويض؛ و2. "الخلاص" بالمعنى الديني أي الغفران. والقصد هو أنّ الإله هو الوحيد الذي يستطيع أن "يشترى" من الإنسان "ذنبه"، ومن ثمّ هو الوحيد الذي يستطيع أن "يخلّصه" من "ذنوبه". ولا يبدو أنّ القصد هو تخليص الإنسان ذاته بل تخليص ما حمل الإنسان من ديون/ ذنوب لم يعد بإمكانه أن يفتدي نفسه منها بمعنيي الاقتداء: دفع الفدية وتحرير النفس. مثلاً: اقتدت المرأة نفسها من زوجها أي دفعت له مالا حتى تخلّصت منه بالطلاق. و"الفادي" هو لقب المسيح الذي فدى البشر بدمه.

للفدية- الدائن الذي يضحي بنفسه من أجل مَدِينِهِ، محبةً (هل يمكن لأحد أن يصدق ذلك؟)، - محبةً لَمَدِينِهِ.

22.

لا بدّ أنّ المرء قد تخنّ بعدُ، ماذا حدث على الحقيقة مع كلّ ذلك وتحت كلّ ذلك: تلك الإرادة [332] لإيلاَم النفس¹، تلك القساوة المرتدة للإنسان- الحيوان الذي نُصّب في الباطن، المطرود إلى داخل ذاته، المحبوس في "الدولة" بغرض التدجين، الذي اخترع الضمير المعذب، ابتغاء الإساءة² إلى نفسه، بعد أن عَطَلت الطريق الطبيعية لإرادة الإساءة، - هذا، إنسان الضمير المعذب قد استولى على المسبقة³ الدينية، حتى يبلغ بتعذيبه لنفسه⁴ شدةً وحدةً ترتجف لها الأوصال. دَيْنُ إزاء الرب: هذه الفكرة إنّما تصبح عنده آلة تعذيب⁵. هو يقبض في "الرب" على ما يمكن له أن يعثر عليه من الخلافات القصوى مع غرائزه الحيوانية الصميمة التي لا فكاك منها، بل هو يؤوّل هذه الغرائز ذاتها بوصفها ديوناً إزاء الرب (باعتبارها عداوةً، تمرّداً، عصياناً ضدّ "السيد" و"الأب" والسلف وبداية العالم)، ويشدّ وتره داخل التناقض بين "الرب" و"الشیطان"، ويلقي بكلّ "لا"، قالها لذات نفسه، للطبيعة، للفترة، لواقعة كيانه، خارج نفسه، بوصفها "نعم"، بوصفها شيئاً كائناً، متجسّداً، فعلياً، بوصفها ربّاً، بوصفها قداسة الرب، بوصفها حكم الرب، بوصفها جلاّد الرب، بوصفها آخرة، بوصفها أبدية، بوصفها عذاباً⁷ بلا نهاية، بوصفها جحيماً، بوصفها تفاوتاً لا يمكن سبره بين العقوبة والذنب. ذلك ضربٌ من إرادة-الجنون تثوي في قساوة على النفس ليس لها على كلّ حال من مثيل: إرادة الإنسان لأن يجد نفسه مذنباً ومنبوذاً إلى درجة ما

1 - Selbstpeinigung

2 - sich wehe zu tun

3 - Voraussetzung

4 - Selbstmarterung . علينا أن نأخذ فعل "martern" الذي يعني عذب حتى الشهادة في معنى مسيحي (وليس إسلامياً مثلاً). ذلك بأنّ القصد هو تعذيب النفس إلى حدّ الموت طوعاً، ومن ثمّ القبول بالموت طوعاً، وليس استبسلاً ضدّ عدوّ جبار.

5 - Folterwerkzeug

6 - leibhaft

7 - die Marter

لا يمكن التكفير عنه¹، إرادته لأن يرى نفسه معاقباً، دون أن يمكن للعقاب أن يكون مساوياً للذنب أبداً، إرادته لأن يلوّث² وأن يسمّم الأساس الدفين للأشياء بمشكلة العقاب والذنب، وذلك حتى يقطع على نفسه مرة واحدة أيّ مخرج من هذه الغيابة من "الأفكار الثابتة"، إرادته لأن ينصب مثلاً أعلى - مثل "الربّ المقدّس" -، حتى يكون في مواجهته على يقين ملموس بوضاعته³ المطلقة. آه، أيّة بهيمة مخبولة وحرينة هو الإنسان! أيّة خواطر داهمت، أيّة طبيعة شاذّة، أيّة تباريح خبل، أيّة بهيمية [333] في الفكرة⁴ تتفجّر⁵ منه على الفور، ما إن يتمّ منعه ولو قليلاً من أن يكون بهيمة الفعل!⁶ ... كلّ هذا مثير للاهتمام إلى حدّ الشطط، إلّا أنّه أيضاً مدعاةٌ إلى حزن حطيم، عابس، أسود، بحيث أنّه ينبغي على المرء أن يمنع نفسه شديداً من أن يحدّق طويلاً في هذه المهاوي⁷. هاهنا يوجد مرضٌ، ليس في ذلك من شكّ، المرض الأكثر رعباً، الذي أمكن أن يتفشّى إلى حدّ الآن بين بني البشر: - أمّا من لا يزال باستطاعته أن يسمع (وإن كان المرء لم يعد لديه اليوم الآذان المناسبة لذلك!) - كيف صلصلت، في غور هذا الليل من العذاب⁸ والجنون، الصيحةُ محبّة، صيحةُ الصباغة الملهوفة، صيحةُ الخلاص في المحبّة، فإنّه سينقلب على عقبيه، وقد أخذته رجفةٌ لا تُغلب... كم في الإنسان من شيء مريع!... لقد كانت الأرض لأمد طويل مارستاناً للمجانين! ...

Unsühnbarkeit - 1

infizieren - 2

3 - Unwürdigkeit. بالمعنى الحرفي: "عدم أهليته" أو "عدم كرامته". - قد نرى هنا تحريجا آخر: أنّ حطّ إنسان الضمير المعذب من قدره وإهانتته الإرادية لنفسه هي ما يقابل ذلك "التكريم" الإلهي لآدم في إحدى آيات القرآن (الإسراء، 70). هل يكون الرب قد كرم الإنسان لكنّ الإنسان هو الذي أهان نفسه؟؟ - لكنّ نيتشه يسكت عن هكذا فرضية.

Bestialität der Idee - 4

herausbrechen - 5

6 - من الفشل الأخلاقي في إرادة الحياة يصبح الطريق سالكا إلى التعلق بالنجاح الديني في عالم آخر. لكنّ الدين أيضاً، مثل الأخلاق، ليس له معنى واحد. قارن: الفقرة 23.

7 - Abgründe. - هاويةٌ هي في العربية من أسماء جهنّم.

Marter - 8

23.

إنّ هذا ليكفي مرةً واحدة فيما يتعلق بمصدر "الإله المقدس". - أما أنّ تصوّر الآلهة ليس ينبغي في ذاته أن يؤدي بالضرورة إلى هذا الإفساد للمخيّلة، الذي لم نستطع للحظة أن نُعفي أنفسنا من استحضاره، أنّ ثمة أنواعاً أكثر نبلا من الاستعمال لاختراع الآلهة¹، غير صلب الإنسان لنفسه وتدنيته لذاته، هذا، الذي فيه نالت أوروبا لألفي سنة رباتها، - فذلك أمر، لحسن الحظّ، لا يزال يمكن أن نظفر به² عند كلّ نظرة يلقيناها المرء على آلهة اليونان³، هذه المرائي التي يعكس عليها بشرٌ نبلاء أسياد على أنفسهم، فيهمّ كان الحيوان في الإنسان يشعر أنّه مؤلّة وأنّه لا يمزق نفسه، لا يبطش بنفسه بيديه! هؤلاء الإغريق لطالما استخدموا آلهتهم رأساً من أجل أن يقفوا على مسافة⁴ من "الضمير المعذب"، حتى يظلّوا قادرين على الابتهاج بحرّية أنفسهم: كذا في معنى⁵ معاكس لاستعمال المسيحية [334] لإلهها. وفي ذلكم هم ذهبوا شأواً بعيداً، هؤلاء الأطفال الكبار المترعون بهاء المستأسدون؛ لا أقلّ من سلطان زوس هو ميروس ذاته يفهمهم

1 - هذه فكرة على قدر عال من الطرافة والخطورة الفلسفية: أنّ ثمة أنواعاً عدة من الدين، وأنّ الدين المسيحي لم يكن غير الصورة الارتكاسية من التدين، وأنّ ثمة طرقاً أخرى للتألّه ولاستعمال الآلهة في مغامرة الحياة على الأرض، - إنّما يعني أنّ نيتشه ليس مجرد ملحد حديث، كما قد تكون أوحّت بذلك الفقرة 20 من هذه المقالة الثانية وما سيتوضح جيداً في المقالة الثالثة. والمهمّ جدّاً أنّ هذه الفكرة متواترة تحت قلم نيتشه وليست خاطرة عابرة. إنّ النتيجة الحاسمة هي هذه: أنّ نيتشه يعتقد أنّ هناك ديانات فاعلة ومثبتة للحياة ومن ثمّ أنّ ثمة آلهة غير ارتكاسية، دون حاجة إلى جهاز الذنب أو الضمير الشقي أو الاضطغان. هنا يصبح الدين أداة لإرادة الحياة وليس غاية في ذاته. قارن: إنساني، مفرط في إنسانيته، I، §§ 110 و 114؛ ما وراء الخير والشر، §§ 61-62؛ المسيح المضاد، §§ 16، 20-23، 31-35، 40-41.

2 - sich abnehmen lassen. لهذه الصيغة استعمال في ميدان الرسم والتصوير: تعني جعله يضع له بورتره (faire faire son portrait). والأغلب أنّ قصد نيتشه هو "ارتسام الملامح" في نظرة واحدة.

3 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 49.

4 - sich einen vom Leibe halten. بالمعنى الحرفي: "إبقاء الشيء بعيداً عن الجسد". ولا بدّ أنّ نيتشه لا يكتفي هنا بالمعنى المتداول للعبارة بل يقصد أيضاً معناها الحرفي. حيث التقابل بين "عذاب الضمير" وبراءة "الجسد".

5 - der Verstand

6 - keine geringere Autorität als

هنا أو هناك أنهم قد أخذوا الأمر هزواً. "عجباً! فالها ذات مرة - يتعلق الأمر بحالة أغيستوس¹، بحالة جد منكرة² -

"فوا عجباً، لكم يشتكي الزائلون من الآلهة!

"فمنا فحسب تكون الشرور، كذا يزعمون؛ ولكنهم بأنفسهم

صنعوا بؤسهم، غباءً، وإن كان ضدّ القدر.³

إلا أنّ المرء يرى ويسمع هاهنا في ذات الوقت أنّ هذا المتفرّج والقاضي الأولمبي هو بمنأى عن أن ينقم عليهم لهذا الأمر أو أن يضمّر لهم شرّاً: "أيّ حمقى هم!، كذا هو يرى إلى أخطاء الزائلين، - "حمق" و"غباء" وبعض "اضطراب في الدماغ"⁵، تلك أمورٌ حتى يونانٌ في زمانها الأعزّ ويومها الباسل، أباحتها عند نفسها، أساساً لكثير من المنكر وكثير ممّا تُخشى عواقبه: - حمقٌ، وليس خطيئة! هل تفهمون هذا؟... ولكن حتى هذا الاضطراب في الدماغ إنّما كان أمراً مشكلاً - "طبعاً، أنّي لهذا أن يكون حتى ممكناً؟ من أين أمكن له أصلاً أن يحدث، لأدمغة، مثل التي لدينا نحن، نحن أناس المحتد النبيل والحظّ والتوفيق والمجلس الأحبّ والحسب والفضيلة؟" - كذا كان اليوناني النبيل يسأل نفسه طيلة قرون عدّة عند كلّ شناعة أو جريرة لا يفهمها، تطلّخت بها أيدي واحد من نظرائه. "لابدّ أنّ إلهاً قد خلب عقله"، كان يقول لنفسه آخر الأمر، وهو يهزّ رأسه... هذا المخرج نمط خاص عند الإغريق... بحيث كان الآلهة يصلحون عندئذ لتبرير الإنسان حتى، إلى حدّ ما، في المنكر، إنّهم يصلحون باعتبارهم [335] سبباً أصلياً للشر - وعندئذ هم ما أخذوا العقاب على أنفسهم، بل، وهو أكثر نبلاً، أخذوا الذنب...

24.

- سوف أختتم هذا بعلامات استفهام ثلاث، كما سنرى للتو. "هل نرفع هاهنا على الحقيقة مثلاً أعلى أم نكسره؟" كذا ربّما سِئِلْتُ... ولكن هل حدث مرة

Ägisthos - 1

schlimm - 2

3 - هو ميروس، الأوديسا، النشيد الأول، الأبيات 32-34.

4 - Thorheit. الحمق في معنى أنّه لا يخلو من براءة.

5 - "Störung im Kopfe" - بالمعنى الحرفي "اضطراب في الرأس". ولذلك ارتأينا حلاً وسطاً بين "الرأس" (وهو حرفي جداً) وبين "العقل" (وهو تأويل)، هو لفظ "الدماغ".

في جنبالوجيا الأخلاق

أن سألتكم أنفسكم كفايةً، كم كان دُفع ثمناً لقاء تشييد كلِّ مثل أعلى على الأرض؟ كم من واقع كان ينبغي أن يُغتَاب وأن يُنكَر، كم من أكاذيب كان يجب أن تُقدَّس، وكم من ضمائر كان ينبغي أن تُكذَّر، وكم من "إله" كان يجب أن يُضحَّى به؟ حتى يمكن أن يُشيَّد معبداً، ينبغي أن يُهدم معبد: ذا هو القانون- وليرني المرء حالةً، لم يكن فيها سارياً! ... نحن، البشر المحدثين، نحن ورثة تشريح للضمائر وتعذيب حيوانات ذاتي² دام آلاف السنين: ففي ذلكم حصلنا على تدريبنا الأطول مدى، وربما على براعتنا الفنية، وفي كلِّ الأحوال على رهاقة حسننا وعلى تدلُّنا الذوقي³. لطالما نظر الإنسان إلى دوافعه الطبيعية "بعين الشر"⁴، بحيث أتمها قد تأخَّت فيه آخر الأمر مع "الضمير المعذب". إنَّ أمراً آخر كان ليكون في ذاته ممكناً- ولكن من ذا الذي يملك القوة الكافية لذلك؟- نعي أن نؤاخي مع الضمير المعذب كلِّ الدوافع غير الطبيعية، كلِّ تلك الصبوات إلى الآخرة، كلِّ ما يُضادَّ الحواس ويُضادَّ الغرائز ويضادَّ الطبيعة ويضادَّ الحيوان، وباختصار المثل العليا إلى حدِّ الآن، التي هي كاقَّةٌ مثلُ معادية للحياة، مثلُ منكرة للعالم. ولكن إلى من نولِّي وجوهنا اليوم بهكذا آمالٍ ودعاوى؟... إنَّ من سيكون ضدَّنا في هذا الأمر هم بالذات الناس الخيرون؛ وفوق ذلك، كما يقتضي الأمر، المترفون والراضون والحاوون والمتهوسون والمتعبون... هل شيءٌ أعمق إهانةً، هل شيءٌ يتر من الأساس على هذا النحو، مثل أن ندع شيئاً يلاحظ عن الصرامة والعلياء التي بها [336] نعامل أنفسنا؟ وفي المقابل- كم يبدو كلُّ الناس مجاملين، كم متعاطفين إزاءنا، ما إن نأخذ في الأمر مثل كلِّ الناس وأن "نستسلم" مثل كلِّ الناس! ... قد يحتاج دركُ هذا المبتغى إلى نوع آخر من العقول⁷، غير التي يُحتمل أن توجد في هذا العصر:

1 - ein Heiligthum. قد نقول: "مقدس".

2 Selbst-Thierquälerei -

3 unsre Geschmacks-Verwöhnung -

4 - "mit bösem Blick". قد نقول: "بنظرة شريرة" أو "بعين الاستقباح" وربما "بعين حسودة". لكن حافظنا على لفظة "الشر" لدورها الاصطلاحي في هذه المقالة.

5 Hoffnungen. كعادته يستثمر نيتشه في هذا اللفظة دلالتها الكبرى معاً: 1. المعنى الديني أي "الرجاء"؛ 2. المعنى غير الديني أي "الأمل". الأول يلتمح له ساخر؛ والثاني يقصده جاداً.

6 - "gehen lassen" sich. أي أن ننسى أنفسنا وأن نتهاون وأن نخوض مع الخائضين وأن ندع الأمور تجري سدى.

7 - قارن: ما وراء الخير والشر، §§ 42-44، 203، 210، 213.

عقول قد ازدادت قوّة بالحروب والانتصارات، بل حتى الغزوة والمغامرة والخطورة والوجيعة قد صارت عندها ضرباً من الحاجة؛ قد يحتاج ذلك إلى التعمّد على هواء الأعالي اللاّفع، إلى ترحال شتائيّ، إلى الثلج والجبال بكلّ المعاني، يحتاج ذلك إلى نوع من الحبث¹ الجليل، إلى ضرب أقصى وواع بذاته من مجون المعرفة، ذاك الذي ينتمي إلى الصّحة الكبرى، بل يحتاج، باختصار واحسّرته، إلى هذه الصّحة الكبرى² بالذات ! ... هل توجد هذه الصّحة اليوم بالتحديد حتى ولو على صعيد الإمكان؟ بيد أنّه في أيّما وقت، في زمن أصلب عوداً، من هذا الحاضر الهشّ، الذي هو من نفسه في ريبة، لا بدّ وأنّ يأتينا الإنسان المخلّص³، إنسان الحبّ الكبير والازدراء الكبير، الروح الخلاق، الذي تسوقه قوّته الدافعة دوماً من جديد خارج كلّ وراء وما وراء⁴، الذي وحدته يُساء فهمها من الشعب كما لو كانت هروباً أمام الواقع-: والحال أنّها ما كانت عنده إلّا غوصاً في الواقع واندفاناً فيه وطلباً لأعماقه، وذلك من أجل أن يعود إلينا، ذات مرة، متى برز من جديد إلى وضوح النور، حاملاً خلاص⁵ هذا الواقع: خلاصه من اللعنة، التي ألقتها عليه المثل الأعلى السائد إلى حدّ الآن. إنسان المستقبل⁶، هذا، الذي سيخلّصنا من المثل الأعلى السائد إلى حدّ الآن، كما ممّا كان ينبغي أن يتولّد عنه، من الاشمئزاز الكبير، من إرادة العدم، من العدميّة، هذا الجرس الذي يدق ساعة الظهيرة⁷ والقرار العظيم، الذي يجعل الإرادة حرة من جديد، الذي يردّ إلى الأرض هدفها وإلى الإنسان رجاءه⁸، هذا المسيح المضادّ والعدميّ المضادّ، هذا المنتصر على الإله والعدم- إنّما ينبغي أن يأتي يوماً ما...

1 - Bosheit

2 - حول معنى "الصّحة الكبرى"، راجع: المعرفة المرحّة، § 382.

3 - der erlösende Mensch

4 - aus allem Abseits und Jenseits

5 - Erlösung

6 - لطالما انشغل نيتشه بوجهة المستقبل الذي يمكن الدفاع عنه. قارن: الفجر، § 575.

7 - "الظهيرة" عبارة مفكّرة جدّ خطيرة في كتاب زرادشت، مثلاً: الكتاب الثالث، السطر الأخير من حديث "الشُرور الثلاثة".

8 - Hoffnung. يبدو أنّ نيتشه استعاد هنا مفردات المعجم الديني، ولذلك فضلنا هنا عبارة "الرجاء" على لفظة "الأمل".

25.

- ولكن ما الذي قلتُ ها هنا؟ كفى! كفى! عند هذا الموضع، إنما يجدر بي شيء واحد، أن أصمت: أو¹ أن أدعي شيئاً وحده من هو أكثر فتوة، "أكثر مستقبلاً"، أكثر قوة، منّي، هو حرّ لأن يقوم به² - شيء وحده زرادشت³ حرّ لأن يقوم له، زرادشت الذي لا إله له⁴...

sonst - 1

2 - freistehen. بالمعنى العادي يعني هذا الفعل: "جاز" له أن يفعل كذا؛ أو انفرد وعزل نفسه. لكنّ المعنى الذي يلمح له نيتشه هو على الأرجح مرتبط بالحرية: أن يكون المرء "حرّاً" (frei) كفاية حتى يستطيع أن "يقوم" (stehen) به.

3 - قارن: المسيح المضاد، § 54.

4 - gottlos

المقالة الثالثة

أي معنى لمثل التنسك؟

"غيرَ عابثين بشيء، مستهزئين، جبارين
- كذا تريدنا الحكمة أن نكون: فهي امرأة،
ولا تحب على الدوام إلا رجلاً محارباً"

حدّث زرادشت قال²

1.

أي معنى لمثل التنسك؟- لدى الفئانين لاشيء أو أشياء شتى؛ أمّا عند الفلاسفة والعلماء فشيئاً كما الحدس أو الغريزة يصلح لاقتفاء الأحوال التي هي ألبق بروحانية عليا؛ وأمّا عند النساء فهي تعني، على الأكثر، تعطفاً مغرباً آخر، قليلاً من الـ ³ morbidezza على الجلود الناعمة، ملائكية حيوان غصّ بضّ؛ وأمّا عند الذين تردّت أبدانهم وتعكّر مزاجها (أي عند غالبية البشر) فمحاولة لأن يبدوا وكأنّهم "طيبون جداً" لأن يكونوا⁴ من هذا العالم، شكلاً مقدّساً من الدعارة، وسيلتهم الكبرى في الصراع مع الألم الطويل ومع السأم؛ وأمّا عند الكهنة⁵ فعقيدة الكهنوت بالمعنى الصحيح، وسيلتهم إلى السلطة⁶ الفضلى وكذلك

1 - قارن: ما وراء الخير والشر، التصدير؛ المعرفة المرحّة، التصدير.

2 - مقطع من حديث "القراءة والكتابة" من الكتاب الأول من حدّث زرادشت قال. إلّا أنّه حذف صفة أولى سابقة هي "بواسل" وأثبت الحرف الغليظ في ضمير نحن في عبارة "تريدنا".

3 - بالإيطالية في النص: رقّة، رخاوة، لطف.

4 "zu gut" für -

die Priestern - 5

die Macht - 6

التحليل¹ "الأسْمَى" للسلطة؛ وفي خاتمة المطاف هي تعني لدي القديسين² ذريعة لنوم شتوي، آخر novissima gloriae cupido³ لديهم، راحتهم في العدم ("الله")، طريقتهم في الجنون. ولكن أنّ المثل الأعلى التنسكي بعامة قد عني للإنسان كلّ هذا المعنى⁴، إنّما يعبر ذلك عن الواقعة الأساسية للإرادة الإنسانية، ما فيها من horror vacui⁵: فهي تحتاج إلى هدف، - وأولى بها أن تريد العدم، على أن لا تريد شيئاً. - هل يفهمني أحد؟ ... هل فهمني أحد؟ ... "دونها موارد، كلا! سيدي!" - لنأخذ الأمر إذن منذ البداية⁶.

[340]

72

أي معنى لمثل التنسك؟⁸ - أو، حتى آخذ حالة بعينها، في شأنها سئلت ذات المرار واستشرت كفاية، أي معنى لها، حين يأخذ فتان، مثل ريشارد فاغنر⁹، وقد بلغ من الكبر عتياً، في التغني بالعبقة والطهارة¹⁰؟ أجل، هو بمعنى ما قد فعل ذلك على الدوام؛ إلا أنه لم يأخذ ذلك في معنى

1 - die Erlaubnis. التحليل هنا من الحلال، أي عكس التحريم بالمعنى الديني. إذ حاولنا أن نجتمع بين معنى الإذن والترخيص (بالمعنى القانوني) و"الحلال" و"الإباحة" (بالمعنى اللاهوتي).

2 - die Heiligen

3 - باللاتينية في النص: "آخر أوسمة المجد" لديهم أو "آخر رغبة لهم في المجد". عبارة مأخوذة من: تاسيت، التواريخ. IV، 6. وسبق لنيشه أن استعمل هذه العبارة في: المعرفة المرحّة، § 330.

4 - هنا نفهم مغزى إشارة نيتشه عن التأويل في الفقرة 8 من التصدير: إنّ تعدّد المعاني هو الأصل لأنّ الحياة متعددة في طبيعتها. وذلك يعني أنّ المثل التنسكي ليس له معنى واحد أي "ماهية" أو هدف واحد بل كلّ إرادة اقتدار تؤوّل حسبها تقضي بذلك إرادة الحياة.

5 - باللاتينية في النص: "الخشية من الفراغ" (في معنى "إنّ الطبيعة تخشى الفراغ" في تقليد يعود إلى اليونان).

6 - يتعلق الأمر في هذه المقالة بالفحص عن معنى المثل النسكية وقيمتها في كل مرة بالنظر إلى أهمّ الأنباط البشرية، والتي تعود حسب نيتشه إلى خمسة: الفنان والمرأة والفيلسوف والكاهن والعالم. وكنا رأينا في الفقرة 8 من التصدير كيف وصف نيتشه هذه الفقرة 1 بأنّها عتية عما يسمّيه "تأويلاً": أي فهم المثل النسكية بوصفها أشكالاً من إرادة الاقتدار الملوّنة بضروب من العدمية.

7 - في الفقرات 2-5، يكشف نيتشه عن معنى المثل الأعلى التنسكي في الفن. قارن: حالة فاغنر. وضدّ فاغنر.

8 - was bedeuten asketische Ideale ?

Richard Wagner - 9

10 - Keuschheit. في معاني: العفاف والطهارة والعذرية والصون.

تنسكيّ إلا في الأخير. علام يدلّ هذا التغيّر في "المعنى"، هذا التقلّب² الجذري في المعنى؟ - إذ الأمر كان بهذه الصفة، لقد انقلب فاغتر بذلك رأساً إلى ضده. ماذا يعني، أن ينقلب فتان إلى ضده... هنا يخطر في بالنا للتو، متى فرضنا أننا نريد أن نعرّج قليلاً على هذه المسألة، شيء من ذكرى تلك الحقبة التي كانت على الأرجح الأجل والأقوى والأشدّ مرحاً والأكثر شجاعة، من حياة فاغتر: كان ذلك حينما سيطرت عليه في داخله وأعماقه فكرة³ أعراس لوثر. من يدري بسبب أية صدفة أننا اليوم، بدلاً من موسيقى -الأعراس تلك، نحن حصلنا على موسيقى *Die Meistersinger*⁴؟ وكم في هذه ربما مازال يتابع رنينه من تلك؟ ولكن لا يخامرنا أيّ شكّ في أنّ الأمر كان سيتعلّق أيضاً في "أعراس لوثر" هذه بمديح في العفة والطهارة. وعلى ذلك أيضاً بمديح للشهوة الحسية⁵ - فإتّما على هذا النحو كان الأمر سيبدو لي مستقيماً، هكذا تحديداً كان يكون "فاغترياً"⁶ أيضاً. ذلكم بأنّه ما بين العفة والشهوة ليس هاهنا من تناقض بالضرورة؛ فكلّ زواج سعيد⁷، كلّ غرام⁸ حقيقيّ إنّما هو أكبر من هذا التناقض. وعلى ما يظهر لي، كان فاغتر سيُحسن صنعاً لو أنّه أشعر ألمانه بهذه الواقعة اللذيذة وزينها في قلوبهم⁹ مرة أخرى، بمعونة كوميديا عن لوثر¹⁰، عذبة وجسورة، إذ أنّه ثمة وكان ثمة دوماً من بين الألمان نائمون على الشهوة كُثُرٌ؛ وما كان فضل لوثر على الأرجح كبيراً في شيء مثلهما كان بخاصة في أنّ كانت له الشجاعة على شهوته [341] (-التي كانت تُسمّى عندئذ، بشيء من اللطف، "حرية إنجيلية"...)) بيد أنّه حتى في تلك الحالة، حيث يوجد فعلاً تناقض ما بين العفة والشهوة، فلا شيء يدعو أبداً، لحسن الحظّ، لأن يكون تناقضاً مأساوياً. وهذا أمر حقيقّ على الأقلّ بأنّ يصدق على كلّ من كان من البشر أحسنهم خلقة¹¹، وأزكاهم روحاً¹²،

diese "Sinnes"-Änderung - 1

der Umschlag - 2

der Gedanke - 3

Die Meistersinger - 4 . "أساتذة الغناء". أوبرا قدّمها فاغتر سنة 1868 .

Sinnlichkeit - 5

"Wagnerisch" - 6

gut - 7 . على وزن "gutes Ende" - نهاية سعيدة. إذ يشير "gut" أيضاً إلى معجم: جميل وراض ورغد وسازر،...

Herzensliebschaft - 8

etwas zu Gemuthe zu führen - 9

10 - عن لوثر، قارن: الفجر، § 88؛ المسيح المضاد، § 61 .

wohlgerathen - 11

wohlgemuth - 12

الذين هم أبعد الناس عن أن يعجلوا فيحسبوا تقلب ميزانهم ما بين "الحيوان والملاك" من بين الدواعي ضدّ الوجود، - بل إنّ أرهفهم حسّاً وأصفاهم عيناً، مثل غوته، مثل حافظ¹، قد رأوا في ذلك جاذبية أخرى في الحياة. فإنّ هكذا "تناقضات" إنّما تُغري بالوجود... من جهة أخرى، من اليسير أن نفهم أنّه متى كُتب للخنازير المتردّية² أن تحبّ العفّة إلى حدّ العبادة - وإنّه لثمة هكذا خنازير! - فإتّها لن تحبّ فيها ولن ترى فيها إلّا نقيضها، نقيض خنزير ردّ - آه، بأيّ نخير مدمدم وفي آية سورة! شيء يمكن للمرء أن يتخيّله - هذا التناقض المخزي بلا طائل، الذي ما فنى فاغمر في نهاية حياته يريد أن يصوغه موسيقى وأنّ يحمله إلى المسرح. ولكن لأية غاية؟ كما يحقّ لأيّ كان أن يسأل. إذ ما همّ، ما همّنا والخنازير؟

3.

على أنّه بذلك لم يتمّ تحاشي هذا السؤال الآخر، ما همّ وهذا الفحل الفحيل³ (آه، المتفحّل بلا فحولة⁴)، "ساذج القرية"، بارسيفال⁵ هذا البائس، القرويّ الفظّ، الذي تحوّل على يديه في نهاية المطاف، بوسائل جدّ محرّجة، إلى كاثوليكي؟ - كيف؟ هل كان جاداً فيما عناه عموماً في بارسيفال هذا؟ قد يودّ المرء أن يفترض العكس، بل حتى أن يتمناه، - أنّ بارسيفال فاغمر قد يكون شيئاً قصده في صفوة بال، كما خاتمة أو دراما ساخرة، بها أراد فاغمر التراجيدي، بطريقة مناسبة تليق به، أن يرحل عتاً، أن يرحل عن نفسه أيضاً، [342] وقبل كلّ هذا، عن التراجيديا، وذلك بشيء من الإفراط في التهكّم، في أكبر وأمكر ضرب من التهكّم بالتراجيدي⁷ نفسه، بكلّ الجّد الأرضيّ الرهيب والبؤس الأرضيّ الذي خيم فيما مضى، بالشكل الأكثر فظاظاً، الذي تمّ أخيراً تخطّيه، الثاوي في الطبيعة المضادة لمثال التنسك. كان يكون ذلك، كما قلت، شيئاً يليق حقاً

1 - حافظ الشيرازي (ت. 1389) شاعر غنائي وصوفي فارسي. قارن: المعرفة المرحّة، § 370؛ ما وراء الخير والشر، § 198.

2 - verunglückt. - "التردّية" أي الميتة بسبب سقطة في هوة، وقد نقول "الموقودة" أي الميتة أو المشرفة على الموت من ضرب شديد. را: القرآن، المائدة، الآية 3.

3 männlich -

4 unmännlich -

5 Parsifal. هو بطل أوبرا ألفها فاغمر تحت نفس الاسم وأدّيت لأول مرة سنة 1882.

6 der Naturbursche. من يبدو في حالة الطبيعة؛ المزارع القروي في الدانوب (Danube).

7 das Tragische -

بتراجيديّ كبير: ذاك الذي، كما كلّ فنّان، لا يبلغ إلى أوج عظّمته إلّا متى عرف كيف ينظر إلى نفسه وإلى فنّه كشيء يقع في أسفل ذاته¹، - متى عرف كيف يضحك من نفسه. هل كان "بارسيفال" فاغنر هو ضحكه الحكيم السريّ من ذات نفسه، انتصار حريّة الفنّان العليا والقصوى التي أحرزها، انتصار ما وراثيّة الفنّان²؟ قد يوّد المرء، كما سلف، أن يتمنّى ذلك: إذ ماذا كان يكون بارسيفال لو كان قصداً جدّاً؟ هل على المرء فعلاً أن يرى فيه شيئاً (كما عبّر عن ذلك أحدهم بمحضر منّي) "وليد كره مسعور للمعرفة والروح وشهوة الحسّ"³؟ لعنة على الحواس والروح تننّفس كرهاً؟ ردّة وعودة إلى المثل العليا المسيحية المريضة والظلامية⁴؟ وفي آخر المطاف نفيّاً للذات، شطباً للذات، من جانب فنّان كان يتوق بكلّ ما في إرادته من قدرة، إلى الضدّ، نعني لأنّ يدفع بفنّه إلى أقصى ما في الروح من الروح وأقصى ما في الحسّ من الحسّ⁵؟ وليس بفنّه فحسب: بل بحياته أيضاً. ليذكّر المرء بأيّ شغف سار فاغنر في وقته على خطى فيورباخ الفيلسوف: على خطى كلمة فيورباخ عن "الشهوة المقدّسة"⁶ - تلك التي رنّت في سمع فاغنر مثلما في أسمع كثير من ألمان الثلاثينات والأربعينات (- إذ كانوا يُسمّون "الألمان الشبّان") وكأنّها هي كلمة الخلاص⁷. هل غير فضلاً عن ذلك من طريقته في التعلّم⁸ في آخر الأمر؟ إذ يبدو على الأقلّ أنّه غير من تعاليمه⁹... وليس ذلك من طريق أبواق بارسيفال من على المسرح، فحسب: - ففي التّأليف الحيريّ للسنوات الأخيرة، تلك التي جاءت باهتة بقدر ما هي بلا حريّة، إنّما توجد [343] مئات المواضع، حيث ترشح رغبة سرّية وإرادة، إرادة قانطة، مهتزة، غير معترف بها، في الوعظ والتبشير بارتداد حقيقي وتام إلى الورا، بالاهتداء إلى الطريق القويم، بالنفي، بالمسيحية، بالعصور الوسطى، وأن يقول إلى

unter sich - 1

Künstler-Jenseitigkeit - 2. هي ضرب من الآخرة أو من التعالي الخاص بالفنّان الحقيقي: أن يكون "ما وراء" ذاته وفنّه.

Sinnlichkeit - 3

obskurantistisch - 4

höchste Vergeistigung und Versinnlichung - 5

"gesunde Sinnlichkeit" - 6

Erlösung - 7

umlernen - 8

umlehren - 9

أتباعه "لاشيء! ابحثوا عن الخلاص في مكان آخر!". بل إنّ "دم المخلص" قد استُشهد به ذات المرار...

4.

أنّ أقول رأيي في هكذا حالة، وهي لجُذّ محرّجة - على أنّها حالة هي نمط برأسه¹: هو أمر أحسن ما يأتيه المرء في شأنه هو بلا ريب أن يفصل الفنّان عن عمله فصلاً حاداً، فلا يأخذه مأخذاً جدّاً، لا هو ولا عمله. فهل هو في آخر الأمر إلّا الشرط السابق لعمله، رحم الأم، التربة، وفي بعض الأحيان السباد والسرّجين الذي عليه، ومنه ينبت، - ومن ثمة، في أكثر الأحوال، شيء، ينبغي على المرء أن ينسأه، متى أراد أن يمتّع بالعمل بحدّ ذاته. فإنّما التمحّيص في أصل عمل ما هو من شأن الفزيولوجيين وفنّييّ التشريح الحيواني للروح: لا ولن يهّم الاستطيقين² والفنانين أبداً! لم يزل على الشاعر ومؤلف البارسفال أن يغمس في روح القرون الوسطى وتضارباتها وأن يغوص فيها على نحو عميق، موغل، وحتى مريب، لم يزل عليه أن يقف على حدة معادياً لكلّ رفعة وكلّ شدّة وكلّ تأديب للروح، لم يزل عليه أن يقع في نحو من فساد العقل (إذا سُمح لي بالتعبير على هذا النحو)، مثلاً لا يمكن لامرأة حامل أن تتجنّب قُروز الحمل وغرائب: أنّ على المرء، كما قيل، أن ينسى، حتى يهنا بالولد. وعلى المرء أن يحترس من هذا الخلط الذي ما أيسر ما يقع فيه أيّ فنّان، بسبب³ contiguity نفسانية، حتى نتكلّم كالانكليز: أن يتصرّف كما لو أنّه سيكون⁴ هو ذاته ما هو قادر على تمثله أو تخيّل أو التعبير عنه. وفي واقع الأمر: لو كانه لما أمكن له بلا ريب أن يتمثله أو يتخيّله [344] أو يعبّر عنه؛ ما كان هوميروس ليقول شعراً في أخيل ولا غوته في فاوست، لو كان هوميروس أخيراً أو كان غوته فاوساً. إنّ فنّاناً تاماً كاملاً إنّما هو، إلى أبد الأبد، منفصل عن "الواقع" وعمّا هو فعلي؛ إلّا أنّ المرء يفهم كيف أنّه يمكن أن يأخذه تعبٌ كأنّه يأسٌ من هذا "الواقع" الأبدي وهذا الزيف في

typisch - 1

die ästhetische Menschen - 2

3 - بالانكليزية في النص الأصلي: امتداد جبل (الأفكار) وهو مبدأ من مبادئ تداعي الأفكار استعمله هيوم (القرن الثامن عشر) وعلم النفس المنفعي البريطاني (القرن التاسع عشر).

wäre - 4

في جنياولوجيا الأخلاق

كيانه¹ الأكثر تخميمة، - كيف أنه قد تأخذه الرغبة ذات الممرار في أن يتخطى بخاصة أكبر المحظورات لديه، أن يتخطى الواقع الفعلي، أن يكون فعلياً. وماذا كانت النتيجة؟ للمرء أن يخمن... إن هذا هو الوهن النمطي² للفنانين: ذلك الوهن نفسه، الذي أصاب فاغنر شيخاً، وكلّفه ثمناً جَدَّ غال وعواقب جدّ وخيمة (- لقد خسر معه أنفس صداقاته³). ولكن، في آخر المطاف، ويقطع النظر عن هذا الوهن، من لن يودّ على العموم، محبةً لفاغنر ذاته، لو أنه كان ودّعنا وودّع فنه وداعاً آخر، ليس من خلال بارسفال، بل على نحو أكثر ظفراً، وأثبت نفسه، على نحو فاغنري أكثر، - أقلّ خداعاً، أقلّ التباساً بالنسبة إلى إرادته في جملة، أقلّ شوبنهاوريّة، أقلّ عدميّة؟...

5.

- أيّ معنى إذن لمثل التنسك؟ في حالة الفنان، لقد فهمنا ذلك آخر الأمر: لا شيء أبداً!... أو أشياء لا تُحصى بحيث أن ذلك يعادل اللاشيء!... أعرضوا للتوّ عن الفنانين: فهوّلاء ليسوا أبداً من الاستقلال والكفاية داخل العالم وضده حتى تكون تقوياتهم أو تقلباتها بما يستحقّ الاهتمام في حدّ ذاته! هل كانوا في كلّ عصر إلاّ خدماً لأخلاق ما وفلسفة ما ودين ما؟؛ وذلك فضلاً عن أنهم كثيراً ما كانوا للأسف يتزلفون المعجبين بهم ويجرون في هوى أشياءهم، ويرعون في تملّق القوى الحاكمة⁴ أكانت قديمة [345] أم مستجدّة. ومهما يكن من أمر، فهم يحتاجون دوماً إلى حماية، إلى سند، إلى سلطة⁵ بعدد قائمة: إن الفنانين لا يوجدون أبداً من أجل أنفسهم، إن الاستقلال والتوحد شيء هو بعين الضدّ من غرائزهم الدفينة. كذا، مثلاً، كان ريتشارد فاغنر قد اتخذ الفيلسوف شوبنهاور، عندما "حان الوقت"، واقياً وحامياً: - من بإمكانه حتى أن يفكر في أنّه كان يملك الشجاعة لأنّ يبحث عن مثله الأعلى في التنسك، من دون السند الذي تمنحه له فلسفة شوبنهاور، من دون الثقل الكبير الذي بلغه نفوذ شوبنهاور في أوروبا

Dasein - 1

typische Velleität - 2

3 - لا يقصد نيتشه على الأغلب إلّا نفسه (صديق فاغنر إلى سنة 1876).

Gewalten - 4

Autorität - 5

إِثبات السبعينات؟ (وذلك دون أن نأخذ في تقدير ما إذا كان ممكناً بعامّة في ألمانيا الجديدة أن يوجد فتانٌ من دون حليب التفكير¹ الذي يدّر بالتقوى، تقوى الإمبراطورية²). - وها نحن وصلنا إلى سؤال أعلق بالجدّ وأخطر: ما معنى أن يعتمد فيلسوفٌ حقيقيّ إلى امتداح التنسّك واتّخاذة مثلاً أعلى، عقلٌ معتمدٌ فعلاً على ذات نفسه مثل شوبنهاور، رجلٌ وفارسٌ حديد البصر، يملك الشجاعة على أن يكون لذاته، ويعرف كيف يستقلّ بنفسه متوحّداً ولا ينتظر أئمةً ولا إشارات من أعلى؟ - دعونا ننظر للتوّ في الموقف اللافت بل المثير بالنسبة إلى صنف معيّن من الناس، والذي اتّخذة شوبنهاور من الفن: إذ من الواضح أنّه إنّما من أجله اعتنق فاغنر أوّل الأمر مذهب شوبنهاور (آخذاً في ذلك بنصيحة شاعر، كما نعلم، بنصيحة هارفيغ³)، وذلك إلى القدر الذي معه انبثق تناقضٌ نظري تامّ بين عقيدته الجمالية المبكرة وعقيدته اللاحقة، أولاهما كما عبّر عنها، مثلاً، في "أوبرا ودراما"، وأخراهما كما في الكتابات التي نشرها بدءاً من 1870. وعلى الخصوص أنّ فاغنر، وهذا ربّما هو أكثر ما يريب في الأمر، قد غيّر منذئذ من حكمه على ما للموسيقى ذاتها من قيمة ومنزلة: ما الذي دفعه إلى أن يجعل منها إلى حدّئذ أداةً، وسطاً، "امرأةً"، هي في حاجة ماسّة إلى هدف، إلى رجل، حتى تنمو وتفلح - أي إلى [346] دراما! لقد تصوّر، في كرتة واحدة، أنّه، من خلال نظرية شوبنهاور وتجديده، قد كان ثمة مزيدٌ يمكن فعله *in majorem musicae gloriam*⁴، - أي من خلال سيادة الموسيقى، كما تصوّرها شوبنهاور: الموسيقى وقد أفردت فتناً مقابل كلّ الفنون الأخرى، فتناً مستقلاً بذاته، ليس شأنه، مثل تلك، أن يعرض صور الظواهر، بل يتكلّم لغة الإرادة ذاتها، خارجاً للتوّ من "الهاوية"، بوصفه تجلّيها الأخصّ، الأكثر أصالة والأقلّ اتّباعاً. بيد أنّه مع هذا الرفع غير المعهود من قيمة الموسيقى، كما ينتج في الظاهر من فلسفة شوبنهاور، ازداد في نفس الكرتة أيضاً تقريض الموسيقى ذاته على نحو لم يُسمع بمثله من قبل: لقد صار منذ الآن محدّثاً، كاهناً، أكثر من كاهن، هو فوهة "ذات"

1 - Denkungsart. سبق لنيتشه أن استخدم عبارة "حليب التقوى" في ما وراء الخير والشر، § 229. وهي صيغة أخذها من مسرحية غيوم تال (Guillaume Tell) لشيلر (المشهد IV، المقطع 3)، حيث ترد عبارة "حليب التفكير التقوي" (die Milch der frommen Denkart).

2 - reichsfrommer

3 - Georg Herwegh. شاعر ألماني (1817-1875) معاصر لشوبنهاور.

4 - باللاتينية في النص: "من أجل مجد الموسيقى"، وهو معارضة لقولة مسيحية شهيرة: "من أجل مجد الرب".

في جنياولوجيا الأخلاق

الأشياء¹، هاتف الآخرة²، - هو منذ الآن ليس فقط ينطق موسيقى، هذا المقهاق³ الإلهي، - بل ينطق ميتافيزيقا: أي عجب في كونه سوف ينطق في النهاية يوماً ما مُثلاً تنسكية؟...

46.

إن شوبنهاور⁴ إنما استعمل التصوّر الكانطي للمشكل الجماليّ لصالحه، - وإن كان قطعاً لم ينظر إليه بأعين كانطية. قد كان في خلد كانط أنه يحيط الفنّ بشرف كبير إذ فضّل من صفات الفنّ، ووضّع في الصدارة، تلك التي تشكّل شرف المعرفة: أنه لا شخصي⁵ وأنه ذو صلاحية كونية⁷. أمّا ما إذا لم يكن هذا الأمر في أساسه خطأً، فليس هذا بموضع للتفاوض في شأنه؛ إذ أنّ الأمر الوحيد الذي أريد أن أضعه في الصدارة هو أنّ كانط، مثل الفلاسفة جميعاً، بدلاً من أن يواجه المشكل الجماليّ انطلاقاً من تجارب الفنان (المبدع)، هو قد تفكّر في الفنّ والجميل انطلاقاً من "المتفرّج" وحده، وبذلك، دون أن يلحظ، هو قد زجّ بـ "المتفرّج" ذاته في مفهوم "الجميل". ولكن، على الأقلّ، لو أنّ هذا [347] "المتفرّج" قد كان معروفاً كفايةً لدى فلاسفة الجميل! أعني بما هو واقعة وتجربة شخصية كبرى، بما هو وفرة من الخبرات الحيّة⁸ القويّة المخصوصة، والرغبات والفُجاءات والبهجات، في ميدان الجميل! غير أنّ الضدّ، على ما أخشى، هو ما كان يحدث: فإذا بنا نتلقّى منهم منذ البداية تعريفاتٍ في قلبها يقبع، كما في ذلك التعريف المشهور الذي أعطاه كانط عن الجميل،

das "An-sich" der Dinge - 1

ein Telephon des Jenseits - 2

der Bauchredner. يتكلّم من بطنه، دون تحريك الفم. - 3

4 - من الفقرة 6 إلى الفقرة 10، يحلّل نيتشه دلالة المثل الأعلى التّسكي لدى الفيلسوف.

5 - عن التّصوّرات الجمالية لدى شوبنهاور، راجع: العالم إرادةً ومثلاً، الكتاب الثالث والملحق للكتاب الثالث. وحول الموسيقى، الكتاب الثالث، الفصل 52 والملحق للكتاب الثالث، الفصل 49.

Unpersönlichkeit - 6

7 - قارن: كانط، نقد ملكة الحكم. تحليلية الجميل. استنتاجات اللحظة الأولى (§ 5) واللحظة الثانية (§ 6) واللحظة الثالثة (§ 9).

Erlebnisse - 8

افتقارٌ صارحٌ إلى آية تجربة خاصة¹ على قدر من الرهافة والتهديب، في شكل دودة بدينة من الضلال الكبير. "إنّ الجميل، كذا قال كانط، هو ما يُعجب بلا مصلحة"². بلا مصلحة³! على المرء أن يوازن هذا التعريف مع ذاك الذي وضعه "متفرّج" وفنان بحق - ستوندا⁴ الذي سمّى الجميل ذات مرة *une promesse de bonheur*⁵. فإنّ ما هو مستهجنٌ ومشطوب ههنا هو تحديدا ما وضعه كانط موضع الصدارة في الحالة الجمالية⁶: *le désintéressement*⁷. من منيها على حقّ، كانط أم ستوندا؟ إذا كان جماليّونا⁸ لم يتوانوا عن ترجيح كفة الميزان، لصالح كانط، بأنّ المرء، تحت سحر الجمال، إنّما يمكنه أن ينظر حتى إلى تماثيل نساء عارية "دونما اهتمام ولا مصلحة"⁹، فإنّه يحقّ لنا أن نتخذهم هُزواً: فإنّ تجارب الفنّانين هي في هذا الأمر الجلل "أكثر مثاراً للاهتمام"¹⁰، وإنّ بغماليّون، على آية حال، لم يكن بالضرورة "إنساناً لا-جمالياً"¹¹. لتكن لنا أفضل فكرة عن براءة جماليّينا، التي تراءى لنا في هكذا أدلّة، ولنعدّ من أفضال كانط، على سبيل المثال، ما كان يجيد تعليمه عن خصوصيّة حاسة اللمس بسذاجة قسّ

Selbst-Erfahrung - 1

ohne Interesse - 2. يعني das Interesse في الألمانية معنيين مترابطين: 1. الاهتمام والاكتراث والمبالاة؛ 2. المصلحة والمنفعة. ولذلك فإنّ قصد كانط هنا مضاعف: ohne Interesse أي بلا مصلحة قد تجعلني أكثرث لأمر ما وأهتمّ به. الجميل هو ما يعجبني بقطع النظر عن أيّ غرض أو منفعة.

3 - ما يعنيه نيتشه على كانط هو كونه قد حوّل الفن إلى ظاهرة مفهومية صورية "بلا مصلحة". مثلما فعل مع المسائل الخلقية. وفي الواقع فإنّ موقف كانط من الفن أو من الأخلاق لم يكن "بلا مصلحة" بل كانت تحركه مصلحة حادة ناجمة عن نمط بشري معيّن وإرادة اقتدار محدّدة تعود إلى اللاهوت المسيحي وقد أخذ لبوس "الفلسفة المتعالية". إنّه قد رعى في كل مرة نوعاً معيّنًا من القيم.

Stendhal - 4

5 - بالفرنسية في النص الألماني: "وعد بالسعادة". قارن: ستوندا، في الحب. الكتاب I، الفصل XVII.

der ästhetische Zustände - 6

7 - بالفرنسية في النص الألماني: "الخلوّ من المصلحة".

unsre Aesthetiker - 8

9 - ohne Interesse قد تعني هنا، على الأرجح، "دونما اكتراث" أو "اهتمام" أو "مبالاة". وليس "انعدام المصلحة" بالمعنى النفعي.

"interessanter" - 10

ein "unästhetischer Mensch" - 11

ريفّي¹! -نحن نعود هنا إلى شوبنهاور الذي خالط الفنون بطريقة مغايرة تماماً لطريقة كانط، وعلى ذلك هو لم يفلت من فتنة التعريف الكانطي: كيف حدث ذلك؟ إنها لحالة عجيبة: لقد تأوّل عبارة "بلا مصلحة" على النحو الأكثر شخصيّة، انطلاقاً من تجربة ينبغي أن تكون عنده في زمرة أكثر التجارب رتابة وانتظاماً. قليلة هي الأشياء [348] التي تكلم فيها شوبنهاور بهذا القدر من الثقة كما عن تأثير التأمل الجمالي: إذ يقول عنه إنه يُضادّ "الرغبة" الجنسيّة²، تقريباً كما الجنجل والكافور، وهو لم يتعب أبداً من تمجيد هذا التخلص من "الإرادة" بوصفه الميزة الكبرى للحالة الجمالية وفائدتها. بل قد يؤدّ المرء أن يسأل ما إذا لم يكن تصوّره الأساسي لـ "إرادة والتمثل"، والتفكير بأنّه لا يمكن أن يوجد خلاص من "الإرادة" إلا من طريق "التمثل" فحسب، قد أخذ مصدره من تعميم ما لهذه التجربة الجنسية. (في كلّ الأسئلة التي تتعلّق بفلسفة شوبنهاور، لنقل ذلك على سبيل التعليق، لا ينبغي أن نغفل أبداً عن أنّها تصوّر شابّ في السادسة والعشرين من العمر؛ بحيث أنّها لم تكن فقط قسماً مما يميّز شوبنهاور، بل أيضاً تماماً يميّز هذه الفترة من الحياة.) لنستمع إلى واحد من بين المقاطع الأكثر بياناً، والتي لا تحصى، التي كتبها تمجيداً للحالة الجمالية (العالم إرادة ومثلاً، ج 1، ص 231)³، لنستمع إلى النبرة والوجوعة والسعادة والمنّة، التي بها قيلت هكذا كلمات: "هي الحالة الخلوّ من أيّ ألم، تلك التي امتدحها أبيقور بأنّها الخير الأسمى، وبأنّها الحالة التي هي أليق بالآلهة؛ فإذا بنا، في تلك اللحظة، ننتعق من قيد الإرادة البغيض، ونحتفل بالسبت راحةً من الأشغال الشاقة في سجن الإرادة، وإذا بعجلة الإكسيون⁴ تتوقّف... يا لسورة الكلمات! يا لهذه الصوّر من التفجّع والتبرّم! وأيّ تقابل في الزمان، يكاد يكون مرضيّاً، بين "تلكم اللحظة" وبين "عجلة الإكسيون" المعتادة و"الأشغال الشاقة في سجن الإرادة" و"قيد الإرادة البغيض"! ولكن هبّ أنّ شوبنهاور قد كان مائة مرة على حقّ فيما يتعلق بشخصه، فماذا قد يفيد ذلك

1 - قارن: كانط، الأنثروبولوجيا من وجهة نظر براغماتية، § 17. - كان أبو نيتشه قسّاً ريفيّاً. لكنّ كانط يملك لدى نيتشه أدواراً أخرى: 1. هو صورة "العالم" (الفيلسوف المجهّض)؛ 2. ورمز "المؤمن" (القس البروتستانتي بوصفه الجدّ الأكبر للفلسفة الألمانية)؛ 3. ووجه "السوقي" أو "العامي" أو "الشعبي" (اعتناق أفكار روسو عن المساواة، نقص في التلطف النفساني،...).

2 - die geschlechtliche "Interessirtheit"

3 - قارن: شوبنهاور، العالم إرادة ومثلاً، الكتاب II، الفصل 38.

4 - Ixion. ملك أسطوري يوناني حاول إغراء هيرا، زوجة تروس، ملك الآلهة. ولأنّه خالّد فقد وقع شدّه بالمسامير على عجلة تدور أبداً في لهب الترتار، نهر في الجحيم.

في الإبصار بباهية الجميل؟ لقد وصف شوبنهاور أحد مفاعيل الجمال، أنه مهدئ للإرادة- فهل هو على الأقل شيء يجري على وتيرة ثابتة؟ إن ستوندا، كما سبق أن قيل، الذي هو طبع لا يقل حساً، وإن كان أكثر حظاً [349] في صبغته من شوبنهاور، قد أُلْمِعَ إلى مفعول آخر للجميل: "أنَّ الجميل بالسعادة يَعُدُّ"، إذ يظهر عنده، أنَّ ما يقع على وجه الدقة إنما هو إثارة الإرادة (أو إثارة "الاهتمام") بالجميل. ثم، ألا يمكن للمرء في آخر الأمر أن يعترض على شوبنهاور، بأنه قد ظنَّ نفسه كانطياً بغير حق، بأنه لم يفهم التعريف الكانطي للجميل فهماً كانطياً أبداً ولا بوجه من الوجوه، - بأنه هو أيضاً قد التذُّ بالجميل وفقاً لـ "مصلحة" ما، بل وفقاً لأقوى المصالح وأكثرها صبغة شخصية: مصلحة المعذب الذي يتخلص من عذابه؟... وحتى نعود القهقري إلى سؤالنا الأول، "ماذا يعني، أن يتغزل فيلسوف بالتنسك مثلاً أعلى؟"، نحن بذلك على الأقل قد حصلنا هنا على إلماحة أولى: إنه يريد أن يتخلص من عذاب ما.

7.

حذار من أن نَلْقَى كلمة "العذاب" بوجه واجهة: إذ لا يزال، في هذه الحالة تحديداً، كثيرٌ مما يمكن أن نحتسبه في الموازنة، كثيرٌ مما يمكن أن نطرحه، بل لا يزال شيء ما ماثراً للضحك. علينا بخاصة ألا نقلل من شأن هذا الأمر، أنَّ شوبنهاور، الذي كان يعامل الجنس³ في واقع الأمر كعدو شخصي (بما في ذلك أداته، المرأة، هذا "instrumentum diaboli")، إنما كان محتاجاً إلى أعداء، حتى يظل صافي المزاج؛ أنه كان يحب من الألفاظ اللاذعة، المرة، الوحشية، الفجة؛ أنه كان يغضب، للغضب، ويأخذ الأمر عن الهوى؛ أنه كان يمكن أن يصير مريضاً، كان يمكن أن يصير متشائماً⁴ (- إذ هو لم يكن بالقدر الذي تمناه لنفسه) من دون أعدائه، من دون هيغل⁵ والمرأة وشهوة الحس

das Interesse - 1

das Interesse - 2

Geschlechtlichkeit - 3

4 - باللاتينية في النص. "الأداة الشيطانية" أو "أداة الشيطان".

ein Pessimist - 5

6 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 204.

في جنبا لوجيا الأخلاق

وإرادة الوجود والبقاء برمتها. ما¹ كان شوبنهاور، لولا ذلك، ليبقى، وهذا أمر يمكن المراهنة عليه، بل يكون منه قد ولى هارباً؛ إلا أنّ أعداءه قد أمسكوا به، إنّ أعداءه ما فتئوا يُغرونه بالوجود، وإنّ غضبه، تماماً كما لدى الكلبيين القدامي، إنّما كان بلسمة ونقاته و[350] مكافأته، عقّاره ضدّ التقزّز ومنبع سعادته. إنّ في هذا لكفاية فيما يتعلّق بأخصّ ما هو شخصي في حالة شوبنهاور؛ وإن كان لديه، من جهة أخرى، شيء ما نمطي²، - وإنّما به فحسب نحن نعود مرة أخرى إلى المشكل الذي نخضنا. إنّهُ كلّما يكون ثمة فلاسفة على الأرض وكلّما كان ثمة فلاسفة (من الهند إلى انجلترا³، حتى نأخذ بالقطبين المتقابلين في الموهبة الفلسفية)، إنّما يوجد، على نحو لا مرأى فيه، ضربٌ حقيقي من غيض الفلاسفة وحقدُ الفلاسفة على شهوة الحسّ - وليس شوبنهاور غير الانفجار الأفصح بياناً عن هذا الأمر، ولمن له آذان لذلك، الانفجار الأشدّ أخذاً بالأفئدة والأكثر سحراً؛ أما ويوجد أيضاً ضربٌ من تحيّر الفلاسفة وتعطف الفلاسفة إلى المثل الأعلى التنسكي بكنيته، وحول هذا الأمر وبإزائه يجب على المرء ألاّ يندع نفسه. هذان أمران يتيمان، كما سبق أن قيل، إلى نوع⁵ [الفلاسفة]؛ فإذا غاباً عن فيلسوف ما، فلا يكون - تأكّدوا من ذلك - إلاّ "مدّعياً". ماذا يعني ذلك؟ إذ أنّ هذه واقعة علينا قبل تأويلها؛ إذ في ذاتها، هي قائمة ههنا عبثاً لأبد الأبد، مثل كلّ "شيء في ذاته". إنّ كلّ حيوان، كذا هو أيضاً حال la bête philosophe⁷، إنّما يصبو بغريزته إلى أقصى ما يمكن من الظروف الملائمة، التي يستطيع من خلالها أن يطلق كلّ قوّته⁸ وأن يبلغ إلى أوج شعوره بالاعتقاد⁹؛

nicht - 1

2 - Typisches. أي من "نمط" بشري أو فزيولوجي أو أخلاقي أو قيمي معيّن. إنّ "النمط" هو عند نيتشه مفتاح التأويل لأنّه هو تربة التقويم الحاسمة. وهو ما يعكس دور السؤال "من؟" في معادلة نيتشه.

3 - "من الهند إلى انجلترا" تعني هنا: من الأفضل إلى الأسوأ في الفلسفة. قارن: ما وراء الخير والشر، § 252.

Rancune - 4

Typus - 5

6 - "sogenannt". مزعوم أو فيلسوف "مظنون" حسب عبارة الفارابي.

7 - بالفرنسية في النص الألماني: "الدابة الفلسفية"

8 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 13.

Machtgefühl - 9

وكلّ حيوان هو، بغريزته أيضاً وبرهافة حسّ، "أعلى شأواً من كلّ عقل"¹، إنّها يمقت أشدّ المقت كلّ ضرب من التطفّل أو الشغب أو الموانع التي تقف أو يمكن أن تقف أمامه في هذه الطريق نحو أقصى المستطاع (- ليس طريقه نحو "السعادة" هو ما عنه أتكلّم، بل طريقه نحو الاقتدار، نحو الفعل، نحو الفعل الأشدّ اقتداراً، وفي أكثر الأحوال هو في الواقع طريقه نحو الشقاء). كذا الفيلسوف يمقت الزواج مع كلّ ما يمكن أن يُقنعنا به، - الزواج بوصفه عائقاً وقدراً مناوئاً² يسدّ طريقه نحو أقصى المستطاع. أيّ فيلسوف كبير تزوّج إلى حدّ الآن؟ إنّ هرقليطس وأفلاطون وسبينوزا وليبنز وكانط وشوبنهاور - لم يتزوّجوا؛ بل أكثر من ذلك، لا يمكن للمرء أن يتخيّلهم متزوّجين. إنّ [351]. فيلسوفاً متزوّجاً إنّما يجد مكانه³ في الكوميديا، هذه أطروحتي؛ وأما عن هذا الاستثناء السقراطي⁴، فإنّ سقراط الداهية، إنّما تزوّج، على ما يبدو، ironice⁵، وتخصيصاً من أجل البرهنة على هذه الأطروحة. كلّ فيلسوف إنّما شأنه أن يتكلّم، كما تكلّم بوذا⁶ ذات مرة، إذ أخبروه بأنّ قد وُلدَ له طفلٌ: "وُلدَ رَهْولاً⁷، وصنع لي قيداً" (رَهْولاً يعني هنا "عفريت صغير")؛ لكلّ "روح حرة" إنّما ينبغي أن تأتي ساعةً للتفكير، متى فرضنا أنّه قد مرّت عليه ساعةٌ غفلةً، كما حدث مرّة لبوذا هذا - "عسرةٌ خانقةٌ، قال في نفسه، هي حياة البيوت، إنّ هي إلّا بوثةٌ للقدارة⁸؛ هل الحرية إلّا في ترك البيوت؟" وإذ قال ذلك ترك البيت من ورائه ورحل". إنّ المثل الأعلى التنسكي إنّما يخبر عن جسور عدّة إلى الاستقلال⁹، بحيث إنّ أيّ فيلسوف لا يمكنه، من دون أن يطرب قلبه أو تصفّق يده، أن يسمّع إلى قصّة أولي العزم هؤلاء جميعاً، الذين قالوا يوماً ما "لا" لكلّ ضرب من الاستعباد¹⁰

1 - قارن: القديس بولس، رسالة إلى أهل فيليبي 4 : 7. قارن أيضاً: ما وراء الخير والشر، § 218.

2 - das Verhängnis

3 - gehören. في معان عدة: 1. ينتمي إليها بحيث هي تملكه؛ 2. يناسبها؛ 3. يجد مكانه فيها.

4 - عن سقراط والمرأة، قارن: إنساني، مفرط في إنسانيته I، § 433.

5 - باللاتينية في النص: "تمكّماً".

6 - الدلالة الموجبة للبوذية، بوصفها "دينا يقع ما وراء الخير والشر"، قارن: المسيح المضاد، § 20.

7 - Rähula

8 - Unreinheit

9 - Unabhängigkeit

10 - Unfreiheit

وذهبوا في أي صحراء: متى قبلنا أصلاً بأنهم كانوا مجرد حير قويّة¹ وبعين الضدّ تماماً من روح حرّة. أي معنى إذن لمثل أعلى تنسكي لدى فيلسوف؟ إنّما جوابي هو - والمرء لا بدّ وأنّه قد حرّزه منذ مدة: إنّ شأن الفيلسوف أن يتسم لمرآه كما للحدّ الأقصى من شروط الروحانية العليا والأشدّ بلاءً، - وهو بذلك لا ينفي "الكيان"²، بل هو بذلك، على الأرجح، يثبت كيانه³، وكيانه فحسب، وذلك ربّما إلى حدّ بحيث أنّه يقف ليس ببعيد عن هذه الأمانة المجرمة: *pereat mundus, fiat philosophia, fiat philosophus, fiam*...⁴

8.

من له عين فليبر، ليسوا بشهود أو قضاة مُنزّهين⁵ على قيمة المثل الأعلى التنسكي، أولاء الفلاسفة! إنّما يفكّرون في أنفسهم، - ما شأنهم و"القديس"⁶! هم يفكّرون في ما⁷ لا يمكن لهم أبداً الاستغناء عنه [352]: الحرية من الكلفة والإزعاج والضوضاء والمشاكل والواجبات والهموم؛ الصفاء في الذهن؛ أن تكون الفِكْرُ رقصاً ووثباً وتحليفاً؛ هواءً عليلاً، رقيقاً، رائقاً، حرّاً، جافاً، كما هو هواء الأعالي، حيث يصبح كلّ كائن حيواني روحانياً أكثر وتنبت له أجنحة؛ سكوناً في كلّ الدهاليز⁸؛ حيث كلّ الكلاب شدّت برفق إلى سلاسلها؛ لا نباح عداوة ولا حقد متلبّد؛ ولا ديدان تقرض النفس بالطموحات الجريحة؛ أحشاء قنوعة ومذعنة، مُجَدّة مثل عمل الطواحين، ولكن من بعيد؛ قلب غريب، يرنو إلى ما وراء المدى⁹، مستقبلي، كما مولودٌ بعد موته¹⁰، - هم يفكّرون، على الجملة،

1 - صورة سبق أن وردت ضمن: ما وراء الخير والشر، § 8.

2 - "Dasein" das

3 - Dasein sein

4 - باللاتينية في النص الألماني: "ليفن العالم، لتكن الفلسفة، ليكن الفيلسوف، لأكن أنا"

5 - unbestochen. من bestechen رشا. والقصد أنّهم لا يقبلون الرشوى لنزاهتهم.

6 - "der Heilige"

7 - an Das

8 - das Souterrain

9 - jenseits

10 - posthum

من وراء المثل الأعلى التَّسْكِي، في التَّنَسُّك¹ المرح للحيوان الذي صار مؤلَّهاً ومجْتَحاً، إذ يجوب فوق الحياة بدل أن يسكن إليها. إنَّ المرء ليعرف الكلمات الثلاث الكبرى التي هي موضع فخار المثل الأعلى التَّنَسْكِي: الفقر والخشوع والعقَّة؛ فلينظر المرء مرةً إلى حياة كلِّ العقول الكبرى الخصبة والنابعة عن كُتب، - إذن ليجدَنَّ هذه الثلاثة ماثلةً أبداً بهذا القدر أو ذاك. ولكن ليس، مثلما هو بيِّن بنفسه، كما لو كانت بوجه ما "فضائلهم" - إذ ما عسى هذا النوع من البشر أن يصنع بالفضائل!² - بل بوصفها الشروط الأخصَّ والأكثر طبيعيَّة لبلوغ أفضل ما يكون لهم من الوجود، وأجمل ما يكون لهم من الخصوبة. وعلى ذلك من الممكن بلا ريب أن تكون روحانيتهم المهيمنة قد وضعت قبل أزمنة لكبرياء جامحة وغضوبة أو حساسية ماجة، أو أنها على الأرجح لم تُبق إلا بشقِّ الأنفس على إرادة "الصحراء" التي فيهم صادقة الإصرار كفايةً ضدَّ ميل ما إلى الترف، كما ضدَّ تحررية³ مسرفة في القلب واليد. بيد أنها لم تفعل ذلك بالذات إلا لأنها الغريزة الغالبة⁴، التي تفرض مطالبها على الغرائز الأخرى - هي لا تزال تفعل ذلك؛ فإذا هي لم تفعل، إذن لما كان لها أن تهيمن على شيء. لا يتعلق الأمر إذن بآية "فضيلة". أمَّا الصحراء التي عنها تكلمت للتو، حيث تعتزل العقول القويَّة، التي خلقت مستقلةً، وتتوحد - أه كم تبدو مغايرة لأيِّ صحراء قد تخطر على بال المثقفين - [353] بالمناسبة إنهم هم أنفسهم الصحراء، أو لاء المثقفون. ومن المؤكَّد أنَّ كلَّ كوميدوي⁵ الروح ما كان لهم أن يصمدوا فيها، - إنها بالنسبة إليهم ليست رومانسية كفايةً وشامية⁶ كفايةً، ليست بصحراء مسرح⁷ كفايةً! لا ريب، هي لا تخلو أيضاً من الإبل والجمال: غير أنَّ كلَّ التشابه إنَّما يقف عند هذا

1 - der Ascetismus

2 - هنا نقف على تمييز لطيف بين "الفضائل" أو "المعايير الكونية" للفعل الأخلاقي وبين "القيم". إنَّ الفيلسوف لا يحتاج إلى الفضائل بل إلى القيم بوصفها مجرد "وسائل" في خدمة إرادة الاقتدار التي تحركه.

3 - Liberalität

4 - der dominierende Instinkt

5 - die Schauspieler. المقصود هم "الممثلون" المسرحيون.

6 - syrisch. علينا أن نتساءل عن دلالة هذه الصفة لدى نيتشه. يبدو أنَّه يشير إلى العبارة: "die Syrische Wüste" - "بادية الشام".

7 - lange nicht Theater-Wüste genug. ربَّما يستعمل نيتشه لفظة "die Wüste" (الصحراء) في معنى الصفة "wüst" (مقفر) فنقرأ: "ليست قفراء من المسرح كفاية". قارن: حدَّث زرادشت قال، الكتاب الأول، "التحوُّلات الثلاثة".

الحّد. ربّما هي غموضٌ مقصودة؛ هروبٌ¹ من أمام أنفسهم؛ خشيةٌ من الضوضاء والتشريف والجريدة والتأثير؛ منصبٌ صغير، حياةٌ عادية، شيءٌ يحجب أكثر ممّا يضع أمام الأضواء؛ رفقةٌ في بعض الأحيان مع جمع من الحيوانات والطيور اللطيفة والأنيسة، التي يبعث منظرها على الانسراح؛ صحبةُ الجبل، ولكن ليس جبلا ميتا، بل جبل له عيون (أعني له بحيرات)؛ وبالمناسبة حتى غرفة في نزل يعجّ بالناس، حيث يكون المرء على يقين من أنّه صار نكرة²، ويمكنه أن يتكلّم دونها محاسبة مع أيّ كان، - فها هنا توجد "الصحراء"؛ ليت شعري، إنّها مدعاة كافية للشعور بالوحدة، صدّقوني! حين اعتكف هرقليطس في باحات معبد أرتيمس المهبب وأروقه، إنّها كانت هذه "الصحراء" أرفع منزلة، أقرّ بذلك؛ لماذا تنقصنا هكذا معابد؟ (- ربما هي لا تنقصنا؛ إذ تذكّرت فقط غرفة عملي البهية، في Piazza di San Marco³، في الربيع طبعاً، وصباحاً أيضاً، ذلك الوقت ما بين العاشرة والثانية عشرة.) لكنّ ما كان هرقليطس ينأى بنفسه عنه إنّما لا يزال عين الشيء الذي نحن الآن منه هاربون: الضوضاء والهراء الديمقراطي للإيفيزيين⁴، سياستهم، أخبارهم عن "الإمبراطورية" (الفارسية، على المرء أن يفهمني⁵)، سوقهم الرخيصة⁶ عن "الراهن"⁷، - ذلك بأننا نحن الفلاسفة إنّنا نحتاج قبل أيّ شيء إلى السكون: قبل أيّ "راهن". فهل نمجّد إلّا الصامت، البارد، النبيل، البعيد، الماضي، وبعمامة كلّ ما عند مرآه لا تضطرّ النفس إلى أن تدافع أو تضيق على نفسها، - شيء ما، يمكن للمرء أن يتحدّث عنه، دون أن يرفع صوته. على المرء فقط أن ينصت إلى النبرة التي تتخذها روحٌ ما، حينما تتكلّم؛ لكلّ روح نبرتها، وهي لتجِبْ نبرتها. وها نضرب مثلاً؛ فذلك عليه أن يكون مشاغبا، أعني رأساً فارغة، قِذراً فارغة؛ فإذا كلّ ما يدخل فيها [354]، يخرج غائراً وخائراً، يبرز تحت الصدى الذي يبعثه الفراغ المطبق. أمّا ذاك فإنّه يكاد لا ينطق إلّا مبحوحاً؛ أيكون، على الأرجح، قد فكّر حتى بُحّ صوته؟ قد يكون ذلك

1 - ein Aus-dem-Wege-Gehn -

2 - verwechselt. مختلط بالآخرين إلى حدّ أنّه صار يشبه أيّ أحد أو أنّه لا أحد.

3 - ساحة القديس مرقس في Venise.

4 - die Ephesier. إشارة إلى أهل "إيفيز" (Ephèse) - بلدة هرقليطس.

5 - نلمح هنا ضرباً من التقيّة في الكتابة: إنّ المقصود دون تسميته هو دولة بيسارك.

6 - die Markt-Kram. سوق الأمتعة الرخيصة أو القديمة.

7 - das Heute. "اليوم" أو "العصر". كان ابن خلدون قد استعمل عبارة قريبة من هذا هي "سوق العالم".

ممكنا- على المرء أن يسأل الفزيولوجيين-، لكنّ من يفكّر بالكلمات، إنّما يفكّر كخطيب وليس كمفكّر (ذلك يرشح بأنّه في واقع الأمر لا يفكّر في الأشياء المادية¹، لا يفكّر بشكل مادّي²، بل بالنظر إلى الأشياء المادية، أنّه على الحقيقة يفكّر في نفسه وفي مستمعيه). وأمّا هذا الثالث هناك فهو يتكلّم كفضوليّ، إنّهُ يرفسنا من قريب على أبداننا، ولهائه يلفح وجوهنا، - وبشكل لا إرادي نحن نغلق أفواهنا، رغم أنّ ما كان يكلمنا عبره إنّما هو كتاب: إنّ نبرة أسلوبه لتنبئ عن السبب، - أنّ لا وقت لديه، أنّ إيمانه بنفسه ضعيف³، أنّ عليه أن يقول كلمته⁴ اليوم أولن يفعل ذلك أبدا. لكنّ عقلاً، على يقين من ذاته، لا يتكلّم إلا همساً؛ إنّهُ يطلب الغيبة⁵، إنّهُ يدفع الناس إلى انتظاره. وإنّما يُعرّف الفيلسوف بسيماها، كونه يُعرض في طريقه عن ثلاثة أشياء ساطعة وذات ضجيج، عن الشهرة والملوك والنساء: ذلك لا يعني أنّها لن تأتي إليه، هو يخشى الأضواء الوهاجة؛ ولهذا هو يخشى عصره و"يومه". إنّهُ في ذلك يشبه ظلاً: كلّما غابت الشمس عنه، كلّما صار أكبر. أمّا عن "تواضعه"، فهو، كما يتحمّل الظلّ، إنّما يتحمّل أيضاً تبعيّة ما وتعتيماً ما: بل أكثر من ذلك، هو في وجل من أن تزعجه ومضة البرق، هو يرتعب من الشعور باللاحماية كما شجرة جدّ معزولة ومهدورة، عليها يصبّ كلّ طقس سيّء تقلّبه، وكلّ تقلّب طقسه السيّء. إنّ غريزته "الأمومية"، والمحبة المكونة لما ينمو في داخله، إنّما تشير عليه بأن يركب مواقف، حيث يتخلّى المرء عن ضرورة التفكير في ذاته؛ في نفس المعنى الذي به تكون غريزة الأمومة في المرأة قد رسّخت الوضع التابع للمرأة بعامّة إلى حدّ الآن. إنّهم لا يطلبون في آخر الأمر إلاّ شيئاً قليلاً، أولاء الفلاسفة، إنّ شعارهم هو "من يملك، يصبح مملوكاً"⁶؛ ليس، كما ينبغي عليّ أن أقول المرة تلو المرة، طلباً لفضيلة ما أو بفضل إرادة محمودة في القناعة و[355] البساطة، بل من أجل أنّ سيّدهم الأعلى يأمرهم بذلك، يأمرهم بحكمة وصرامة: ذاك الذي

die Sachen – 1

sachlich – 2

schlecht – 3

zu Worte kommen – 4

die Verborgenheit – 5

6 – "wer besitzt, wird besessen" – من يملك (الأملاك) يصاب بمسّ من الشيطان: من يملك، يصبح مملوكاً، أي مأخوذاً بها يملك، مولعاً به إلى حدّ الخبل أو العبودية.

صرف باله¹ إلى أمر واحد، استجمع له كلّ ما لديه من وقت وقوة² ومحبة واهتمام، وجعلها له وحده مدّخراً. هذا الرهط من البشر لا يحبّ أن تزعجه العداوات ولا الصداقات: فما أيسر ما ينسى وما أهون عليه أن يحتقر. وفي ظنّه أنّه من البلادة في الذوق أن يموت المرء شهيداً؛ "أن يتألّم من أجل الحقيقة" - هم يتركون ذلك للطامحين وأبطال العقل وفيما خلا ذلك لكلّ من كان لديه لهذا الأمر متّسع من الوقت³ (- فهم أنفسهم، الفلاسفة، لهم شيء ما عليهم أن يفعلوه من أجل الحقيقة). هم يقتصدون في استعمال الكلمات الكبرى؛ يقول الناس إنّهم يعافون حتى لفظة "الحقيقة": إنّ لها رنيناً بهرجاً... أمّا فيما يخصّ "عفة" الفلاسفة، فإنّ هذا النوع من العقل إنّما يجد خصوصيته، كما هو بيّن، في شيء آخر غير الأطفال؛ ربما أيضاً في موضع آخر يكمن بقاء أسائهم وخلودهم الأصغر (كان المرء، في الهند القديمة، يصارح أقرانه من بين الفلاسفة، على نحو أقلّ تواضعاً قائلاً: "لم النسل" للذي نفسه⁴ العالم؟). ليس هاهنا شيء من العفة⁵ المتأبّية عن تطهّر متّسك أو كره⁶ للحواس، بقدر ما لا وجود للعفة، حينما يكون رياضيّ أو مروّض للخيل⁷ محجماً عن النساء: كذا تريد على الأرجح، على الأقلّ في فترة الحمل، غريزة السيطرة التي في داخلهم. إذ يعرف كلّ فتان كم يكون الجماع مضراً في حالات التوتر والتهيج⁸ الروحي الكبير؛ وبالنسبة إلى أكثرهم قدرة وأقواهم غريزة، لا يتطلّب ذلك التجربة، التجربة المريّة، - بل إنّ غريزة "الأمومة" التي بداخلهم هي التي تهب هنا، من غير هوادة، للعمل الذي لا يزال في طور التكوّن، كلّ مخزون أو رافد آخر من قوة ومن vigor⁹ الحياة الحيوانية؛ فإذا بالقوة الكبرى تستهلك الصغرى. - وبعد فإنّ المرء ليجد هنا، تبعاً لهذا التأويل، ترتيباً مناسباً لحالة شوبنهاور التي تحدّثنا عنه فيم سبق: إنّ منظر الجمال إنّما يعمل عنده، كما

Sihn - 1

Kraft - 2

3 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 25.

Nachkommenschaft - 4

die Seele - 5

6 - قارن: حدّث زرادشت قال، الكتاب الأول، حديث "العفة".

7 - ein Jockey. فارس سباق أو مروّض الخيل.

8 - enthalten. أمسك وأحجم عن شيء ما. وقصد نيتشه هو أنّ "المتنع" و"المحجم" عن النساء لأسباب رياضية، ليس هو "enthaltssam" - أي متعقفاً أو زاهداً.

9 - باللاتينية في النص: "عنفوان".

هو جليّ، بمثابة إثارة مهيجّة للقوة الكبرى في طبيعته [356] (قوة الاعتبار¹ والنظر العميق)؛ بحيث أنّ هذه متى انفجرت أصبحت في كزّة واحدة سيدة الوعي. ذلك لا يجب دون ريب أن يغلق الباب أمام إمكانية أن تكون هذه الحلاوة والوفرة، التي هي خاصة بالحالة الجمالية، إنّما تستمدّ أصلها من عنصر "الشهوة"² تحديداً، (الذي هو عين العنصر التي تنحدر منه تلك "المثالية"، التي تميّز الفتيات في سنّ البلوغ) - أنّ الشهوة بذلك لا ترتفع³ بمجيء الحالة الجمالية، كما اعتقد شوبنهاور، بل تغير وجهها⁴ فحسب ولن تلج إلى ساحة الوعي في شكل إثارة جنسية. (سوف أعود مرة أخرى إلى هذه الناحية من النظر، في صلة بالمشاكل الأكثر لطافة وصعوبة، تلك المتعلقة بضرب هو بوجه ما غير مطروق إلى حدّ الآن، وغير مستساغ بوجه ما، من فزيولوجيا الجماليات.

9.

إنّ ضرباً ما من التنسّك، كما رأينا، نحواً من التجردّ الصارم والصابي للإرادة الحسنى⁵ إنّما ينتمي إلى جملة الشروط الملائمة للروحانية العليا، كما أيضاً إلى نتائجها الطبيعية: لذلك لن يتعجّب المرء لأوّل وهلة من أنّ المثل الأعلى التنسّكي لم يُدرّس من قبل الفلاسفة من دون تحيّر معين. إذ عند مراجعة تاريخية جدّية إنّما ينكشف الرابط ما بين المثل الأعلى التنسّكي والفلسفة على نحو أوثق وأشدّ حبكة. وقد يمكن للمرء أن يقول إنّما بالتوكّأ على عصا⁶ هذا المثل الأعلى تعلّمت الفلسفة أن تمشي خطواتها وخُطّياتها الأولى على الأرض - آه، إذ لا تزال غرّة تماماً، آه، إذ لا تزال بتلك الملامح العابسة، آه، مهيّة هكذا لأن تسقط

Besinnung - 1

Sinnlichkeit - 2

aufgehoben - 3

transfigurirt - 4. ولا ننس المرجع الديني هنا كما في عبارة "عيد التجلي" المسيحي.

Entsagsamkeit - 5. التجردّ والتنازل والهجران والتزهد والتضحية والتخلي.

bester Willen - 6

7 - am Gängelbande. - يستعمل نيتشه هنا تعبيراً جاهزاً يدل على الانكال على الآخرين والخضوع لوصاياهم. لكنّ المرجع هنا هو معنى لفظة "das Gängelband" - شريطة معلقة بثوب طفل تمسكه فلا يقع عند المشي أو حبال أو سيور لمساعدة الطفل على المشي. وتحرير المعنى هو أنّ الفلسفة قد توكّأت على المثل الأعلى التنسّكي كأنّها على عصا لتعلّم المشي وهي صغيرة تخطو خطواتها الأولى.

وأن تضطجع على بطنها، هذه الخرقاء الصغيرة، الناعمة، ذات السيقان المقوسة! لقد حدث للفلسفة في البداية ما يحدث لكل الأشياء الجميلة، - إذ تظلّ لأمد طويل لا تملك الشجاعة على أن تكون ذاتها، تظلّ دوماً تحدّق من حولها ما إذا كان أحدٌ يريد أن يمدّ لها يد العون، [357] بل أكثر من ذلك، هي ما تفتأ في خوف من كلّ الذين يتفرّجون عليها. لنحصى الغرائز والفضائل الخاصة بالفلاسفة، واحدة تلو الأخرى - غريزة الشكّ التي لديه، غريزة النفي، غريزة التأنّي ("الشكوكية")، غريزة التحليل، غريزة البحث والتنقيب والمجازفة، غريزة المقارنة والمماثلة، إرادة المحايدة والموضوعية، إرادة كلّ ما هو sine ira et studio² -: من تصوّر بعد أن هذه كلّها إنّما كانت لمُدّة طويلة بعين الضدّ من الإلزامات الأولى للأخلاق والضمير؟ (ولا نحتاج أبداً لأن نتحدّث عن العقل بعامة، ذاك الذي كان لوثر³ لا يزال يحبّ أن يسمّيه "سيّدة الحكمة، المومس الحكيمة"). أن فيلسوفاً، فيما لو كان له أن يعي بنفسه، إنّما كان ينبغي عليه أن يشعر رأساً بأنّه صيغة مجسّدة من "vetitum in nitimur"⁵ - وأنّه تبعاً لذلك كان يحترس من "أن يشعر بنفسه"، أن يكون له وعيٌ بنفسه؟... لم يكن الأمر، كما سلف من القول، على نحو مغاير بالنسبة إلى كلّ الأشياء الحسنة التي بها نحن اليوم فخورون؛ حتى لو قيست بمقاييس الإغريق القدماء، فإنّ كينونتنا الحديثة في جملتها، من جهة ما هي ليست ضعفاً وإنّا اقتداراً ووعياً بالاعتدال، ستبدو بمثابة تكبرٍ صارخ وهرطقة⁷؛ ذلك بأنّ الأشياء التي هي على العكس من التي نمجّدها اليوم، هي التي كانت لأزمان متطاولة تحوز على الضمير في صفّها وعلى الرّب حارساً لها. تكبرٌ هو اليوم موقفنا من الطبيعة برمّته، جورنا⁸ على الطبيعة بواسطة الآلات وقوة الاختراع التي تحدو تقنيّتنا ومهندسينا دونها حرج

1 - ephektisch. شكّي وشكوكي.

2 - باللاتينية في النص: "دون غضب ولا انفعال". والعبرة مأخوذة عن: تاسيت، الحوليات (I)، 1.

3 - قارن "المقالة III، 2 و 22.

4 - wäre

5 - باللاتينية في النص: "إنّا نحن في شغف بالمنوع". أو كما قال الشاعر: "أحبّ شيء إلى الإنسان ما مُنع". صيغة تعود إلى أوفيد (Ovide)، العشق والعشاق، III، 4، 17. والعبرة وردت في: ما وراء الخبر والشر، § 227.

6 - die Hybris

7 - Gottlosigkeit

8 - Vergewaltigung. العنف والجور ولكن أيضاً (في حالة المرأة) الاغتصاب.

يُذكر، تكبرٌ هو موقفنا من الإله، أعني من أيّ عنكبوت مزعوم من الغايات والأخلاق¹ وراء نسيج أحبولة السببية- وقد يحقّ لنا أن نقول كما شارل الجسور² في صراعه مع لويس الحادي عشر³: "je combats l'universelle araignée"؛ تكبرٌ هو موقفنا من أنفسنا، - فهذا نحن نجرب على أنفسنا، كما لا نبيحُه على أيّ حيوان، ونشقّ بأيدينا في مسرة وفضول على النفس وهي في الجسد حيّاً؛ ما همّنا بعدُ و"خلاص"⁵ النفس! وفي أعقاب ذلك [358] نحن نشفي أنفسنا بأنفسنا: أن يكون المرء مريضاً هو أمر مفيد، نحن لا نشك في ذلك، بل أكثر إفادة من أن يكون صحيحاً، - إنّ المتسببين في المرض⁶ يظهرون لنا اليوم أكثر ضرورة حتى من أيّ رهط من المطبّين أو "المخلصين"⁷. نحن اليوم نعتف أنفسنا بأيدينا؛ ليس في ذلك من شكّ، نحن كسّارة جوز النفس، نحن السائلين والذين هم مدعاة للسؤال⁸، كما لو أنّ الحياة لم تكن غير ضرب من تكسير الجوز؛ ولذلك تحديداً نحن ينبغي أن نصبح بالضرورة يوماً بعد يوم وعلى الدوام أكثر مدعاة للسؤال، أكثر أهلاً⁹ لأنّ نطرح الأسئلة، ولذلك تحديداً، على الأرجح، أكثر أهلاً أيضاً - لأنّ نعيش؟... كلّ الأشياء الحسنة إنّما كانت من قبل أشياء سيّئة؛ ومن كلّ خطيئة أصلية¹⁰ حدثت فضيلة أصلية. فإنّ الزواج مثلاً قد

Sittlichkeit - 1

2 - Karl der Kühne، والعبارة هي ترجمة ألمانية من الفرنسية: Charles le Téméraire.

3 - Ludwig dem Elfen، من الاسم الفرنسي "Louis XI".

4 - بالفرنسية في النص الألماني: "إنّما أصرّاع العنكبوت الكوني". - "العنكبوت" هنا رمز لروح الثأر والضعيفة العميقة في فكرة الرعاية الإلهية: سببية، غائية، تمنع الكينونة من تقدير نفسها من دون علة أولى، تستعمل "التعالى" و"المفارقة" ضدّ الطابع "الديونيزوسي" للحياة الإنسانية. قارن: حدّث زرادشت قال، الكتاب الثاني، حديث "العناكب".

5 - das Heil، السلامة والراحة، ولكن الأقرب هو "الخلاص" بالمعنى الديني، مادام نيتشه قد وضع اللفظة بين هلالين.

6 - die Krankmacher

7 - علينا أن نضع هنا في الاعتبار أنّ "der Heiland" هو لقب المسيح "المخلص".

8 - Fragwürdigen

9 - würdiger. يستثمر نيتشه هنا بنية اللفظ الألماني "fragwürdig": "مدعاة" للسؤال، مشكوك فيه، مريب، ولكن أيضاً بالمعنى الحرفي "أهلّ لأنّ يُسأل عنه" و"يستحقّ" المسألة. وربما نقول إنّ المعنى الأول سالب، لكنّ المعنى الثاني موجب.

10 - die Erbsünde

في جنياولوجيا الأخلاق

ظهر ولمدة طويلة بمثابة اعتداء¹ على حقوق الجماعة؛ كان المرء في سالف الأزمان يدفع غرامة بأنه كان على غاية من عدم التواضع إذ تجرأ على أن يستحوذ على امرأة لنفسه (في هذا يدخل مثلاً الـ *jus primae noctis*²، الذي لازال إلى اليوم، في الكومبودج، هو امتياز الكاهن، هذا الحارس "للأخلاق الحميدة"). إنَّ المشاعر اللطيفة والطيبة والرفيقة والحنونة - التي درجت شيئاً فشيئاً في سلّم القيم إلى أن كادت تكون هي "القيم في ذاتها" - إنما كانت لأزمان طويلة تُواجه تحديداً بضرب من احتقار النفس: كان المرء يخجل من اللين، كما يخجل اليوم من الشدة (قارن: "ما وراء الخير والشر" ص 232³). الخضوع للقانون⁴ - آه بأيّ ضرب من مقاومة-الضمير⁵ كانت الأعراق النبيلة على جميع بقاع الأرض قد استطاعت التخلي عن الـ *vendetta*⁶ والإقرار للقانون⁷ بسلطة⁸ عليهم! كان "القانون" ولأمد طويل ضرباً من الـ *veritum*⁹، جنائياً، بدعةً، ظهر بالعنف¹⁰، وبصفته عنفاً، لا يذعن له المرء من دون أن يستحي من نفسه. كلّ خطوة صغيرة على الأرض إنما لم يُظفر بها في الأزمان القديمة إلاّ بعد عذابات روحية وبدنية¹¹: كلّ ذلك الرأي القائل "بأنه ليس التقدّم في الخطو فحسب، كلاًّ بل الخطو، التحرّك، التحوّل، قد تطلّب عدداً من الشهداء لا يُحصى"، إنما له اليوم وقعٌ غريب تماماً في أسمعنا، - شيء كنت قد كشفت النقاب عنه في كتاب "الفجر" ص 17 وما بعدها¹². "لم يُشرَ شيءٌ بأعلى ثمن، أعني خاصة ص 19، من هذا القليل من العقل البشري و[359] من الشعور بالحرية، الذي يمثل الآن تاج فخارنا. بيد أنّ

Versündigung - 1

2 - باللاتيني في النص: "حقّ الليلة الأولى".

3 - ما وراء الخير والشر، § 260. فقرة أساسية في فهم نيتشه حيث وضع منهجه "التيولوجي" في التمييز بين نمطين كبيرين من القيم: أخلاق الأسياد وأخلاق العبيد.

das Recht - 4

Gewissens-Widerstand - 5

6 - بالإيطالية في النص الألماني: "النار".

das Recht - 7

Gewalt - 8

9 - باللاتينية في النص: "الممنوع".

Gewalt - 10

11 - هذه الجملة مستقاة من الفقرة 18 من كتاب الفجر مع تحوير ضئيل.

12 - كتاب الفجر، § 18. عنوان الفقرة "أخلاق المعاناة الإرادية".

هكذا فخارا إنما هو السبب في أنه كاد يصبح من غير الممكن الآن أن نشعر بتلك الأشواط الزمنية الهائلة من "أخلاق العادات والتقاليد"¹، تلك التي تقع قبل "تاريخ العالم"، بوصفها التاريخ الأكبر، الفعلي والحاسم، الذي عين طباع البشرية²؛ يوم كان يُعدُّ الألم فضيلةً والقسوة فضيلةً والمداواة فضيلةً والثأر فضيلةً وإنكار العقل فضيلةً، وعين الضدّ من ذلك كان يُعدُّ الهناء خطراً والرغبة في المعرفة خطراً والسلم خطراً والشفقة خطراً وأن يكون المرء موضعاً للشفقة عاراً والعمل عاراً، أما الجنون فنفحة إلهية وأما التغيّر فخلقٌ قبيح وحلٌّ فاسد. -

10.

لقد بُيّن في الكتاب عينه (ص 39)³، وفق أيّ تقدير، تحت ثقل أيّ ضرب من التقدير كان على أقدم جيل من البشر التأمّليين⁴ أن يعيش، - بالتحديد كان محققراً بقدر ما كان غير مُهاب ولا مرهوباً! لقد ظهر التأمّل، لأول مرة على الأرض، في هيئة متنكّرة، بسمعة مشبوهة، وقلب رديء وعلى الأغلب برأس تمور قلقاً وخوفاً؛ ليس في ذلك من شك. إنّ ما هو منفعل ومتمعّن ومسالِم في غرائز التأمّليين قد أحاطهم لأمد طويل برية عميقة: ضدها لم يكن ثمة من وسيلة أخرى سوى أن يثيروا إزاءهم خوفاً شديداً. وإنّ على هذا الأساس كان البراهمة القدماء قد فهموا أنفسهم! كان الفلاسفة الأقدمون يعرفون كيف يمنحون وجودهم ومظهرهم⁵ معنى وسنداً وعمقاً، على أساسه يتعلّم الناس كيف يخافون منهم: ومتى فحطنا الأمر على نحو أدقّ، انكشفت لنا حاجة أخرى أشدّ غوراً، ألا وهي أن يفرضوا حتى أمام أنفسهم ذاتها ضرباً من الخوف والاحترام. ذلك بأنهم وجدوا في أنفسهم كلّ أحكام القيمة وقد انقلبت ضدهم، وأنّ عليهم [360] أن يهزموا كلّ ضرب من البرية والمقاومة ضدّ "الفيلسوف الذي في أنفسهم". هذا ما فعلوه، هم أبناء العصور المربعة، بوسائل مربعة: القسوة على النفس، إماتة النفس على نحو خلاق - تلك هي الوسيلة

1 - Sittlichkeit der Sitte. قارن: التصدير، § 4؛ المقالة II، 2؛ الفجر، §§ 9 و 19.

2 - Menschheit

3 - كتاب الفجر، § 42.

4 - contemplativ

5 - Dasein und Erscheinen

في جنياولوجيا الأخلاق

العظمى لهؤلاء الرهبان المتوحدّين المتعطّشين للقوة¹ والمبتدعين للفكر، الذين لم يجدوا بداً من أن يتعسفوا أولاً على الآلهة والسنن في ذات أنفسهم، حتى يمكنهم من بعد أن يؤمنوا هم أنفسهم بما ابتدعوه. أنا أذكر هنا بالقصة المشهورة للملك فيسفاميترا² الذي ظفر من بعد ألف سنة من تعذيب النفس بهكذا شعور بالقوة والثقة بالنفس، حتى تعلّقت همّته بأن يبني سماءً جديدة: هوّذا الرمز الموحش³ لتاريخ الفلاسفة الأقدم والأحدث عهداً على الأرض، - كلّ من عملت نفسه يوماً ما على بناء "سماء جديدة"، إنّها لم يجد من القوة على ذلك إلا في جحيمه الخاص⁴... لنستجمع كلّ هذه الحالة في صيغة موجزة: لقد كان على الروح الفلسفية في أوّل عهدا أن تتنكر وتشرق⁵ دوماً في أنماط المتأملين التي ترسّخت من قبل، بوصفه كاهناً وساحراً وعزّافاً وعلى العموم بوصفه صاحب دين، حتى تكون ممكنة فحسب، بأيّ قدر اتفق: إنّ المثل الأعلى التّسكي قد خدم لدى الفيلسوف بوصفه شكلاً للمظهر وشرطاً للوجود، - كان عليه أن يمثّله⁶ حتى يمكنه أن يكون فيلسوفاً، كان عليه أن يؤمن به هو بعينه، حتى يمكنه أن يمثّله. إنّ طريقة عمل الفيلسوف بخاصّته، النافية للعالم، المعادية للحياة، الكافرة بالحواس، المتجرّدة من شهوة الحسّ⁷، التي استمرّت إلى عهد جدّ قريب ومن ثمّ تقريباً اكتسبت صلاحية بوصفها موقف الفيلسوف كما ينبغي أن يكون في ذاته، - إنّها هي قبلُ نتيجة لرداء الأوضاع التي في ظلّها نشأت الفلسفة بعامة ونجحت في البقاء؛ ذلك بأنّ الفلسفة على الأرض، طيلة أزمان متطاولة، لم تكن

1 - machtdurstig

2 - Viçvamitra. قارن: الفجر الفقرة 113.

3 - unheimlich

4 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 129. ليس الفردوس حسب نيتشه سوى نتيجة تحويل العذاب الداخلي والجحيم الخاص إلى محبة للذة المطلقة وللراحة الدائمة.

5 - verpuppen. - يستعمل نيتشه هنا معجم الحشرات لتخريب نبذة الفيلسوف: حيث يعني فعل "sich verpuppen" - "تشرق" أي تحوّل إلى خادرة أو نغمة (فراشة). وبالعبيرية لدينا مرادفات كثيرة: حيث تعني "الشرقة" و"الصلجة" و"الفيلجة" غشاء دودة القز. وهي بيوت أو أغشية من حرير تنسجها الشّرفة (دوبية) وتتغلّف بها قبل أن تتحوّل إلى خادرة (الشكل الذي تكون عليه الفراشة في المرحلة التي بين البعوضة والحشرة الكاملة).

6 - darstellen. مادام نيتشه قد وضع اللفظ بخط مائل، فإنّ علينا أن نضع في الاعتبار جملة المعاني الأخرى من قبيل: أدّى دوراً وجسم و رسم ولكن أيضاً حصر وأنتج بالمعنى الكيميائي.

7 - قارن: ما وراء الخير والشر، §§ 62 و 229.

لتكون ممكنة أبداً من دون نقاب وكساء تنسكي، من دون سوء فهم تنسكي لنفسها. ومتى عبّرنا عن ذلك بصورة منظورة وبادية للعيان: إنّ [361] الكاهن المنتسك قد قدّم إلى عهد جدّ قريب شكل اليرقانة الكريهة والمعتمّة، التي في كنفها فقط كان يُسمَح للفلسفة بأن تعيش وتتجول... هل تغير ذلك فعلاً؟ هل أنّ الحيوان المجنّح الأبرش المحفوف بالمهالك، هل أنّ تلك "الروح" التي ضمّتها تلك اليرقانة بين جنباتها، قد أفلحت بالفعل، بفضل عالم مشمس أكثر، أشدّ دفءً وأصفى إنارة، في أن تنزع أخيراً ثوب الراهب² وأن تخرج إلى النور؟ هل يوجد اليوم ما يكفي من كبرياء وجرأة وسالة وطمأنينة وإرادة روحية وإرادة للمسؤولية وحرية إرادة، بحيث أنّ "الفيلسوف" على الأرض قد صابر بالفعل منذ الآن أمراً ممكناً؟...

11³.

والآن لأول مرة، بعد أن صار الكاهن المنتسك في مرمى النظر، لتتصدّ للمشكل الذي يهّمنا على نحو جدّي، - الآن فقط أصبح الأمر "جدّاً": ها نحن منذ الآن أمام الممثل الحقيقي للجدّ بعامة. "ما هو معنى كلّ ضرب من الجدّ؟" - هذا السؤال الذي هو أساسيٌّ أكثر يوجد على الأرجح هنا بعدد على شفاهنا: سؤال للفزيولوجيين، كما هو مطلوب، سوف ندعه يفلت من أيدينا لبعض الوقت. إنّ الكاهن المنتسك إنّما يجد في هذا المثل الأعلى ليس فقط إيمانه، بل أيضاً إرادته وقدرته⁴ ومصطلحه. إنّ حقّه في الوجود يقوم ويسقط بذلك المثل الأعلى: أيّ عجب في أن نصطدم هنا بخصم مرعب، متى فرضنا طبعاً أنّنا خصوم لهذا المثل الأعلى؟ من ذاك النوع الذي إنّما من أجل وجوده هو يصارع المنكرين لهذا المثل الأعلى؟... من جهة أخرى، ليس من المحتمل قبل أنّ طرحاً مُغرضاً على هذا النحو لمشكلنا سيكون في صالحه بشكل خاص؛ إنّ الكاهن المنتسك إنّما يعسر عليه أن يكون المدافع الأفضل عن هذا المثل الأعلى، لنفس السبب الذي

1 - die Raupe. هو الشكل الذي يتّخذه بعض الحيوانات، من حشرات أو أسماك، حين ولادتها.

2 - entkuttet. من لفظة die Kutte أي ثياب الرهبان.

3 - بعد تأويل معنى المثل الأعلى التنسكي لدى الفنانين والفلاسفة جاء دور الكهان، التربة الأولى للزرعة التنسكية. والكاهن هو حسب نيتشه آلة التنسك بامتياز.

4 - Macht

5 - interessirt

بمقتضاه صار من عادة أي امرأة¹ أن تفشل متى [362] أرادت أن تدافع عن "المرأة في ذاتها"، -فما بالك بأن يكون حكماً أو قاضياً نزيهاً في المساجلة المثارة هنا. إذ قبل ذلك سيكون علينا أن نمّد له يد العون- كما صار غنياً عن البيان- حتى يمكنه أن يدافع عن نفسه ضدنا جيداً بدلاً من أن يكون علينا أن نخشى أن نُهزم أمامه شرّ هزيمة... إنَّ الفكرة التي هي قطب الصراع هنا إنّما هي تقويم² حياتنا في نظر الكاهن المنتسك: فإنّ هذه (بكلّ ما ينتمي إليها، من "طبيعة" و"عالم" وكلّ دائرة الصيرورة وكلّ ما هو زائل) إنّما توضع لديه في علاقة مع نوع آخر تماماً من الوجود، إزاءه هي تسلك بشكل مناوئ ومنافٍ، اللهمّ إلا أن تنقلب بمعنى ما ضدّ نفسها، وأن تنفي نفسها بنفسها: في هكذا حالة، في حالة حياة منتسكة، فإنّ الحياة إنّما تسوغ عنده بوصفها جسراً إلى ذلك الوجود الآخر. إنّ المنتسك³ يعامل الحياة وكأنّها هي طريق ضالة، منها قد ينبغي على المرء في نهاية المطاف أن يعود القهقري، إلى الموضع الذي بدأ منه؛ أو كأنّها هي خطأ، يفتّده المرء بالأفعال- أو يجب عليه أن يفتّده: ذلك بأنّه يشترط على المرء أن يتبعه، إنّه يفرض، حيثما يمكنه، طريقة تقويمه للوجود. فما معنى ذلك؟ إنّ طريقة تقويم مرعبة من هذا النوع لن تُسجّل بوصفها استثناء أو ضرباً من الفضول في تاريخ الإنسان: إنّها من أشدّ الوقائع اتساعاً والأطول عمراً التي وُجدت يوماً ما. فمتى قرئت من كوكب بعيد، ربما تقود الحروف الكبرى⁴ لوجودنا على الأرض إلى الاستنتاج بأنّ الأرض إنّما هي بحقّ كوكب منتسك⁵، بقعة لمخلوقات منزعجة، متعجرفة ومنقّرة، لم ترد أبداً فكاكاً ممّا ألمّ بها من استياء عميق من نفسها، من الأرض ومن الحياة، وتسيء إلى نفسها بقدر الإمكان، إساءةً على سبيل التسلية: - من المحتمل أن تكون هي تسليتها الوحيدة. لننظر على أية وتيرة وعلى أيّ مدى كوني سجّل الكاهن المنتسك ظهوره في كلّ الأزمان؛ إنّه لا ينتمي إلى أيّ عرق بعينه؛ فهو يزدهر في كلّ مكان؛ وينحدر من طبقات الناس⁶ كافّة. ليس أنّه بوجه ما قام بتربية نمط تقويمه [363] بالوراثة وشتّله: إنّ ما

ein Weib - 1

Werthung - 2

der Asket - 3

4 - قارن: المعرفة المرحّة، التصدير § 2.

5 - فكرة بفترض شرّاح نيتشه أنّها تحمل نفّس فولتير.

die Stände - 6

يحدث هو العكس، - إنَّ غريزة دفيئة تمنعه على الأرجح، متى خرجنا عن اللياقة، عن التناسل¹. لابدَّ أنَّ ضرورة² من الدرجة الأولى، قد جعلت هذا النوع المعادي للحياة ينمو على الدوام ويزدهر، - لابدَّ أن تكون هناك مصلحة ما للحياة نفسها في أنَّ مثل هذا النمط من التناقض مع النفس لا ينقرض. ذلك بأنَّ حياة النسك هي ضرب من التناقض مع النفس؛ هاهنا تسود ضغينة بلا مثيل، تلك التي تحرَّك غريزة غير مُشبعة وإرادة اقتدار³، تريد أن تكون سيِّدة، ليس على شيء في الحياة، بل على الحياة نفسها، على شروطها السفلى، الأشدَّ عمقا والأكثر قوة؛ هاهنا تجري محاولةٌ كي تُستخدَم القوة⁴ بهدف سدِّ منابع القوة؛ هاهنا ينقلب النظر حسوداً⁵ وشامتا حتى ضدَّ النموِّ الفزيولوجي، وعلى الخصوص ضدَّ أماراته، الجمال والبهجة؛ في حين أنَّه مع الفشل والحرمان والألم والشؤم والقبح والخسارة الإرادية ونفي الذات⁶ والتشنيع على النفس والتضحية بالنفس إنَّما يكون الشعور بالرضا والسعي إليه. إنَّ كل هذا لمفارقة من الطراز الرفيع: نحن نقف هنا أمام فتنه، تريد هي ذاتها أن تكون مفتونة، وتمتَّع بذاتها في هذا الألم، وإنَّما تكون دوماً أكثر ثقة بنفسها وأكثر انتصاراً، بقدر ما يتقلص شرطُها، نعني الحيويَّة الفزيولوجية. "إنَّه الانتصار تحديداً في الرmq الأخير": وإنَّما تحت هذه العلامة على طلب المزيد⁷ كافح المثل الأعلى التنسكي على الدوام؛ وفي هذا اللغز الذي قدَّ من الإغراء وفي هذا المشهد من الافتتان⁸ واللوعة هو يتعرَّف إلى أوضح أنواره وخلاصه ونصره النهائي⁹. crux, nux, lux - كلُّ ذلك عنده بمعنى.

1 - die Fortpflanzung. بالمعنى الحرفي: أن يواصل غرس نبتته.

Necessität - 2

Machtwill - 3

die Kraft - 4

5 - grün. بالمعنى الحرفي: "أخضر"؛ ربما القصد هو المرارة والمذاق الفجَّ، كما هو حال الثمرة الخضراء التي لم تنضج بعد.

Entselbstung - 6

superlativ - 7

das Entzücken - 8

9 - باللاتينية في النص الأصلي: "الصليب والجوز والنور" (crux, nux, lux). تعريض ساخر بمصطلحات لاتينية مسيحية، لكنَّ نيتشه يعوِّض "nox" (ليل) بلفظة "nux" (جوز). وفي الفقرة 9 من هذه المقالة وصف نيتشه الفلاسفة قائلًا: "نحن كشارة جوز النفس، نحن السائلين والذين هم مدعاة للسؤال".

لو فرضنا أنّ هذا النوع من إرادة التناقض ومضادة الطبيعة، قد حُملت، بعظمها ولحمها، على التفلسف: [364] فعلاّم يا ترى ستصّبّ تعسفها الدفين؟ على الأمر الذي يشعر المرء بكلّ ثقة أنّه حقّ، أنّه واقع: سوف تبحث عن الخطأ، بالتحديد هاهنا حيث تكون الغريزة الصحيحة للحياة قد وضعت الحقيقة على نحو لا مشروط. سوف تعتمد مثلاً، كما يفعل النساك في فلسفة الفيدانتا¹، إلى الخط من أمور الجسد² كي تصير وهماً، الألم كذلك، والكثرة وكلّ التقابل المفهومي "ذات" و"موضوع" - إن هي إلاّ أباطيل، لاشيء غير أباطيل! أن يمتنع المرء عن الإيمان بأنّه، أن ينفي بنفسه "حقيقته"³ - أيّ نصر هذا! - لم يعد مجرد انتصار على الحواس، على ما تراه العين، بل ضرب من الانتصار، أسمى بكثير، إنّهُ جورٌ وقسوة على العقل⁴: ربّ متعة تبلغ عندئذ هالتها العليا بحيث إنّ الاحتقار التنسكي للنفس والسخرية من النفس إنّها يسرّ مرسوماً للعقل يقول: "إنّ ثمة مملكة للحقيقة والكينونة، لكنّ العقل تحديداً مستبعدٌ منها!"... (لنقل طيّ هذا: حتى في المفهوم الكانطي عن "الطابع المعقول للأشياء"، لا يزال شيء من فتنة النساك النهمة راسباً، يحلو لها أن تقلب العقل ضدّ العقل: "الطابع المعقول" إنّها يعني لدى كانط هيئة مخصوصة للأشياء، تتصوّر القوة العاقلة⁵، بقدر لا مزيد عليه، أنّها بالنسبة إلى القوة العاقلة - غير قابلة للتصوّر أبداً ولا بوجه من الوجوه). وفي الأخير علينا ألاّ نكون، نحن الباحثين عن المعرفة، ناكرين للجميل إزاء هذا النوع من الانقلابات الحازمة للمنظورات والتقويمات المعتادة، التي بها، لوقت طويل وعلى نحو يبدو منكراً ولا جدوى منه، تثور نائرة الروح ضدّ نفسها: بحيث يكون لنا أن نرى إلى الأشياء مرة واحدة على نحو مغاير، فإنّ إرادة المرء أن يرى على نحو مغاير⁶ ليست تربية أو تهئية هيّنة للعقل من أجل "موضوعيّة" مرتقبة، - دون أن تُفهم هذه الأخيرة باعتبارها "حداً خلوا من

1. die Vedānta-Philosophie - 1

Leiblichkeit - 2

seine "Realität" - 3

die Vernunft - 4

der Intellekt - 5

anders-sehn-wollen - 6

أيّ مصلحة" (إذ تكون بذلك تصوّراً باطلاً¹ ولا معنى)، بل بوصفها القدرة² على أن نملك نَعَمًا ولاءًا³ تحت سلطتنا وعلى أن نرفعها أو نضعها كما نريد: بحيث يعرف المرء حتى بإزاء اختلاف⁴ المنظورات⁵ [365] والتأويلات الوجدانية كيف يجعلها في خدمة المعرفة. لنقي أنفسنا، سادتي الفلاسفة، على نحو أفضل منذ الآن من خطر تلك الخرافات المفهومية⁶ القديمة، التي وضعت لنا "ذاتنا معرفية محضة، غريبة عن الزمان، بلا إرادة ولا ألم"، لنقي أنفسنا من مخالب هذا النحو من المفهومات المتناقضة من قبيل "العقل المحض" و"الروحانية المطلقة" و"المعرفة في ذاتها"؛- فهأنا يُطلب منا على الدوام أن نفكر في عين لا يمكن أن يُفكر فيها أبداً، عين، لا يجب أن تكون لها أيّة وجهة على الإطلاق، وفي رحابها يجب على القوى الفاعلة والمؤولة أن تكون مقموعة، ويجب أن تكون مفقودة، والحال أنّه إنّما عبرها تصبح رؤية ما رؤيةً لشيء ما، فإنّ ما يُطلب منا هأنا هو على الدوام شيء لا معقول⁷ وتصور باطل عن العين. فليس ثمة سوى رؤية منظورية⁸، سوى "معرفة" منظورية؛ وبقدر ما ندع قدراً أكبر من العواطف يقول كلمته⁹ في أمر ما، نعرف كيف نقحم نحن أنفسنا قدراً أكبر من الأعين، من الأعين المختلفة بالنسبة إلى نفس الأمر، ويكون "مفهومنا" عن هذا الأمر و"موضوعيتنا" أكثر اكتمالاً. أمّا أن نحذف الإرادة بعامّة، أن نعلّق العواطف جملةً وتفصيلاً، متى فرضنا جدلاً أنّنا نستطيع ذلك: فكيف؟ ألا يكون ذلك إخصاء للعقل¹⁰؟...

Unbegriff – 1

das Vermögen – 2

sein Für und Wider – 3

Verschiedenheit – 4

5 -- عن الطابع "المنظوري" و"التأويلي" اللامتناهي للوجود، قارن: المعرفة المرحّة، § 374

Begriffs-Fabelei – 6

7 ein Widersinn. المعنى الحرفي هو "ضدّ الحسّ"، من "der Sinn" – "الحسّ" ولكن أيضاً "المعنى" ومن ثمّ "العقل".

perspektivisch – 8

zu Worte kommen – 9

10 كل نبذ للعاطفة هو حسب نيتشه إخصاء للعقل: لأنّ العواطف والانفعالات هي فحولة الغرائز التي تعمل بشكل لاواع في أعماق كلّ إرادة اقتدار، بما في ذلك في صلب العقل نفسه. ونيتشه لا ينبذ العقل إلّا أنّه يكشف عن ماضيه التّسكي وتورّطه الدّفين في تربة المثل العليا التّنسكية.

13.

ولكن لنعد إلى الوراء. فمن الواضح لأوّل وهلة أنّ تناقضا مع النفس من هذا النوع الذي يبدو وكأنّه يجد صورته الجليّة في المنتسك، من قبيل "الحياة ضدّ الحياة"، هو، متى راجعناه على صعيد فزيولوجي وليس نفسانيّ كما كان يجري من قبل، لا يعدو أن يكون مجرد سخافة بلا معنى. إنّهُ لا يمكن أن يكون إلّا ظاهراً² فحسب؛ ينبغي أن يكون ضرباً من التعبير المؤقت، تفسيراً³، صيغةً⁴، زينةً، سوء فهم نفسياً لشيء ما، لم تفهم طبيعته الحقّة لأمد طويل، ولم يمكن أن يُخصّص في ذاته منذ أمد طويل، - مجرد لفظ، انحصر في فجوة قديمة من المعرفة الإنسانية. وإني [366] سوف أستعرض الوقائع التي تتعلق به: إنّ اتّخاذ التّنسك مثلاً أعلى إنّما هو أمر ناجم عن غريزة الحماية والسلامة التي تحدو حياة في طريقها إلى الانقراض، تسعى إلى البقاء بكلّ الوسائل وتصارع من أجل وجودها؛ إنّهُ يدلّ على كبح وتعب نفساني جزئي، ضدّه ما لبثت الغرائز الأعمق غورا، التي لم يلحقها أذى، تكافح دون توقّف من خلال وسائل واختراعات جديدة. وما كان مثال التّنسك إلّا واحدة من هكذا وسائل: كذا يجري الأمر على العكس تحديداً ممّا يظنّ المعجبون⁵ بهذا المثال، - إنّ الحياة فيه ومن خلاله إنّما تصارع الموت وضدّ الموت، فإنّ مثال التّنسك هو خدعة فنية⁷ للحفاظ على الحياة. أنّه بلغ قدراً استطاع فيه، كما تعلّمنا إياه التاريخ، أن يسيطر على الإنسان وأن يصبح ذا سلطان، وعلى الخصوص في أيّ صقع حيثما تمّ تحويل البشر إلى حضر⁸ وتدجينه⁹، فذلك يعبر عن واقعة كبرى، ألا وهي الحالة

1 - كلّ ما يدور في فلك الإنسان هو حياة. ولذلك فإنّ الفصل بين الحياة والمعرفة هو موقف أخلاقي لا يسيطر على مفترضاته الدفينة، أي على العناصر الحيوية التي تعمل فيه. وهذا يعود كلّهُ حسب نيتشه إلى فهم نسكيّ للحياة ولعلاقتنا مع غرائزنا. قارن: ما وراء الخير والشر، § 6.

2 - *scheinbar*

3 - *Auslegung*

4 - *die Formel*. في معنى الصيغة أو المعادلة الرياضية.

5 - بذلك فإنّ السؤال: "أيّ معنى للمثل التّسكية؟" ليس له من جواب تأويلي آخر غير هذا: "إنّه العدمية".

6 - *die Verehrer*. من بجل ووقّر، ولكن أيضاً عبد وقدّس.

7 - *ein Kunstgriff*

8 - *die Civilisation*. من حضّر ومدّن. "الحضارة" هي حسب نيتشه الصيغة الضعيفة من "الثقافة": حيث تدبّل الغرائز وتتضاءل إرادة الاقتدار.

9 - علينا الإبصار بالفرق الذي يفكر به نيتشه بين "التربية" (*Züchtung*) الحيوية و"التدجين"

المرضيّة¹ الثاوية في صنف البشر إلى حدّ الآن، الثاوية على الأقلّ في البشر الذي تمّ تدجينه، الصراع الفزيولوجي للبشر مع الموت (بشكل أدقّ: مع الاشتمزاز من الحياة، مع التعب، مع الرغبة في "النهاية"). إنّ الكاهن المنتسك هو الرغبة المتجسّدة في أن يكون آخر²، في أن يكون في غير هذا المكان³، وعلى الحقيقة هو الدرجة العليا من هذه الرغبة، حرارتها وسورتها الصميمة: غير أنّ قوّة⁴ رغبته بالذات هي القيد الذي يشدّه إلى هنا، ومن طريق ذلك بالذات هو يتحوّل إلى أداة، مجبراً بذلك على أن يعمل على خلق شروط ملائمة لأنّ يكون هنا⁵ ولأنّ يكون إنساناً، - وإنّما بهذه القوّة بالذات هو يشدّ كلّ قطع⁶ الفاشلين والساخطين وسيئي الحظّ والمصابين والمتألّمين من أنفسهم إلى هذا النوع من الكيان⁷، بأن يتقدّمهم بالغريزة كما يفعل الراعي. إنّ المرء قد فهم قصدي: هذا الكاهن المنتسك، هذا العدو الظاهري للحياة، هذا الذي يجيب بالنفي⁸، - إنّما هو تحديداً ينتمي إلى أكبر قوى⁹ الحياة المحافظة تماماً والتي خلقت نَعَم¹⁰... إلّا تعود هذه الحالة [367] المرضيّة؟ إذ أنّ الإنسان هو أكثر مرضاً وخوفاً وتبدلاً وثباتاً من أيّ حيوان، ليس في ذلك من شكّ، - إنّهُ الحيوان المريض¹¹: من أين تأتي هذا؟ بلا ريب، هو أيضاً قد تجرّأ وجدّد

(Zähmung) الحضاري. راجع: المقالة II، 1؛ أفول الأصنام، فصل "عن محسني الإنسانية"، §§ 2-5.

Krankhaftigkeit - 1

ein Anders-sein - 2

ein Anderswo-sein - 3

4 - Macht. - نحن نقول "قوة" وليس "اقتدار" لأنّ نيتشه يتكلّم هنا عن "الكاهن" وليس عن طبقة "النبلاء". أمّا ما ينبغي أن نقف عنده هو أنّ إقحام مفهوم "die Macht" هو هنا منعطف حاسم في مسار هذه المقالة. حيث سيعمل نيتشه على إثبات أنّ المثل الأعلى النسكي هو في واقع الأمر ضرب مريض ومقلوب من إرادة الاقتدار. وليس من حلّ إلّا في بلورة نوع من تأويلية الاقتدار هي الكفيلة بتخريج نظرية في تعدد المعاني بناءً على تعدد الأنماط البشرية وحروف السؤال "من".

das Hiersein - 5

die Heerde - 6

7 - Dasein. في معنى "الحياة". لكنّنا قصدنا باختيار لفظة "الكيان" بناءً تناظر مع عبارات سابقة هي "أن يكون هنا" و"أن يكون إنساناً".

der Verneinende - 8

die Gewalten - 9

die Ja-schaffenden - 10

11 - قارن: حدّث زرادشت قال، حديث "الأحداث الكبرى"، حيث يصف نيتشه "الإنسان" بأنّه اسم مرض من الأمراض الجلدية للأرض.

في جنياولوجيا الأخلاق

وواجه وتحدى القدر أكثر من سائر الحيوانات مجتمعة؛ هو، المجرب الكبير على ذاته، الذي لا يرضى ولا يشبع، الذي يصارع مع الحيوانات والطبيعة والآلهة من أجل السيادة القصوى، - هو، الذي لم يُقهر بعد على الدوام، الآتي-أبداً، الذي لم يعد يجد أي شكل من الراحة من القوى التي تتزاحم في داخله، بحيث إن مستقبله ما فتى ينكأ دونها رحمة في لحم كل حاضر كما بمهراز؛- كيف لا ينبغي لهكذا حيوان شجاع وزاخر ألا يكون أيضاً الأكثر عرضة للخطر على الإطلاق، الأطول والأبلغ مرضاً من بين كل الحيوانات المريضة؟... إن الإنسان ليسأم من ذلك، وكثيراً ما توجد أوبئة كاملة من هذا السأم (- كما حدث حوالي 1348، في زمن رقصة الأموات²)؛ بيد أنه حتى هذا التقرّز، هذا الكلل، هذا الاشتماز من النفس - كل ذلك يخرج منه على نحو من القوة بحيث أنه يتحوّل للتوّ مرة أخرى إلى قيد جديد. إن لاءً³ التي يقوها للحياة، إنها تحمل إلى النور، كما شيء من السحر، وفرّة كبيرة من نعمات أكثر نعومة؛ أجل، حين يجرّح نفسه، هذا المايسترو في التدمير، في تدمير النفس، - فإن الجرح ذاته هو ما يجبره من بعد ذلك على الحياة...

14

إنّه بقدر ما تكون الحالة المرضية في البشر أمراً اعتيادياً أكثر⁵ - ونحن لا يمكننا أن نضع هذه الاعتيادية⁶ موضع إنكار،- يجب على المرء أن يراعي تلكم الحالات النادرة من الاقتدار⁷ النفسي والجسدي، بوصفها ضربات الحظ التي أصابها البشر، وأن يقدرها تقديراً عالياً، ويكون عليه أن يعقد العزم أكثر على وقاية الأسوياء⁸ من أكثر الأجواء⁹ سوءاً، من جوّ المرضى. فهل نفعل

1 - der ewig-Zukünftige

2 - der Todtentanz. تشير العبارة في الفن إلى رسم من القرون الوسطى الأوروبية يمثل الموتى من جميع الطبقات وهم يرقصون.

3 - sein Nein

4 - eine Fülle zarterer Ja's. حاولنا هنا أن نوّدي "نعم" في الجمع، من خلال عبارة "نعمات"، وقد يجدر بنا أن نقول "إنعامات". والعربية تبرز هنا على الألمانية واللغات الغربية، حين توفر رابطاً اشتقاقياً بين "نعم" و"النعومة" (Zartheit) التي يلمح إليها نيتشه.

5 - normaler

6 - Normalität

7 - Mächtigkeit

8 - die Wohlgerathen

9 - die Luft. لا بد أن نيتشه لا يقصد "الجو" فقط بل "الهواء" أيضاً. والألمانية تشير إليها بلفظ

ذلك؟... إنّ المرضى هم أكبر خطر على الأصحاء؛ ليس من الذين هم الأقوى¹ يأتي الويل إلى الأقوياء، بل من الذين هم [368] الأضعف. هل نعرف ذلك؟... وبالجملة، ليس الخوف من الإنسان هو بأيّ حال ما يجدر بنا أن نتمنّى التقليل منه؛ إذ أنّ هذا الخوف هو ما يجبر الأقوياء على أن يكونوا أقوياء، وفي بعض الأوقات أن يكونوا مصدرا للخوف، - إذ هو ما يحفظ نمط الإنسان السويّ منتصباً². إنّ ما يدعو إلى الخوف، ما يعمل على نحو أكثر شؤماً من أيّ قدر مشؤوم، لن يكون الخوف الكبير، بل الاشتمزاز الكبير من الإنسان؛ كما الشفقة الكبيرة على الإنسان. لو حدث يوماً لقاءً بين ذينك الأمرين إذاً لآتى إلى العالم للتوّ وعلى نحو لا مردّ له شيءٌ من أكثر الأشياء وحشة ورهبة، "الإرادة الأخيرة"³ للإنسان، إرادته للعدم، للعدمية. وفي واقع الأمر: ألم يتمّ الإعداد لذلك بطرق عدّة؟ من لا يحسّ بأنفه فقط بل بعينه وأذنيه أيضاً، إنّها يلمس اليوم أينما حلّ تقريباً، شيئاً يشبه بيت المجانين، وجوّ المستشفيات والمرضى، - أنا أتكلّم، حتى أكون منصفاً، عن مناطق الحضارة من الإنسان، عن كلّ أنواع "أوروبا" التي أخذت تظهر على الأرض. إنّ المرضى هم الخطر الكبير الآتي من الإنسان؛ ليس الأشرار ولا "الوحوش الضارية". إنّ الذين هم منذ أول أمرهم مصابون، مطروحون أرضاً، مكسورون - هم الأكثر ضعفاً، وأكثر الذين ينسفون الحياة بين البشر، الذين يستّمون ثقتنا بالحياة، بالإنسان، بأنفسنا، ويضعونها موضع سؤال كأخطر ما يكون. كيف يفلت المرء من تلك النظرة المشثومة التي منها يحمل المرء غمّاً ثقيلاً، تلك النظرة الحسيرة للذي وُلد مشثوها منذ البداية، التي يرشح منها كيف يكلم هكذا إنسان نفسه، - تلك النظرة التي هي ضرب من التحسّر. "هل يمكنني أن أكون أيّ شخص آخر، هكذا تتحسّر هذه النظرة؛ ولكن لا يوجد أدنى أمل في ذلك. أنا هو أنا؛ كيف أتخلّص من نفسي؟ والحال - أنني قد سثمت من نفسي"... على تربة هذا النحو من الاحتقار للنفس، هذا المستنقع الحقيقي، تنبت كلّ عشبة ضارّة، كلّ نبتة سامة، وكلّ

واحد. ولا سيما متى تعلق الأمر بالمرضى: إنّ تنفّس "هواء المرضى" هو أيضاً خطر على الأسوياء.

die Stärksten - 1

aufrecht - 2. الانتصاب في معنى درويني ولكن أيضاً في معنى أخلاقي أي البقاء وصيانة النفس.

der letzte Wille - 3. لكنّ العبارة تشير أيضاً بالمعنى السائد إلى "الوصية الأخيرة" للإنسان. وليس ذلك بالأمر الذي لا يقصده نيتشه.

4 - قارن: المقالة I، § 11.

ذلك على نحو جدّ صغير، جدّ مستتر، جدّ خسيس وجدّ فاتر. هاهنا تدبّ ديدان الثأر و[369] مشاعر التأثر؛ هاهنا تنبعث رائحة الأسرار وما لا يمكن الاعتراف به؛ هاهنا يُنسج باستمرار شرك المؤامرة الأكثر خبثاً، - مؤامرة المتألمين من مصابهم ضدّ الأسوياء والمتصرين، إنّ منظر المنتصرين هو هاهنا أمر مكروه. وأيّ كذب يُفترى، حتى لا يُعترف بهذا الكره بوصفه كرهاً؛ وأيّ تبدّخ في الكلمات والمواقف الكبيرة، أيّ تفنّن في النميّة "الشريفة"؛ يا هؤلاء الفاشلين؛ أيّة فصاحة نبيلة تسيل على شفاههم! كم من الاستسلام العسليّ، اللزج، الخاشع، يملأ عيونهم! ماذا يريدون على الحقيقة؟ على الأقلّ أن يمثّلوا العدالة والمحبة والحكمة والتفوق - هذا هو مطمح هؤلاء "الأسافل"، هؤلاء المرضى! ويا لهذا المطمح كم يجعل المرء ماهراً! وإنّ المرء ليعجّب بمهارة مزيقي النقود، تلك التي بها تقع هاهنا محاكاة صبغة الفضيلة، بل حتى الطنين، الطنين الذي ينبعث من ذهب الفضيلة. لقد استأثروا بالفضيلة لأنفسهم وجعلوها حكراً عليهم، أولاء الضعفاء والمرضى بلا شفاء، ليس في ذلك من شك: "نحن وحدنا الخيرون وأهل العدل"²، كذا يتقولون، نحن وحدنا *homines bonae voluntatis*³. إنهم يتقلّبون في البلاد بين ظهرانيها كما نذر متجسّدة، وتنبهات لنا، - كأنها الصلّة والخلقة السوية والقوّة والفخر والشعور بالاقتدار هي بعدّ في ذاتها أشياء شنيعة، ينبغي على المرء أن يُعاقب⁴ عنها يوماً ما، أن يكفّر عنها بمرارة: آه كم هم في أعماقهم هم أنفسهم جاهزون لذلك، لأنّ ينزلوا العقاب بغيرهم، كما هم بذلك متعطّشون لأنّ يكونوا جلاّدين! ثمّة بينهم عدد وافر من الحاقدين الذين يحدوهم حبّ الانتقام متنكرين في جلايب القضاة، الذين ما انفكّوا يلوكون

1 - "التمثّل" و"التمثيل" هو ما يميّز عالم العبيد. والمثل الأعلى النّسكي هو آخر حلقة في تخلّق الأخلاق على الأرض حيث يصبح العبيد هم الذين يمثّلون العدالة على الأرض. الضعيف لا يصنع إرادة الاقتدار بل يريد أن يمثّلها بأيّ شكل اتفق. التمثيل هو نمط من تزييف القيم: أن يصبح "الضعيف" مقياساً للفضيلة وللجودة. ويصبح تهمة "للأقوياء". تمثيل إرادة الحقيقة يسمّى الفلسفة، كما أنّ المثل الأعلى النّسكي يسمّى الحياة بقيم العبودية.

2 - قارن: المقالة I، §§ 7، 14.

3 - باللاتينية في النص: "أصحاب الإرادة الطيبة".

4 - die Stärke

5 - büßen. فعل تختلط فيه معاني الجزاء والمعاقبة وتحمل العواقب ولكن أيضاً التكفير عن الذنب والتوبة. ويبدو أنّ نيتشه يريد المرور من معنى "التكفير عن الذنب" إلى معنى تحمّل العواقب ومن ثمّة القبول بالمعاقبة أو الرغبة في المعاقبة.

لفظة "العدالة" بألستهم كلعاب مسموم، لسان سليط على الدوام، جاهز على الدوام لأن يبصق على كل ما لا يبدو ساخطا ويسلك طريقه بروح عالية. وبينهم لا نعدم أيضا ذلك النوع المقرّر جدا من المغترّين، المشوّهين جبلة الكاذبين، الذين يوجدون لتمثيل دور "النفوس الراضية"، ويدفعون إلى السوق بشهوتهم الفاسدة، وقد صيغت في قصائد وأقمطة أخرى، بوصفها ضربا من "طهارة [370] القلب": فصيلة الاستمناء الأخلاقي و"الإشباع الذاتي"¹. إن إرادة المرضى لأنّ يمثلوا أي شكل من التفوّق كائنا ما كان، ميلهم الغريزي للطرق الملتوية، التي تقود إلى الطغيان على الأصحاء، - أي مكان يخلو من هذه الإرادة تحديدا، إرادة المرضى للاقتدار! المرأة المريضة بالخصوص: لا أحد يفوقها تفتّنا إذ هي تسود وتشدّ وتطغى. لذلك فإنّ المرأة المريضة لا ترفق بشيء، لا حيّا ولا ميتّا، إنّما تنبش من جديد عن أعماق الأشياء الدفينة (وكما يقول قوم البوغوس²: "ما أشبه المرأة بالضبع"). فليلقي المرء ببصره في سراديب كلّ عائلة وكلّ هيئة³ وكلّ جماعة⁴: أينما ولّى وجهه يرى صراع المرضى ضدّ الأصحاء، - صراع صامت في الغالب بعبوات صغيرة مسمومة، بوخزات الإبر، بملامح شهيد مضلّلة، ولكن أيضا بين الفينة والأخرى بذلك النحو من مُراء⁵ المرضى ذي الحركات الصاخبة، الذي يتظاهر بمشاعر "السخط النبيل" كأحسن ما يكون. حتّى في داخل الرحاب المقدّسة للعلم، يرغب صوت في أن يجعل نفسه مسموعا، نباح السخط المبحوح للكلاب المريضة، الإفك والحقنّ العقور لأولاء المرائين "النبلاء" (- وأنا أذكّر، مرة أخرى، من له آذان من القراء، بذلك البرليني أوغن دوهرينغ⁶، حواريّ الثأر، الذي يقوم بأقبح وأمقت استعمال للشطحات⁷ الأخلاقية في ألمانيا الراهنة: إنّ دوهرينغ هو أكبر متشدّد أخلاقي وُجد في يوم من الأيام، حتّى بين

1 - "Selbstbefriediger". وضع نيتشه هذه اللفظة بين ظفرين تلميحاً إلى المعنى المجازي في العبارة في اللغة العادية (أي معنى الاستمناء).

2 - die Bogos

3 - Körperschaft

4 - das Gemeinwesen

5 - der Pharisäismus

6 - Eugen Dühring. قارن: المقالة II، 11.

7 - Bumbum. رقص أو طلسم ديني.

أمثاله، من المعادين للسامية¹). إنَّما هم كلَّهم أصحاب² ضغينة، هؤلاء الذين بليت جسمهم وعمل فيها الدود، تربة³ مهزوزة تماماً لثأر دفين، لا يحمَد ولا تُروى له غلَّة في سوراته ضدَّ السعداء كما في أقنعة الثأر وفي ذرائع الثأر: فأتى لهم أن يفوزوا حتَّى بأقصى وألطف وأروع ما يمكنهم من الظفر بالثأر؟ ذاك بلا ريب، متى أفلحوا في دسِّ بؤسهم الخاص، وكلِّ البؤس بعامة، في ضمير السعداء: بحيث يبدأ هؤلاء يوماً ما في الخجل من سعادتهم وربما [371] في الهمس فيما بينهم: "إنَّه من العار أن يكون المرء سعيداً! ثمة بؤس كثير!"... بيد أنَّه لن يوجد أبداً سوءٌ فهم أكبر وأشنع من أن يبدأ السعداء والأسوياء والمقتدرون جسداً ونفساً، في الارتياح من حقِّهم في السعادة. بُعداً لهذا "العالم المقلوب"! تَبَّ لهذا التنعم المخجل للشعور! على المرضى ألاَّ يجعلوا الأصحاء مرضى - وهل يكون هذا إلَّا ذلك النحو من التنعم - هذا أمر يجب أن يكون هو وجهة النظر العليا على الأرض: - بيد أنَّ ذلك يقتضي قبل كلِّ شيء أن يظلَّ الأصحاء مفصولين عن المرضى، بل حتى محمَّتين من رؤية المرضى، أنَّ عليهم ألاَّ يختلطوا مع المرضى. أم أنَّ مهمَّتهم هي بوجه ما أن يكونوا ممرَّضين وأطباء؟... غير أنَّه لن يمكنهم أن يجهلوا المهمة التي تخصُّهم أو يتنكروا لها على نحو أسوء من ذلك أبداً، - لا يجب على الأعلى أن ينحطَّ إلى أداة للأسفل، إنَّ الشعور بالمسافة⁴ إنَّما يجب أيضاً منذ أبد الأبد أن يفصل بين المهتمات فصلاً بعيداً! إنَّ حقَّهم في أن يكونوا، وكذا هو فضل الجرس الذي له صوت رخيم على الذي به نشار وتصدع، هو أكبر آلاف المرات: إنَّهم هم وحدهم كفالة المستقبل، هم وحدهم عليهم واجبٌ ما إزاء مستقبل البشر. إنَّ ما يمكن لهم وما يجب عليهم، لا ينبغي أبداً أن يكون ممكناً للمرضى أو واجبا عليهم: بيد أنَّه حتى يمكن لهم ذلك الذي عليهم هم وحدهم يجب، أتى يجوز لهم من بعد أن يجعلوا من أنفسهم بمثابة الطبيب والمعزِّي و"منقذ" المرضى؟... لذا اطلبوا الهواء النقي! الهواء النقي! وعلى كلِّ حال أنأوا بأنفسكم عن مجاورة بيوت المجانين ومستشفيات الحضارة!

1 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 251.

Menschen - 2

Erdreich - 3

4 - عالم صنعته ظواهر "الضغينة" و"الضمير الشقي"، والمثل العليا النَّسكية، التي هي أحداث خيالية وروحانية. قارن: المقالة I، § 7، والمقالة II، § 18.

5 - قارن: المقالة I، § 2؛ ما وراء الخير والشر، § 257.

ولذا اطلبوا الصحة الجيدة، صحبتنا نحن! أو الوحدة، إن لزم الأمر! ولكن أنا وأنت على كل حال بأنفسكم عن الأبخرة الكريهة للفساد الباطني والدود الخفي الذي يأكل المرضى!... حتى نستطيع نحن أنفسنا، يا أصدقائي، أن ندافع عن أنفسنا، على الأقل لبعض الوقت، ضد أسوأ وباءين من المحتمل أنه تم آذخارهما لنا خصيصاً، [372]- ضد الاشتزاز الكبير من الإنسان! ضد الشفقة الكبرى على الإنسان!...

15.

هل تصوّر المرء بكلّ عمق - وأنا أشرت على المرء أن يأخذ الأمر عميقاً، أن يتصوّر عميقاً- بأيّ وجه لا يمكن البتة أن تكون من مهمة الأصحاء أن يمرضوا المرضى، أن يجعلوا من المرضى أصحاء، إذن سيكون عليه أن يتصوّر أيضاً ضرورة أخرى، - ضرورة أن يوجد أطباء وممرضون، يكونون مرضى هم أنفسهم: وها نحن الآن نتوقّر ونقبض على معنى الكاهن المتنسك بكلتا يدينا، إنّما شأن الكاهن المتنسك أن يسوغ عندنا بوصفه المخلص المبعوث، الراعي والحامي للقطيع المريض: بذلك فحسب نحن نفهم رسالته التاريخية المهيبة. السيطرة على المعذبين هي مملكته، عليها دلّته غريزته، وفيها يجد فنه الأخصّ، سيادته وشكل السعادة الذي من شأنه. ينبغي أن يكون هو ذاته مريضاً، ينبغي أن يكون في أعماقه على قرابة مع المرضى والخاسرين حتى يستطيع أن يفهمهم، - حتى يستطيع أن يتفاهم معهم؛ بيد أنّه عليه أيضاً أن يكون قوياً، سيّداً على نفسه أكثر ممّا هو على غيره، سليماً على الخصوص في إرادته للاقتدار، حتى يحصل على ثقة المرضى وعلى خوفهم، حتى يمكنه أن يكون لهم سنداً، مقاومة، غطاءً، إلزاماً، مؤدّباً، طاغية أو إلهاً. إنّ عليه أن يدافع عن قطيعه- ضدّ من؟ ضدّ الأصحاء؛ إنّ عليه أن يكون خصماً ومحتقراً بالطبع لكلّ ما هو صحّة ومقدرة لغاشمة، جارقة، منفكة من كلّ قيد، وعرة، عنيفة كالحوانات المفترسة. إنّما الكاهن هو أول شكل من الحيوان الذي بات أكثر رقة ولطفاً، الذي لا يزال أيسر عنده أن يحتقر من أن يكرهه. لن يكون بإمكانه أن يتجنّب خوض الحرب ضدّ الحيوانات المفترسة، حرباً في المكر (في "الروح"²) أكثر منها في العنف، كما الأمر من

Mächtigkeit - 1

2 - عن "الروح" كمصطلح نشط ومفكر، انظر: ما وراء الخير والشر، § 44؛ أقول الأصنام، "تسكعات" غير موافق للعصر""، § 14. وكذلك المقالة I، § 7.

نفسه [373] يُنْهَم، - لذلك سيكون عليه في بعض الحالات أن ينشئ في نفسه تقريبا نمطا جديدا من الحيوان المفترس، أو على الأقل أن يأخذ الأمر بهذا المعنى، - نحوا جديدا من مخافة الحيوان، حيث يظهر الدب الأبيض والنمر المرقط الصبور المرن البارد الجفن والثعلب وهو ليس بأقلهم قد اجتمعوا في وحدة رائعة بقدر ما هي مريعة. ومتى دفعته الحاجة، فإنه يتقدم مجداً كالـدب، مُهاباً، حذراً، بارداً، مستعلياً على نحو زائف، بشيراً على فمه تنطق القوى الخفية، بين ظهرائي ذلك الضرب الآخر من الحيوانات المفترسة ذاتها، عاقداً العزم على أن يبذر على هذه التربة ما أمكنه من ألم وشقاق وتناقض مع النفس، ومن فرط ثقته بفثته، أن يصبح على المعذبين في كل وقت سيّداً. إنه يحمل معه المرهم والبلسم، ليس في ذلك من شك؛ بيد أنه عليه أولاً أن يجرح حتى يكون من بعد طيبياً؛ ومن حيث ما يسكن الألم، الذي يحدثه الجرح، هو يستم الجرح في نفس الوقت - ذلك قبل كل شيء ما حذقه حذقا خاصا، هذا الساحر ومروض الحيوانات المفترسة، الذي في جواره يصبح كل صحيح بالضرورة مريضاً وكل مريض بالضرورة مُدجّنا ومطيعا. هو في الواقع يدافع جيّداً بما فيه الكفاية عن قطيعه المريض، هذا الراعي المتوحد، - هو يدافع عنه أيضا ضد نفسه، ضد اللؤم¹ والخبث وسوء النية² الكامن في صلب القطيع ذاته وكل ما هو خاصّ تماما بالمدمنين والمرضى فيما بينهم، هو يجاهد في حذر وشدة وخلصة ضد الفوضى وضد الانحلال البادي داخل القطيع في كل لحظة، حيث ما فتئت الضغينة، هذه المادة الناسفة المتفجرة، تتراكم وتتراكم على الدوام. أن يفرغ³ هذه المادة الناسفة بحيث هي لا تفجر القطيع ولا الراعي، تلك هي براعته، كما فائدته القصوى؛ ومتى أراد المرء أن يستجمع قيمة الوجود الكهنوتي في صيغة مختصرة، إذن حسبه أن يقول: إن الكاهن هو مغير اتجاه الضغينة. كل معذب إنما يبحث بالغريزة عن علة ما لعذابه؛ وعلى نحو أدق، عن فاعل ما، وبشكل أكثر تعيينا، [374] عن فاعل مذنب مستعد للعذاب، - باختصار، عن أي كائن حيّ اتفق، عليه يمكن، فعلاً أو تمثيلاً، متعللاً بأي تعلقة كانت، أن يفرغ مشاعره؛ ذلك بأن تفرغ المشاعر

Schlechtigkeit - 1

Böswilligkeit - 2

entladen - 3. فرغ السلاح من ذخيره.

in effigie - 4. في صورة أو تمثال.

die Affekte - 5

إنّما هو محاولة التخفيف- بل محاولة التخدير الكبرى للمعذب، مخدّره المطلوب عن غير قصد ضدّ أيّ وجع من هذا النوع. في هذا فحسب، حسب تقديري، يكون علينا أن نعثر على الأسباب الفزيولوجية الفعلية للضعينة، للتأّر ولما هو من جنسه، في رغبة ما إذن نحو تخدير الأوجاع بالمشاعر: - عنها يبحث المرء عموماً، وهو مخطئ في ذلك جدّاً، حسبما يبدو لي، في ضربة دفاعيّة، في تدبير وقائي لردّ الفعل، في "حركة انعكاسية" في حالة عدوان أو تهديد خاطف بأيّ شكل اتفق، على شاكلة ما يمكن لضفدع بلا رأس أن يقوم به، حتى يتخلص من مادة حمضية حارقة. إلّا أنّ الفرق بين الأمرين ضارب في العمق: ففي إحدى الحالتين، يريد المرء أن يمنع إمكانية أن يصبح العطب أكثر اتساعاً؛ أمّا في الأخرى، فيريد المرء أن يحدّر ألماً موجعاً، خفياً، صار ممّا لا يُحتمل، وذلك بواسطة انفعال أكثر حدّة من أيّ نوع اتفق، وأن يبعده من الوعي على الأقلّ في تلك اللحظة، - وهو أمر يحتاج فيه المرء إلى مشاعر، هي من أكثر المشاعر توخّشاً، ومن أجل إثارتها، إلى أوّل ذريعة جيّدة. "ينبغي على أحدهم أن يكون مذنباً عن كوني أشعر بالسوء" - هذا النحو من الاستنتاج هو أمر خاصّ بكلّ المرضى، وذلك بقدر ما يظلّ السبب الحقيقي لشعورهم بالسوء¹، أي السبب الفزيولوجي، محجوباً عنهم (ربّ سبب يمكن أن يكمن في مرض الـ *nervus sympathicus* أو في إفراز مفرط للمرارة، أو في فقر الدم من البوتاسيوم الكبريتي والفسفوري أو في غازات في البطن تسدّ دورة الدم، أو في تشوّه المبيض وما شابه). إنّ شأن المعذبين كافة أن يكونوا على قدر من الاستعداد المفزع لاختلاق الذرائع في خدمة مشاعرهم المؤلمة؛ بل هم لا يتورعون عن التمتع بوسائهم وبإغراق الفكر في [375] الحباث و كلّ ما يكدر الصفو في الظاهر، وهم يقدّرون في أحشاء ماضيهم وحاضرهم عن قصص مريبة مظلمة، حيث يمكن لهم أن يغمسوا في شكوكهم الموحجة وأن يشملوا بالسموم المنبعثة من خبثهم الخاص - هم يفتحون أقدم الجروح، وينزفون من الندوب التي مضى على الثامها زمن طويل، ويجعلون من كلّ من يحيط بهم، صديقاً كان أو امرأة أو طفلاً، جناةً وأشراراً. "أنا أتألم؛ إذن لابدّ أن يكون أحدهم² هو المذنب والمتسبّب³ في ذلك" - كذا تفكّر كلّ شاة مريضة. لكنّ الراعي، الكاهن المنتسك، يقول لها: "أنت على حقّ،

das Sich-Schlecht-Befinden - 1

Jemand - 2

an etwas schuld sein - 3

يا شاقى! إنَّ أحدهم¹ لابد وأن يكون هو المذنب والمتسبب في ذلك: لكنك أنت هي أحدهم هذا²، أنت وحدك هي المذنب في ذلك - أنت وحدك هي المذنب في حق نفسك! "... هذا قول متبادٍ بما فيه الكفاية، باطل بما فيه الكفاية؛ لكن شيئا واحدا هو بذلك على الأقل قد تحقق، أن وجهة الضغينة، كما قلنا، هي بذلك - قد تغيرت.

16.

إنَّ المرء يحرز منذ الآن ما هو الأمر الذي كانت الغريزة الاستشفائية للحياة على الأقل، حسب رأيي، تطمح إليه عبر الكاهن المنتسك ولأني غرض كان عليه أن يستخدم الطغيان المؤقت لهذا النوع من المفاهيم المتناقضة والمغالطة من قبيل "الذنب" و"الخطيئة" و"النزوع إلى الخطيئة"³ و"الفساد" و"اللعنة": أن يجعل المرضى غير مضرين إلى حدٍّ معين، ومن لا شفاء لهم يدمرون أنفسهم بأنفسهم، والأخف مرضاً يولون وجوههم نحو أنفسهم بكل صرامة، ويوجهون ضغينتهم ضد أنفسهم ("إنَّ شيئا واحدا لا بد منه"⁴) - ومن ثم أن يستفيد من الغرائز الرديئة لكل المعذبين بهدف ضبط النفس ومراقبة النفس ومجازة النفس. لا يمكن أبدا، كما هو مفهوم من نفسه، أن يتعلّق الأمر مع "تطبيب" من هذا النوع، مجرد تطبيب عاطفي، بضرب حقيقي من الشفاء في المعنى الفزيولوجي [376]؛ ولا يحقّ للمرء حتى أن يزعم يوما ما أن غريزة الحياة هي بذلك وبأي شكل اتفق قد أملت في الشفاء أو كان لها مقصدا. ضرب من الحشد والتنظيم للمرضى من جهة أولى (- وإنَّ لفظة "كنيسة" هي الاسم الأكبر شعبية لهذا الأمر)، وضرب من التأمين المؤقت على من كانوا في صحّة جيّدة وعافية موفورة من جهة أخرى، ومن ثم فتح هوة ما بين الصحة والمرض - ذلك كان كلّ شيء لأمد طويل! وكان شيئا كثيرا! كان شيئا كبيرا جداً! أنا أذهب في هذه المقالة، كما ترون، من فرضية ليس عليّ أن أبرّرها بالنسبة إلى نوع القراء الذين

1 - irgend wer

2 - dieser Irgend-Wer

3 - Sündhaftigkeit

4 - عبارة إنجيلية متواترة لدى نيتشه. قارن: إنجيل لوقا، 10: 42. وكذلك: التصدير، § 8؛ المقالة III، 16.

5 - "Medikation"

أحتاج إليهم: أنّ "النزوع إلى الخطيئة" هو في الإنسان ليس بالأمر الواقع، بل على الأرجح هو تأويل فحسب لأمر واقع، نعني لضرب من الخلل الفزيولوجي، - هو بدوره منظور إليه من منظور أخلاقي-ديني لم يعد له عندنا أيّ طابع إلزامي. - أنّ أحداً يشعر بأنّه "مذنب" أو "ارتكب خطيئة"¹، هو أمر لا يبرهن بعدُ إطلاقاً على أنّه محقّ في هذا الشعور؛ كما أنّ أحداً لا يمكن أن يكون في صحّة جيّدة لمجرد أنّه يشعر بأنّه في صحّة جيدة. على المرء أن يذكّر المحاكمات الشهيرة للساحرات: ففي ذلك الوقت لم يكن القضاة الأشدّ فطنة والأكثر محبةً للنوع البشري يشكّون في أنّ الشيء الذي كان تحت أيديهم هو ذنبٌ وإثمٌ؛ لم تكن "الساحرات" ذاتها تشكّ في ذلك، - وعلى ذلك كان الذنب منعدماً. - كي نعبّر عن هذه الفرضية بشكل أوسع نطاقاً نقول: إنّ "ألم النفس"² ذاته لا يسوغ عندي على العموم بوصفه أمراً واقعاً، بل بوصفه تأويلاً³ فحسب (تفسيراً سببياً) لوقائع لم تُصعّ إلى حدّ الآن على نحو دقيق؛ ومن ثمّ بوصفه شيئاً ما لا يزال يتأرجح تماماً في الهواء وغير ملزم من الناحية العلمية، - كلمة بدينة، في حقيقة الأمر، أخذت فقط مكان نقطة استفهام نحيلة. إذا لم يتغلّب أحدهم على ما يعتريه من "ألم النفس"، فإنّ ذلك، متى تكلمنا بشكل فظّ، ليس راجعاً إلى "نفسه"؛ بل هو راجع أكثر على الأرجح إلى بطنه (حتى نتكلّم بشكل فظّ، كما قلنا؛ على أنّ ذلك لا يعبرّ أبداً عن الرغبة في أن نفهم أيضاً بشكل فظّ، [377] أو نُسمّع بشكل فظّ...) إنّ إنساناً قوياً وسويّ الخلقة إنّما شأنه أن يهضم تجارب حياته⁴ (ما فعله وما لم يفعله أيضاً) كما يهضم وجبات غذائه، حتى وإن كان عليه أن يتلّع لُقماً يشرق بها ويغصّ⁵. فإذا هو "لم يفرغ" من تجربة ما، فإنّ هذا النحو من سوء الهضم هو فزيولوجي مثل أيّ أمر آخر - وعلى الأكثر هو في واقع الأمر واحدة من نتائج الآخر. - بهذا النوع من التصور، لنقل ذلك فيما بيننا، يمكن للمرء أن يكون وأن يظلّ دوماً العدوّ للدود لكلّ مادّيّة...]

sündig - 1

der seelische Schmerz - 2

Auslegung - 3

Causal-Auslegung - 4

die Seele - 5

seine Erlebnisse - 6

7 - فا: المقالة II، § 1.

ولكن هل أنّ هذا الكاهن المتنسك هو طيب حقاً؟ - لقد فهمنا بعدُ بأيّ وجه يكاد يكون من غير المسموح أن يُسمّى طبيياً، وإن كان يشعر عن طيب خاطر بأنّه "مخلّص"، ويقبل أن يُبجّل بوصفه "مخلّصاً". إنّ الألم ذاته وغمّ المتألم هو فقط ما يقوم بمحاربته، وليس علته، وليس الكينونة المريضة¹ في حقيقتها، - هذا أمر ينبغي أن يمنحنا الاعتراض الأساسي الأكبر ضدّ التطبيب الكهنوتي. بيد أنّه لو وضعنا أنفسنا مرة واحدة ضمن المنظور الذي يعرفه الكاهن ويختصّ به دون غيره، فإنّه لن يكون من السهل على المرء أن يكفّ عن التعجّب من كلّ هذه الأشياء التي رآها من خلاله ويبحث عنها ووجدها. تسكين الألم و"المواساة" من كلّ نوع، - ذلك ما ينكشف بوصفه عبقريته الخاصة بعينها؛ كم كان ماكرا في فهم مهمّة المساواة التي تميّز بها، كم كان غير متحرّج وجريئاً في اختيار الوسائل المطلوبة لتلك المهمة! إنّ المسيحية على الخصوص إنّما يحقّ لنا أن ندعوها مخزناً كبيراً للوسائل العزاء الروحي الأكثر ثراءً، كم من الأشياء المنعشة والمسكّنة والمخدّرة قد تراكمت فيها، كم من الأشياء الخطيرة والجريئة قد غامرت بها لهذا الغرض، وعلى أيّ نحو متلطّف، على أيّ نحو مهذّب، مهذّب كأهل الجنوب، كانت قد حزرت على الخصوص المشاعر المؤثرة² التي بها يمكن الانتصار، ولو لبعض الوقت، على الانهيار العصبي العميق والكلل الثقيل والحزن الأسود للمكبوتين فزيولوجياً³. [378] إذ يمكن القول بعامة: إنّ الأمر في كلّ الأديان الكبرى قد تعلّق في الأساس بمحاربة ضرب معيّن من الكلل والثقل الذي تحوّل إلى وباء. ويمكن للمرء أن يثبت بديّاً كأمر جدّ محتمل أنّه من وقت إلى آخر وفي مواقع معيّنة من الأرض وبشكل يكاد يكون لازماً إنّما ينبغي أن يسود شعور بالكبت الفزيولوجي على جموع واسعة النطاق، هو على ذلك، ونتيجة نقص في المعرفة الفزيولوجية، لا يبلغ بها هو كذلك إلى حيّز الوعي، بحيث أنّ "العلة" المسببة له والدواء الذي من شأنه لا يمكن أيضاً أن يُبحث عنهما أو أن يُجرّباً إلّا على صعيد نفسيّ وأخلاقي (- هذه هي معادلتنا العامة فيما يتعلق بهذا الذي يُسمّى على الجملة "ديناً"). ويمكن لهكذا

das Kranksein - 1

die Stimulanz-Affekten - 2

Physiologisch-Gehemmten - 3

شعور بالكبت أن يتأتى من أصول¹ شتى؛ على سبيل المثال بوصفه نتيجة للتقاطع بين أعراق غربية عن بعضها البعض² (أو طبقات³ - فالطبقات إنَّها تعبر أيضاً على الدوام عن الاختلافات في الأصول والأعراق؛ فإنَّ "الكتابة" الأوروبية و"تساؤمية" القرن التاسع عشر هي في جوهرها نتيجة ناجمة عن مزج للطبقات مفاجئ وغير معقول)؛ أو مرتبط بهجرة معيبة - عرق ينزل في مناخ يتخطى قدرته على التأقلم (كما حالة الهنود في الهند)؛ أو أثر من الأسلاف وضرب من الكلل الذي أصاب عرقاً ما (التساؤم الباريسي حوالي 1850)؛ أو حمية خاطئة (الإدمان على الخمر في العصور الوسطى؛ وعبث الـvegetarians⁴ الذين يحتجون من غير شك بمكانة الشريف كريستوف لدى شكسبير⁵)؛ أو من دم فاسد، ملاريا، سفيليس⁷، وما شابه (اكتئاب⁸ ألمانيا بعد حرب الثلاثين الذي لوَّث نصف ألمانيا بالأمراض المعدية ومن ثمَّ هتأ الجسد للعبودية الألمانية والصَّغار⁹ الألماني). في كلِّ واحدة من هذه الحالات يخوض الناس، في كلِّ مرة وبأضخم الأساليب، صراعات شعور ما بالقلق¹⁰؛ ولتقف بسرعة على أهمِّ ممارساته وأشكاله. (وأنا هنا سأترك جانباً بالكلية، كما هو من العدل، ذلك الصراع الحقيقي للفلاسفة ضدَّ الشعور بالقلق، والذي كان يجري عادةً في نفس الوقت على الدوام [379] - هو¹¹ مثير للاهتمام كفاية، إلَّا أنَّه جدُّ عبثي، جدُّ لامبال على الصعيد العملي، جدُّ وإِه كنسج العنكبوت¹² وأشبه بمتسكع، مثلاً أنَّه يجب البرهنة على أنَّ الألم لا يعدو أن يكون ضرباً من الخطأ، بناءً على افتراض ساذج بأنَّ الألم إنَّما ينبغي له أن

Abkunft - 1

2 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 208.

Ständen - 3

4 - "der Weltschmerz". بالمعنى الحرفي هو: "ألم العالم".

5 - بالانجليزية في النص: "النباتيون"

6 - قارن: شكسبير، Twelfth Night/ليلة عيد الغطاس، المشهد I، المقطع 3.

Malaria, Syphilis - 7

Depression - 8

der Kleinmuth - 9

das Unlustgefühl - 10

11 - er. الضمير يعود على "الصراع" (der Kampf).

12 - spinneweberisch - 12

يزول بمجرّد ما تتم معرفة الخطأ الذي يحتوي عليه- ولكن يا للعجب! لقد كان على حذر من أن يزول... (بخوض المرء، أولاً، صراعاً ضدّ هذا القلق الغالب بوسائل من شأنها أن تُنزل الشعور بالحياة بعامة إلى أدنى درجة. إذا أمكن عموماً الكفّ عن أيّ إرادة، عن أيّ رغبة؛ تفادي كلّ ما يثير المشاعر، كلّ ما يصنع "الدم" (الامتناع عن أكل الملح: حمية الدراويش الهنود¹)؛ ألاّ نحبّ ولا نكره؛ الاعتدال؛ ألاّ ننثار ولا نثرى ولا نعمل؛ بل نشحذ؛ وإذا أمكن لا امرأة أو أقلّ ما يمكن من المرأة؛ من ناحية روحية أن نأخذ بمبدأ باسكال "il faut s'abêtir"². أمّا النتيجة، متى عبّرنا عنها بشكل نفسياني وأخلاقي، فهي: "تكرار الذات"³ و"التقديس"؛ وأمّا إذا عبّرنا عنها على نحو فزيولوجي فهي: التنويم، - محاولة أن نبلغ إلى شيء يكون بالنسبة إلى الإنسان قريباً من النوم الشتوي لدى بعض الأنواع من الحيوان والنوم الصيفي لدى كثير من نباتات المناخات الحارة، حدّ أدنى من الاستهلاك وتبادل المادة⁴، معه لا تتعدى الحياة مجرد البقاء على قيد الحياة، دون أن تعود إلى الوعي. من أجل هذا الهدف كان قد استُخدم كمّ هائل من الطاقة البشرية - هل كان ذلك سدى؟... أن هؤلاء sportsmen⁵ "القداسة"، الذين تعجّ بهم كلّ العصور وتقريباً كلّ الشعوب، هم في واقع الأمر قد وجدوا طريقهم إلى خلاص فعليّ تماماً كانوا يصارعون ضده بواسطة⁶ training على هذا القدر من الصرامة، ذلك أمر لا ريب فيه، - لقد تخلصوا فعلاً من ذلك الانهيار الفزيولوجي العميق في حالات شتى، وذلك من خلال الاستعانة بمنظومتهم عن وسائل التنويم؛ ولهذا فإنّ منهجيتهم إنّما تُعدّ من الوقائع الانتولوجية الكونية. كذلك لا يجوز أبداً أن نعتبر أنّ هذا النوع من القصد إلى تجويع البدن والرغبة هو في ذاته عارض على الجنون (كما يوّد أن يفعل رهط

1 - der Fakir. الدراويش أو الناسك الهندي.

2 - بالفرنسية في النص الألماني: "على المرء أن يتحامق". هذا تلخيص لكلام باسكال وليس شاهداً دقيقاً، يعود إلى الفكرة 418 (كتاب الفكر، نشرة Lafuma). قارن: الفجر، § 192.

3 - Entselbstung

4 - Stoffwechsel. تحوّل الغذاء إلى طاقة.

5 - بالانجليزية في النص الألماني: "الرياضيون"، "أبطال المصارعة".

6 - بالإنجليزية في النص الألماني: "التدريب". - علينا أن نرى هنا اجتهاد نيتشه في إعادة المثل "النسكية" إلى مصدرها "الرياضي" أو "الأسكيطيقي" (asketisch) من "askētēs" باليوناني أي "الرياضة" و"التدريب". قارن: المقالة III، 21؛ المسيح المضاد، § 51.

غير لبق من "المفكرين الأحرار"¹ آكلي البقر المشوي والأشراف من آل كريستوف [380]). لكن الأمر الأوكد هو أنّ ذلك يفتح أو يمكن أن يفتح الطريق نحو الاضطرابات العقلية بكلّ ألوانها، نحو "الأنوار الباطنية"² على سبيل المثال، كما لدى الهازيشاست³ من جبل أثوس⁴، نحو هلوسة الأصوات والأشباح، نحو فيوضات الشهوة ومواجيد الحس (قصة القديسة تريزا⁵)، أمّا التفسير⁶ الذي يعطيه المصابون بهذا النوع من الأحوال، فهو دوماً مهووس وخاطيء كأقصى ما يكون، ذلك أمر بيّن بنفسه؛ ولكن علينا ألاّ نتغاضى عن نبرة العرفان الجميل التي تنهاى إلى أسماعنا حتى في صلب إرادة هكذا ضرب من التفسير. إنّ الحال الذي ليس فوقه حال، الخلاص بعينه، هذا التنويم الكامل والسكون الذي تمّ إدراكه في نهاية الأمر، إنّما يسوغ عندهم على الدوام بوصفه اللغز في ذاته، الذي عبارته تضيق حتى عن الرموز الأعلى شأواً، بوصفه ضرباً من حظّ الرحال والعودة إلى الوطن الثاوي في أعماق الأشياء، بوصفه اعتاقاً من كلّ وهم أو هوس، بوصفه "معرفة"، بوصفه "حقيقة"، بوصفه "كينونة"، بوصفه تخلصاً من كلّ هدف وكلّ أمنية وكلّ عمل، بوصفه أيضاً ضرباً من ما وراء الخير والشر. "الخير والشر، كذا يقول البوذي، - هما الاثنان قيدان؛ وإنّما على الاثنين يكون الكامل سيّداً"؛ "ما أنجز وما لم يُنجز، كذا يقول معتقد الفيدانتا⁷، لا يُحدث له ألماً؛ وهل كان حكيماً إلاّ بأنّه أسقط عن نفسه الخير والشر؛ ليس ثمة من صنيع قد يقلقل مملكته؛ فإنّما بما وراء الخير والشر، بما وراء ذنوك معاً تعلّقت همته". - هذا تصوّر شائع في الهند كلّها، أكان ذلك لدى البراهمة أم لدى البوذيين. (لا في ذهنية الهنود ولا في ذهنية المسيحيين يسوغ هذا "الخلاص" بوصفه شيئاً يمكن أن يُدرَك بواسطة الفضيلة، بواسطة إصلاح الخلق، مهما كانت القيمة التنويمية للفضيلة أيضاً مقرّرة عندهم: على المرء أن يذكر هذا

1 - Freigeister. علينا أن نأخذ هذا المصطلح في معنى ساخر، حيث يشير على الأرجح إلى شخصية "المتزندق" أو المتحرر بشكل فجّ أو الملحد العامي الذي لا يسلم هو بدوره من مبضع "تأويلات" نيتشه.

2 - zu "inneren Lichtern"

3 - die Hesychasten

4 - Athos

5 - Therese

6 - Auslegung

7 - Vedānta

الأمر بقوة، - إن هذا لا يعدو أن يكون مطابقاً لأمر واقع فحسب. أن يبقى المرء من أهل الحق في هذا الأمر، إنما ينبغي على الأرجح أن يُنظر إليه بوصفه أحسن أمانة على الواقعية في الديانات الثلاث الكبرى، التي أصابها عدوى الأخلاق¹، كما جرت العادة، إلى حدّ النخاع². "بالنسبة إلى العارف ليس هاهنا من واجب..." "ليس من زيادة الفضائل [381] يأتي الخلاص: إذ هو يكمن في التوحد مع البراهما³ الذي لا يحتاج إلى مزيد كمال؛ ولا من ترك الرذائل؛ ذلك بأن البراهما، هذا الذي التوحد معه هو ذلكم الأمر⁴ الذي يصنع الخلاص، إنما هو محض ظهور⁵ أبداً" - هذه المواضع من شرح السانكرا⁶، أوردها أول عارف حقيقي بالفلسفة الهندية في أوروبا، صديقي بول دويسن⁷. علينا إذن أن نحفظ شرف "الخلاص" في الديانات الكبرى؛ بيد أنه سيكون من الصعب علينا بعض الشيء أن نأخذ بجذ ذلك التقدير الذي حظي به النوم العميق لدى هؤلاء المتعبين من الحياة الذين صاروا متعبين إلى حدّ العجز عن الحلم - ذلك النوم العميق بوصفه فناءً في البراهما، بوصفه الـ *unio mystica*⁸ التي تحققت مع الإله. "إذا نام كليّةً - كما أشيع عن ذلك في أقدم "كتابة" وأقدسها - وبلغ من السكينة أقصاها، بحيث لا يمكن لأيّ رؤيا أن تلوح له، فإنه عندئذ، يا عزيزي، قد اتحد مع الموجود، وتغلغل في ذات نفسه، ملفوفاً في ذاته العارفة فلم يعد له أيّ وعي بما يوجد في الخارج أو في الداخل. ذلك جسر لا يجتازه ليل ولا نهار ولا هرم ولا موت ولا عذاب ولا عمل صالح ولا عمل طالح". "في النوم العميق، كذا يقول المؤمنون بهذه الديانة التي هي أعمق الديانات الثلاث الكبرى، ترتفع النفس خارج هذا البدن، تدخل في النور الأعلى وتبرز عندئذ في صورتها الخاصة؛ وهناك تكون هي الروح العليا ذاتها، التي تجول وهي تمرح وتلعب وتطرب، أكان ذلك مع النساء أو في المراكب أم في صحبة الأصدقاء، لم تعد تشغلها هذه

1 - *vermoralisirt*

2 - قارن: إنساني، مفرط في إنسانيته I, § 141.

3 - *Brahman*

4 - *...mit dem Eins zu sein Das ist, was*

5 - *rein*

6 - *Çankara*

7 - *Paul Deussen*

8 - باللاتينية في النص: "الوحدة الصوفية".

الروابط بالبدن الذي شدّ إليه *prāna* (نفس الحياة) كما دابة الجرّ إلى العربة. "وعلى ذلك، علينا هنا أيضاً، كما في حالة "الخلاص"، أن نجعل هذا الأمر حاضراً في الأذهان، ألا وهو أنّ ما يعبر عن نفسه هاهنا، وإن كان ذلك في روعة المبالغة الشرقية، هو لا يعدو أن يكون في واقع الأمر غير عين التقدير الذي كان لدى الواضح، البارد، البارد على نحو يوناني [382]، ولكن المعذب أبيقور²؛ الشعور بالعدم بوصفه منوماً، سكينّة النوم العميق، وباختصار انعدام الألم - ذلك ما يمكن أن يسوغ عند المعذبين والمصابين في أعماقهم بوصفه هو الخير الأسمى، بوصفه قيمة القيم، ما ينبغي أن يُقدّر من قبلهم بوصفه أمراً موجباً، بوصفه الأمر الموجب بحدّ ذاته. (وبمقتضى منطق الشعور ذاته فإنّ العدم في كلّ الديانات التثاؤمية إنّما يسمّى الله.)

18.

على نحو أكثر تواتراً بالكلية من هكذا خنق تامّ ومنوم للحساسية وللقدرة على الألم، الذي يفترض بعد قوَى استثنائية، وقبل كلّ شيء شجاعةً وازدراءً للرأي السائد وضرباً من "الرواقية العقلية"، تمّت محاولة training آخر ضدّ هذه الحالة من الانهيار العصبي، هو على كلّ حال أيسر وأخفّ مثونة: إنّهُ النشاط الآلي³. أنّه معه إنّما يتمّ الترويح عن كيان معذب⁴ على نحو ملموس، فذلك أمر لا تتطرّق إليه ذرّة من الشك: والمرء اليوم يسمّى هذه الواقعة، على نحو لا يخلو من خداع، "نعمة العمل". ويتمثّل الترويح في هذا، أنّه يصرف اهتمام المعذب كليّةً عن عذابه، - أنّ فعلاً واحداً ثمّ فعلاً واحداً فقط إنّما يبرز في الوعي باستمرار، وبالتالي لا يبقى من مكان للعذاب إلّا قليلاً؛ ذلك بأنّها ضيّقة، حجرة الوعي الإنساني هذه! إنّ النشاط الآلي وما يدخل في نطاقه - من قبيل الانتظام المطلق والطاعة الدقيقة وغير المشروطة ونمط حياة محدّد مرة واحدة وبلا رجعة وملاً الوقت وطلب الإذن بشكل ما، أجل نحو من التربية على "انعدام الشخصية"⁵، على نسيان الذات، على

1 - "البرانا". لفظة سنسكريتية (لغة هندية قديمة) تعني "طاقة حيوية".

2 - قارن: المسيح المضاد، § 30.

3 die machinale Tätigkeit - 3

ein leidendes Dasein - 4

5 "Unpersönlichkeit" - 5

الـ"incuria sui"¹ - : كم كان الكاهن المتنسك جذريًا، كم كان متلطفا في معرفة كيف يستخدم كل ذلك في صراعه مع الألم! وتحديدًا حينما يكون له شأن مع المعذبين من الطبقات الدنيا، مع العبيد أو المساجين (أو مع النساء²: اللاتي كنّ غالباً ذينك الأمرين معاً، عبيداً وسجينات)، فهو لم يكن في حاجة إلا إلى قليل من فنّ [383] تبديل الأسماء وإطلاق الأسماء³، حتى يجعل الأشياء الكريهة تبدو لهم من بعدُ وكأنّها نعمة ووجهٌ من السعادة: - إنّ تذرّم العبيد من سوء حظهم هو بآية حال لم يكن من صنع الكاهن. - ثمّة وسيلة أخرى محمودّة أيضاً في الصراع ضدّ الاكتئاب هو التوصية بهجة صغيرة⁴ تكون في المستطاع بالهين من الجهد ويمكن أن تتخذ قاعدةً وسيرة؛ وفي الأغلب يستخدم المرء هذه الوصفة⁵ في اتصال مع تلك التي تكلمنا عنها قبل. إنّ الصيغة الأكثر تواتراً حيث توصف البهجة باعتبارها أداة استشفاء هي بهجة صنع البهجة (في شكل حسنة وهدية وتخفيفٍ وعونٍ ونُصحٍ ومواساةٍ وثناءٍ ومراعاة)؛ إنّ الكاهن المتنسك، من حيث يوصي بـ"محنة ذوي القربى" هو في واقع الأمر يوصي بإثارة الغريزة الأكثر قوة والأشدّ إثباتاً للحياة، وإنّ كان ذلك بجرعة جدّ محترسة، - إرادة الاقتدار. إنّ سعادة "التفوق الأصغر"، كما يحملها معه كل إحسان ومعروف وعون ومراعاة، هي وسيلة العزاء الأكثر مثوبة التي يعنى المعاقون فزيولوجيا باستخدامها، متى فرضنا أنّهم قد وجدوا النصيحة الجيدة: أمّا في ما عدا ذلك، فإنّهم يؤذون بعضهم بعضاً، وبالطبع في طاعة تلك الغريزة الأساسية عينها. ولو بحث المرء في بدايات المسيحية داخل العالم الروماني، إذن لرأى كيف نشأت جماعات للتآزر المتبادل، جماعات للفقراء والمرضى ودفن الموتى، انبثقت من الطبقة السفلى من مجتمع ذلك العصر، حيث تمّ بكلّ وعي الاعتناء بهذه الوسيلة الكبرى ضدّ الانهيار، البهجة الضغيرة، بهجة الإحسان المتبادل، - هل كان ذلك، ربّما، شيئاً جديداً عندئذ،

1 - باللاتينية في النص: "إهمال الذات".

2 - die Frauen

3 - die Umtaufung. يلمح نيتشه هنا من طرف خفي إلى معنى "taufen" أي عمّد بالمعنى المسيحي. ومنه "der Taufname" - الاسم الشخصي. بين التسمية والتعميد هناك صلة سابقة إلى الفهم ينبغي استلحاقها في عبارة "Umtaufung" - تبديل الاسم بعد التعميد.

4 - بعض تقنيات الكاهن: 1. تبيكت الحواس؛ 2. النشاط الآلي؛ 3. الترويح عن النفس.

5 - Medikation

6 - "Nächstenliebe". هو ما تشير إليه العبارة الإسلامية: "صلة الرحم" و"صلة ذوي القربى"... حيث لا يقع التركيز على معنى "المحبة" المسيحي.

اكتشافاً حقيقياً؟ في صلب "إرادة المعاملة بالمثل"، التي انبعثت على هذا النحو، إرادة تكوين القطعان و"الجماعات والطوائف"¹ و"النوادي"² كان ينبغي مرة أخرى أن تبلغ إرادة الاقتدار هذه، وإن كُضعف ما يكون، إلى انفجار جديد وحافل تماماً؛ إنَّ تكوين القطعان هو، في الصراع ضدَّ الانهيار، خطوة عملاقة وضرب من النصر. وإنَّها بنشأة الجماعة يتعرَّزُّ أيضاً عند الفرد نحوٌ جديد [384] من الاهتمام، من شأنه في الأغلب أن يرفع عنه الجانب الأكثر شخصية في فتور همته ونفوره من نفسه (شيئاً من قبيل "despectio sui"³ غولينكس⁴). إنَّ كلَّ المرضى والحاملين للمرض⁵ إنَّما يتطلَّعون، رغبةً منهم في التخلص من الكآبة الخرساء ومن الشعور بالضعف، إلى تنظيم القطيع؛ وإنَّ الكاهن المنتسك يحزّر هذه الغريزة ويشجعها؛ فحيثما يكون ثمة قطع، توجد غريزة الضعف التي أرادت القطيع وحكمة الكاهن التي نظمتها. على المرء ألا يغفل عن ذلك: فكما يتطلَّع الأقوياء بحكم الطبيعة إلى الافتراق عن بعضهم، يتطلَّع الضعفاء إلى التوحد مع بعضهم البعض؛ وإذا ما ارتبط الأول برابطة ما فإنَّما ذلك أملاً في عمل هجوميٍّ شامل وإشباع كامل لإرادة الاقتدار التي تحدوهم، مع مقاومات عديدة من الضمير الفردي⁶؛ أما الآخرون فإنَّهم يتنظَّمون في جماعة مع الاستلذاذ تحديداً بهذا التنظيم الجماعي، - إنَّ غريزتهم قد أشبعت على هذا النحو، مثلما أنَّ غريزة الذين هم بالولادة "أسياد" (نعني ذلك النوع من الوحوش الضارية من بني الإنسان) هي في قرارها يستفزُّها التنظيم ويزعجها. في ثنايا كلِّ أوليغارشية - والتاريخ عن ذلك عبرة كلّه - تكمن شهوة الطغيان متخفية؛ كلُّ أوليغارشية إنَّما شأنها أن تهتزَّ دون انقطاع بسبب التوتر الذي يحويه كلُّ فرد بالضرورة في قلبه، بأنَّ عليه أن يظلَّ على هذه الشهوة سيّداً. (كذا كان الأمر مثلاً عند الإغريق: إنَّ أفلاطون ليشهد بذلك في مائة موضع، أفلاطون⁷، الذي كان يعرف نوعه - ونفسه...)

1 - "Gemeinde"

2 - "Cönakel". قاعات العشاء السري.

3 - باللاتينية في النص الألماني: "احتقار النفس"

4 - Geulinx. هو فيلسوف أخلاقي هولندي من القرن السابع عشر.

5 - krankhaften

6 - das Einzel-Gewissen

7 - قارن: أفلاطون، الجمهورية، الكتاب الثامن (550 ج-576 ب).

إن أدوات الكاهن المنتسك التي اهتدينا إليها إلى حد الآن - التثبيط التام للشعور بالحياة والنشاط الآلي والبهجة الصغيرة ولاسيما بهجة "محبة ذوي القربى" وتنظيم القطيع وإيقاظ شعور الجماعة بالاقتدار، بحيث يختفي استياء المرء من نفسه في ثنايا استمتاعه بازدهار الجماعة - إنما هي، متى قيس بمقاييس حديثة، أدواته البريئة [385] في صراعه مع الشعور بالضيق: لئلا تلتفت الآن إلى الذين هم أكثر مثارا للاهتمام، للـ "مذنبين". فعند هؤلاء لا يتعلق الأمر إلا بأمر واحد: تهيج المشاعر¹ بأي شكل اتفق، - من حيث أن هذا يصلح بوصفه وسيلة فعالة ضد حالات الألم² الطويلة التي تُشَلّ وتقبّض النفس؛ لهذا فإن نبوغ الكاهن لا ينفد متى تعلق الأمر بانتحال هذا السؤال الأوحـد: "ما الشيء الذي به نحدث تهيج المشاعر؟"... إن وقع هذا الأمر لشديد: قد يكون بلا ريب وقعا حسنا وعلى الأرجح شيئا تستسيغه الأذن، لو أنني قلت مثلا "إن الكاهن المنتسك قد أفلح دوما في الاستفادة من الحماس الكامن في كلّ عاطفة قوية". ولكن لم نرَبْ بحنو على الأذان المدللة لمختئينا المحدثين؟ لم نتقدّم من جانبنا ولو خطوة واحدة نحو رياء الكلمات في أفواههم؟ بالنسبة إلينا نحن النفسانيين، يوجد بعدُ ههنا نحو من رياء الأمر الواقع؛ فضلا عن الاشتمزاز الذي يسببه لنا. إن أيّ عالم نفس إنّا يكشف اليوم، إزاء أيّ أمر اتفق، عن ذوقه الرفيع³ (وغيرنا قد يوّد أن يقول: عن نزاهته)، بقدر ما ينفر من طريقة الكلام الملوّثة أخلاقياً⁴ على نحو مفضوح، التي أخذت تلقي بمخاطبها في الآونة الأخيرة على كلّ أحكامنا الحديثة على الإنسان أو على الأشياء، على المرء ألاّ ينخدع إزاء هذا الأمر: إن ما يصنع الميزة الكبرى للنفوس الحديثة والكتب الحديثة، ليس الكذب، بل البراءة⁵ الكبرى المتأصلة في الأكذوبة الأخلاقية. أن علينا أن نكتشف هذه "البراءة" مرة أخرى في كلّ مكان - ذلك ما يشكّل على الأرجح المقطع المقيت من عملنا، من كلّ هذا العمل الذي لا يخلو من حرج، الذي

1 - Ausschweifung. علينا أن نضع في الاعتبار: - 1 معنى هيج المشاعر وجعلها جياشة؛ ولكن أيضا، - 2 معنى الفجور والتهتك. ولا يتعلق الأمر بمجرد إثارة المشاعر بل بإثارتها حتى تتجاوز الحد وتخرج عن الطور.

2 - Schmerzhaftigkeit

3 - guter Geschmack

4 - vermoralisirt

5 - die Unschuld. بالمعنى الحرفي: "عدم الذنب".

حقيقٌ بأيّ عالمٍ نفساني أن يخوض فيه؛ إنّه جزء من الخطر الكبير الخاص بنا، إنّه طريق، ربما يقودنا رأساً إلى الاشتمزاز الكبير... أنا لا أشك أبداً في الأمر الوحيد الذي له تصلح الكتب الحديثة (متى فرضنا أنّه سيُكتب لها الدوام، وهو بلا ريب أمرٌ لا ينبغي أن نخشاه، وإنّه سيوجد يوماً ما خلفّ يكون له ذوق أكثر صرامة وأشدّ صلابةً وأوفر صحّة) - في الأمر الذي يستحقّ أن يصلح له كلّ ما هو حديث [386] بعامّة في نظر هذا الخلف وما يمكن أن يصلح: أن يبعث على القبيّء، - وذلك بسبب تحليته السّميّة وزيفه الأخلاقي، بسبب أنثويّته المتغلغلة، التي تسمّى نفسها عن طيب خاطر "مثالية" أو تؤمن على آية حال بأنّها مثالية. إنّ مثقّينا اليوم، إنّ "خيرينا" لا يكذبون - هذا صحيح؛ لكنّ هذا لا يمنحهم شرفاً! إنّ الكذب الحقيقي، الكذب "الشريف" الحازم الأصيل (الذي يجدر بالمرء أن يسمع أفلاطون¹ متحدّثاً عن قيمته) إنّها سيكون بالنسبة إليهم شيئاً شديداً عليهم، جدّ صارماً وجدّ قوياً: سوف يتطلّب ما لا يحقّ وما لا يمكن للمرء أن يطلبه منهم، أن يفتحوا أعينهم على أنفسهم، أن يعرفوا كيف يميّزون عند ذات أنفسهم بين "الصواب" و"الخطأ". فليس يناسبهم إلّا الكذب غير الشريف؛ كلّ طرف² يشعر اليوم بأنّه "إنسان خير" هو غير قادر بالكلّيّة عن أن يرى إلى أمر ما مهما كان إلّا كما إلى أكذوبة غير شريفة، أكذوبة بعيدة الغور، ولكن أكذوبة بريئة، أكذوبة ساذجة، أكذوبة ذات عيون زرقاء³، أكذوبة فاضلة. أولاء "البشر الخيّرين" - هم الآن جميعاً قد تلوّثوا أخلاقياً قلباً وقالباً وبالنسبة إلى الشرف هم وقعوا في العار وضاعوا إلى الأبد: فمنهم لارال يتحمّل حقيقة واحدة "حول الإنسان"!!! أو، متى سألنا على نحو ملموس أكثر: من منهم قد يحتمل سيرة⁴ حقيقة! ... ها بعض الأدلة: إنّ اللورد بيرون⁵ قد دوّن بعض الأشياء الخاصة جدّاً عن نفسه، لكنّ توماس مور⁶ كان "حليماً جدّاً"⁷

1 - قارن: أفلاطون، الجمهورية. الكتاب الثالث، 389 ج.

2 - was

3 - في معنى أنّها "ساذجة" و"غريزة". قارن: ما وراء الخير والشر، § 244.

4 - vermoralisirt

5 - in Grund und Boden

6 - Biographie

7 - Lord Byron

8 - Thomas Moore

9 - "zu gut"

في جنالوجيا الأخلاق

حيال ذلك: لقد أحرق أوراق صديقه. وعلى ما يبدو فإن الدكتور غفينار¹، منقذ وصية شوبنهاور، قد اقترف الأمر نفسه: ذلك بأن شوبنهاور أيضا قد دَوّن بعض الأشياء حول نفسه وربما ضد نفسه ("εἰς εαυτόν"). وإن تيار² الأمريكي البارع، كاتب سيرة بيتهوفن، قد توقّف ذات مرة عن عمله: ما إن بلغ عند نقطة من هذه الحياة المهيبة والساذجة، حتى لم يطق مع الأمر صبرا... هي الأخلاق: فأَيّ رجل رزين حكيم³ ما زال يمكنه أن يكتب اليوم كلمة شريفة حول نفسه؟- اللهم إلا أن ينتمي إلى رابطة الجسارة المقدّسة. ولقد وعدونا بسيرة ذاتية⁴ عن ريتشارد فاغنر: فمن [387] يشكّ في أنها ستكون سيرة ذاتية رزينة حكيمة؟... لنذكر أيضا الفرع المضحك الذي أثاره الكاهن الكاثوليكي يانسن⁵ بسبب الصورة الوديعة والخرقاء بكلّ المعاني، التي رسمها عن حركة الإصلاح الألماني؛ ماذا عساه يحدث لو أنّ أحدا قصّ علينا أمر هذه الحركة يوما ما على نحو مغاير، لو أنّ عالما نفسانياً حقيقياً سرد علينا قصّة لوثر حقيقيّ، لم تعد تُحكى بالساذجة المتخلّقة لواعظ قرويّ، ولا بالاحتشام المتكلّف والمترفّق للمؤرخين البروتستانت، وإنّا على سبيل المثال بجرأة تان⁶ التي لا تهاب أحدا، التي تصدر عن قوّة النفس⁷ وليس عن تساهل حكيم مع هذه القوة؟... (إنّ الألمان، لنقل ذلك دون إلحاح، قد أفلحوا أخيرا على نحو واضح كفاية في اكتشاف النمط الكلاسيكي لهذا الضرب من التساهل، - إنّه يحقّ لهم أن ينسبوه لأنفسهم وأن يفخروا به: نعني في صاحبهم ليوبولد رانكه⁸، هذا الـ advocatus⁹ الكلاسيكي الذي وُلد للدفاع عن كلّ causa¹⁰ fortior، هذا الحكيم الأكثر حكمة من بين كلّ "الواقعيين"¹¹).

Gwinner - 1

Thayer - 2

klug - 3

Sebstbiographie - 4

Janssen - 5

Taine - 6. - قارن: ما وراء الخير والشرّ، § 254.

die Stärke der Seele - 7

Leopold Ranke - 8. مؤرخ ألماني (1795-1886).

9 - باللاتينية في النص: "المحامي"، "الدافع". قارن: ما وراء الخير والشرّ، § 34.

10 - باللاتينية في النص: "قضية أقوى" في معنى "قضية رابحة".

11 - "Thatsächlichen"

على أنّ المرء قد فهمني بعدُ: - أليس صحيحاً أنّ ذلك سبب كاف، متى أخذنا الأمر في جملته، لأنّ يلازمنا، نحن النفسانيين في هذه الأيام، احتراسٌ ما من ذات أنفسنا؟... وأغلب الظنّ أنّنا نحن أيضاً لا نزال "طيبين جداً" بالنسبة إلى حرفتنا، أغلب الظنّ أنّنا نحن أيضاً لا نزال ضحايا، فريسة، مرضى هذا الذوق الملوّث أخلاقياً²، مهما شعرنا أيضاً بأننا له مزدرون- أغلب الظنّ أنّه قد أصابنا نحن أيضاً بعدواه³. ولكنّ ممّا يحذّر هذا الدبلوماسي حين خاطب نظراءه؟ "لنحترس قبل كلّ شيء، يا سادتي، من خلداتنا الأولى! كذا يقول، إنّها تكاد تكون دوماً حسنة"⁴... كذا أيضاً يجب على كلّ عالم نفساني أن يخاطب اليوم نظراءه... ومن ثمّة نحن نعود الفقهري نحو المشكل الذي نخضنا، الذي يتطلب منا في الواقع صرامةً معيّنة، [388] احتراساً ما على الخصوص من "الخلجات الأولى". إنّهُ المثل الأعلى النُسكي في خدمة نيّة تهيج المشاعر: - من يذكّر المقالة الفاتنة، بإمكانه بعدُ من حيث الجوهر استباق المحتوى الموجز في هذه الكلمات الجديدة لما ينبغي علينا إظهاره منذ الآن. أن نفكّ النفس البشريّة يوماً ما من كلّ عُراها حتى تصدّع وتخرج عن طورها، أن تُغرقها في الذعر والصقيع واللظى والشغف، بحيث تفلت، كما بصاعقة، من كلّ صغائر الأمور التي تدفع على الشعور بالضيق والانقباض وتعكّر المزاج: أيّة سبل تقود إلى هذه المرامي؟ وأيّ منها هي الأكثر أماناً؟... في واقع الأمر، كلّ العواطف الكبيرة لها قدرة ما على ذلك، شريطة أن تتفجّر بغتة، أكانت غضباً أو خوفاً أو شهوةً أو ثاراً أو أملاً أو نصراً أو يأساً أو قساوة؛ وبالفعل فإنّ الكاهن النُسكي قد أخذ في خدمته، دونما حرج يُذكر، كلّ رهط الكلاب المتوحشة التي في الإنسان وتارة يطلق هذا وطورا يُطلق ذاك، ودوماً من أجل هدف بعينه، أن يوقظ الإنسان من حزنه الطويل، أن

1 - تعبير ساخر ولا يمثل نمط النبيل. قارن: الفقرة الأولى من هذه المقالة.

2 - vermoralisirt

3 - inficirt. إنّ إقحام معنى "الإصابة بالعدوى" أو "التلوّث" هنا يساعدنا أيّما مساعدة على أخذ فعل "vermoralisieren" في معنى التلوّث الأخلاقي. ولذلك حقيق علينا ترجمة "vermoralisirt" في معنى "ملوّث أخلاقياً".

4 - يثبت الشّراح أنّ هذه عبارة قالها Talleyrand ووصلت إلى نيتشه عن طريق كتاب ستوندا، مذكّرات سائح.

5 - aus allen ihren Fugen zu lösen

يردّ ألمه الدفين وبؤسه المتردد على أعقابيه ولو لبعض الوقت، وذلك على الدوام تحت تأويل و"تبرير" ديني. كلّ تهيج للمشاعر من هذا النوع سوف يدفع المرء ثمنه لاحقا، ذلك أمر يُفهم من نفسه؛ إنه يجعل المريض أشدّ مرضاً: ولهذا السبب فإنّ هذا النوع من دواء الألم، متى قيس بالمقاييس الحديثة، هو نوع "مذبذب". وعلى ذلك فإنّ على المرء، حتى يكون منصفاً، أن يؤكّد خصوصاً على أنّه قد تمّ استخدامه بـ"ضمير نقيّ"، وأنّ الكاهن الشُّككي قد أمر به بناءً على إيمان عميق بجذواه، بل باعتباره شيئاً لا غنى عنه، - بل أنّه أمام الشقاء الذي خلقه قد كاد في عديد المرات أن يدمّر نفسه؛ كذلك أنّ الانتقامات الفزيولوجية الكاسحة لهكذا زيادات مفرطة، وربما حتى اختلالات عقلية، هي في واقع الأمر لا تناقض على وجه التخصيص المعنى العام لهذا النوع من العلاج؛ باعتباره، كما تبين لنا قبل، لم يكن من أجل الشفاء [389] من الأمراض، بل من أجل مكافحة القلق الناجم عن الانهيار، من أجل التخفيف منه، من أجل تخديره. وإنّما بهذه الطريقة تمّ البلوغ إلى هذا الهدف. إنّ المجازفة الكبرى التي سمح بها الكاهن الشُّككي لنفسه حتى يطلق في أرجاء النفس البشرية رنين هذا النوع من الموسيقى الكاسرة والأخاذاة، قد تمّت بهذا-وكل يعرف ذلك-، أنّه اهتدى إلى وجه الاستفادة من الشعور بالذنب. وكانت المقالة السالفة قد كشفت باختصار عن أصله- بوصفه جزءاً من علم النفس الحيواني، ليس أكثر: فقد ألّفينا الشعور بالذنب هاهنا بوجه ما كما في حالته الخام. إنّهُ فقط ما بين يديّ الكاهن، هذا الفنان الحقيقي في الشعور بالذنب، هو قد اتخذ هيئته - آه وأيّ هيئة! إنّ "الخطيئة" - إذ هكذا ينصّ التفسير الكهنوتي لدلالة "الضمير المعذب" الحيواني (القساوة التي انقلبت ضدّ نفسها)- إنّما هي إلى حدّ الآن الحدث الأكبر في تاريخ النفس المريضة؛ إذ نحن نتوقّر فيها على الحركة السحرية الأشدّ خطراً والأكثر شؤماً للتأويل الديني. الإنسان، المتألم من ذات نفسه على صعيد ما، فزيولوجي بلا ريب، مثل حيوان محبوس في قفص، لم يتبيّن له لماذا ولا من أجل ماذا؟ تحدوه الرغبة في أن يعرف الأسباب- فالأسباب تحفّف عنه-، متلهّف أيضاً لما يسكّن وما ينجّدر،

1 - "Rechtfertigung"

2 - تلميح إلى بداية الفقرة 19.

3 - mit gutem Gewissen

4 - die priesterliche Umdeutung

5 - Interpretation

فينتهي إلى طلب النصح من واحد، يعرف حتى ما يجتنب المجهول- وما كذب الفؤاد ما رأى!¹ لقد حصل على إشارة، لقد حصل من ساحره، من الكاهن النُّسكي على الإشارة الأولى حول "علة" عذابه: يجب عليه أن يبحث عنها في ذاته، في ذنب ما، في مقطع من ماضيه، يجب عليه أن يفهم عذابه بوصفه حالة عقاب... لقد سمع، لقد فهم الشقي؛ إن أمره الآن مثل الدجاجة التي أحيط بها بخط. لن يخرج عن هذه الدائرة من الخطوط مرة أخرى: من المريض تم صنع "مرتكب الخطيئة"... ومنذئذ لم يتخلص المرء من منظر هذا المريض الجديد، من "الخطأ"، لمدة ألفي سنة، - هل سيتخلص المرء من ذلك يوماً ما؟- أينما وليتنا وجوهنا، في كل مكان ثمة النظرة المنوَّمة للخطأ، التي هي على الدوام في عين الاتجاه [390] تتحرك (في اتجاه "الذنب"، باعتباره سببية العذاب² الوحيدة)؛ في كل مكان يوجد الضمير المعذب، هذا "الحيوان الشنيع"، حتى نتكلم مثل لوثر؛ في كل مكان يوجد الماضي المعاد مضغّه، الفعل المشوّه والممّوه، "العين الحانقة" على كل فعل؛ في كل مكان ثمة إرادة سوء فهم للعذاب تحولت إلى معنى للحياة وفحوى لها، ثمة تأويل لدلالة العذاب في مشاعر الذنب والخوف والعقاب؛ في كل مكان يوجد الشياطين والمسوح والجسد النحيل والانكسار؛ في كل مكان لا يفتأ الخطأ يعذب نفسه في الدولاب المروّع للضمير الجزوع المريض النهم؛ في كل مكان ثمة اللوعة الخرساء، الخوف الذي لا يضاهيه خوف، احتضار القلب الشهيد، الحركات المصطنعة³ لسعادة مجهولة، وصرخات "الخلاص". وفي الواقع فإنه مع هذه المنظومة من الإجراءات إنما تم من حيث الأساس تجاوز الانهيار القديم والثقل والتعب، وإذا بالحياة قد صارت مرة أخرى جدُّ مثيرة للاهتمام؛ متهجّداً، متهجّداً أبداً، يقيم الليل⁴، متوهّجا، محوقاً، مستنفداً وعلى ذلك لا يكلّ ولا يتعب- كذا يظهر الإنسان، "الخطأ"، الذي أطلع على هذه الأسرار. هذا الساحر الكبير القديم في صراع مع الشعور بالقلق، كاهن التنسك - كان قد انتصر بشكل مبین، وكان ملكه قد حلّ زمانه؛⁵ إن المرء

1 - und siehe da -

die Leidens-Causalität - 2

Umdeutung - 3

die Kämpfe - 4

übernächtigt - 5

6 - عبارة إنجيلية سبق أن وردت في المقالة I، §§ 14-15.

قد كفّ بعدُ عن رفع شكواه ضدَّ الألم، بل هو يلهث وراء الألم؛ "مزيداً من الألم! مزيداً من الألم!" كذا كانت شهوة حواريه ومريديه تصرخ طيلة مئات السنين. كلّ تهيج للمشاعر، من النوع الذي يحدث وجعاً، كلّ ما يكسر كسراً ويقلب قلباً ويسحق سحقاً ويغشي غشياً ويجذب جذباً، سرُّ أماكن التعذيب، مكر الجحيم ذاته- كلّ ذلك قد وقع منذئذ اكتشافه واستشعاره واستغلاله، كلّ ذلك كان في خدمة الساحر، كلّ ذلك أخذ يساعد من هنا فصاعداً على نصر مثله الأعلى، المثل الأعلى التنسكي... "إنّ مملكتي ليست من هذا العالم"¹- كذا كان يقول من قبلُ ومن بعدُ: هل مازال بالفعل يملك الحق في أن يتكلّم على هذا النحو؟... لقد زعم غوته أنّه ليس ثمة إلّا ستة وثلاثون موقفاً تراجيدياً: لا بدّ أنّ المرء قد حرز، إن لم يكن يعرف بعدُ، أنّ غوته ليس بكاهن متنسك. إذ أنّ هذا- يعرف أكثر...

[391]

21.

فيما يتعلق بهذا النوع من التطبيب الكهنوتي برمّته، النوع "المذنب"، كلّ كلمة نقد إنّما هي نافلة. أنّ هكذا تهيجاً للمشاعر، مثل الذي تعود الكاهن النُسكي من دهره أن يوصي به لمريضه (تحت أقدس الأسماء، كما يُفهم من نفسه، وكذلك مشحوناً بقداسة مقصده)، قد كان على نحو من الأنحاء مفيداً بالفعل لواحد من المرضى، من تراوده الرغبة في أن يرفع ادعاء من هذا النوع؟ على الأقلّ قد يجب علينا أن نتفق حول لفظة "أفاد"². هل يريد المرء بذلك أن يقول أنّ هذا النوع من منظومة العلاج قد حسّن من الإنسان وجعله أفضل³، هذا أمر لا أناقضه: إلّا أنّني أضيف فحسب، أنّ "حسنه" إنّما يعني عندي- شيئاً من قبيل "دجنه"، "أضعفه"، "تبّط همّته"، "رقّقه"، "لّينه"، "خصاه"⁴ (وهكذا تقريباً شيئاً مثل "أضرّ به..."). ولكن إذا ما تعلق الأمر رأساً بالمرضى والمتأففين والمكتئبين، فإنّ

1 - لا يوجد الدين إلّا من خلال افتعال نزاع يجعل "الإنسان ضدّ العالم". قارن: المعرفة المرحّة، § 346.

2 - nützen

3 - verbessern

4 - entmannt. أزال الرجولة والفحولة.

5 - أضرّ بقدرته على الحياة. ولا يفهم نيتشه "عمل الأخلاق" (Vermoralisierung) على نحو آخر: هي تلوّث الغرائز بقيم مضادة للحياة.

هكذا منظومة، حتى لو فرضنا أنها تجعل المريض "أحسن حالا"، هي من شأنها أن تجعله أشدّ مرضاً؛ فليسأل المرء أطباء المجاذيب إلّا ما يؤدي الاستخدام المنهجي لعذابات التكفير عن الذنب وانكسارات النفس واختلاجات الخلاص. وليستخبر التاريخ أيضاً؛ في كل مكان، حيثما فرض الكاهن النُّسْكي هذا النوع من علاج المرضى، إنّما ازدادت الحالة المرضية في كل مرة عمقاً واتساعاً بسرعة غير مألوفة. ماذا كانت "النتيجة"¹ على الدوام؟ جهاز عصبي محطّم، يُضاف إلى ما كان مريضاً من قبل؛ وذلك في أعظم الأمور كما في أصغرّها، لدى الأفراد كما لدى الجماهير². نحن نعثر، كاستتباع للـ³ training على الكفّارة والخلّاص، على أوبئة صرعية هائلة، من أكبر ما عرفه التاريخ، مثل شطحات⁴ القديس فايت⁵ والقديس يوحنا⁶ في القرون الوسطى؛ نحن نعثر، كشكل آخر من عواقبه، على حالات رهيبة من الكساح والاكْتَنَابَات المزمّنة، معها، في بعض الأحيان، ينقلب مزاج⁷ شعب ما أو مدينة ما (جنيف، بازل) انقلاباً تاماً إلى ضده⁸-؛ في هذا الباب أيضاً تدخل [392] هستيريا الساحرات، في شيء من القرابة مع الرّوضة⁹ (ثمانية أوبئة كبيرة قد تفسّدت ما بين 1564 و1605 فقط)-؛ نحن نعثر كذلك، كاستتباع له، على ذلك النوع من هذيان الجماهير المدمنة على الموت، الذي سُمع صدى صرخته المفزعة "evviva la morte"¹⁰ في كلّ أرجاء أوروبا، تتخللها ردود فعل فطرية¹¹ تارة شهوانية وطوراً تخريبية: مثل التقلّب العاطفي عينه، الذي لا يزال يُلاحظ اليوم أيضاً في كل مكان بتقطّعاته وطفراته عينها، في كل حالة تحقّق فيها نظريّة الخطيئة النسكية نجاحاً ما مرة أخرى (إنّ العصاب

1 - Erfolg - النتيجة في معنى "المكسب" أو "النجاح".

2 - die Massen

3 - بالانجليزية في النص الألماني.

4 - هو حسب نيتشه رقص ارتكاسي لا علاقة له بالرقص الحيوي في أعراس ديونيزوس، كما وصفها نيتشه في مولد التراجيديا، § 1.

5 - St. Veit

6 - St. Johann

7 - das Temperament

8 - Somnambulismus

9 - بالإيطالية في النص الألماني: "بحي الموت!".

10 - Idiosynkrasien

الديني¹ إنما يظهر بوصفه ضرباً من "الصَّرع"²؛ ليس في ذلك من شك. فماذا هي؟³ (Quaeritur). وعلى الجملة فإنَّ المثل الأعلى التَّسكي وشعائره الأخلاقية الرائعة⁴، هذا التَّنسيق الأثري روحاً والأقلَّ تحرّجاً والأكثر خطراً لكلِّ وسائل تهيج المشاعر تحت حماية النوايا المقدسة، هو قد سجَّل نفسه بطريقة مهيبة لا تُنسى في تاريخ البشر برمته؛ ومع الأسف ليس في تاريخه فحسب... أكاد لا أعرف شيئاً إلى حدِّ الآن يستحقُّ الذكر قد أضرَّ إلى هذا الحدِّ إضراراً مدمراً بالصِّحة وصلابة الأعراق، لاسيما لدى الأوروبيين، مثلاً فعل هذا المثل الأعلى؛ ويحقُّ للمرء، دون أية مبالغة، أن يستيه المصيبة الحقيقية في التاريخ الصحي للإنسان الأوروبي. وعلى الأكثر فإنَّ تأثيره هو أقرب لأنَّ يُهاثَل مع التأثير الجرمانى تخصيماً؛ أعني بذلك تسميم أوروبا بالكحول، الذي ظلَّ إلى حدِّ الآن يخطو حذو النعل بالنعل مع الثقل السياسي والعرقى الغالب للجرمان (- فحيثما لَقَّحوا دماءهم، هم لَقَّحوا رذائلهم أيضاً).- في المرتبة الثالثة من القائمة قد يتوجَّب أن نسمي أيضاً مرض الزهري-⁵ magno sed proxima intervallo.

22.

إنَّ الكاهن المتنسك قد أتلف الصِّحة النفسية أينما نجح في أن يبسط سلطانه، وبالتالي هو قد [393] أتلف الذوق أيضاً⁶ in artibus et litteris - وهو لا يزال يتلفه على الدوام. "وبالتالي؟" - أنا أمل أن يقبل المرء مني "بالتالي" هذه دون قيد أو شرط؛ على الأقلَّ أنا لن أقيم الدليل عليها. ها إشارة وحيدة: إنها تنطبق على الكتاب الأساسي للآداب المسيحية، على نموذجها الصميم، "الكتاب في ذاته" الذي يخصُّها. والناس لا يزالون في رحاب الروعة اليونانية-الرومانية، التي كانت

1 - قَارن: ما وراء الخير والشر، § 47.

2 - "das böse Wesen" بالمعنى الحرفي: "الماهية الشريرة". ورغم أنَّ هذا مصطلح طبي، فإنَّ نيتشه يستثمره ساخراً في نطاق سلم التقويم الذي على أساسه يؤوِّل معنى الدوافع النفسانية: إنَّ "المرض" شرٌّ في معنى أنَّه ناجم عن إرادة "شريرة" غير قادرة على محبة الجسد في براءته. إرادة مريضة تنتج جسداً مريضاً.

3 - باللاتينية في النص: "للمرء أن يتساءل"

4 - sublim-moralisch

5 - باللاتينية في النص الألماني: "على مسافة بعيدة وعلى ذلك هو أقرب ما يكون". هو مقطع مستقى من إنياذة (Énéide) فرجيل، النشيد الخامس، البيت 320.

6 - باللاتينية في النص الألماني: "في الفنون والآداب"

روعةً في الكتب أيضاً، وجهًا لوجه مع كتابات العالم القديم وهي بعد لم تذبل جذوتها ولم تنكسر شوكتها، في زمن لا يزال يمكن فيه للمرء أن يقرأ بعض الكتب التي من أجل امتلاكها هو لا يتردد في أن يدفع بدلا لها نصف ما لدينا اليوم من آداب، تجرّأت بعدُ بلاهةً وخيلاءً المشاغبين المسيحيين- الذين يسمّهم المرء آباء الكنيسة- على الإعلان: "نحن أيضا نملك آدابنا الكلاسيكية، نحن لا نحتاج إلى آداب اليونان"، - ومن ثمّ يشير المرء بكلّ فخر إلى كتب أساطير وخطابات رسولية ومصنّفات أبولوجية¹ صغيرة، تقريبا كما هو الحال اليوم مع "جند الخلاص" الانجليزي² الذي يخوض صراعه، مستعملا أدبا من نفس الجنس، ضدّ شكسبير و"الوثنيين" الآخرين. أنا لا أحبّ "العهد الجديد"³، على المرء أن يحرز ذلك سلفا؛ أكاد أخشى أن أراني وحيدا مع ذوقي بإزاء هذا الكتاب المبجل تماما، الذي يُفرض في تبجيله (فإنّ ذوق ألفي سنة يقف ضديّ): ولكن ما جدوى ذلك! "ها أنا ذا، ولا أملك أن أكون على نحو آخر"⁴، - أنا لي الشجاعة على ذوقي الرديء. إنّ العهد القديم- أجل إنه لشيء مغاير كلّية: قفا إجلالا للعهد القديم! إذ فيه أنا أجد أناسا عظاما، مشهدا بطوليا⁵ وشيثا من أندر الأشياء على الأرض، السذاجة الفريدة للقلب الكبير؛ بل أكثر من ذلك، أنا أجد شعبا. أمّا في الجديد فليس ثمة سوى تدبير النحل الصغيرة، سوى زخارف⁶ النفس، سوى المنمّق والكثير الزوايا والغريب الأطوار، سوى رائحة الجمعيات السرية، دون أن ننسى نفحة ما من الطلاوة الرعوية بين الحين والآخر، هي تنتمي إلى العصر (وإلى الأقاليم الرومانية) وليست يهودية بقدر ما هي هلنستية⁷. الخنوع والعُجب متراصان الواحد بجانب الآخر؛ هراء [394] الشاعر الذي يكاد يصمّ الأذان؛ تهيمّ ولا هيام⁸؛ إيمائية مرهقة؛ ومن الغنيّ عن البيان أنّ الأمر يخلو هاهنا من أيّ تربية جيّدة. هل يحقّ للمرء أن يُطنب في الحديث عن نقائصه الصغيرة، كما

1 - apologetisch

2 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 252.

3 - "das 'neue Testament'". قارن: ما وراء الخير والشر، § 52.

4 - كلمات مقتبسة من أقوال لوثر على منتقديه.

5 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 52.

6 - das Rokoko

7 - hellinistisch. "هلينستي" وليس "هليني" (hellinisch)، وعلى الأغلب ما هو خاص بثقافة اليونان بعد الإسكندر الكبير.

8 - Leidenschaftlichkeit, keine Leidenschaft

يفعل هؤلاء الرجال الصغار الصالحين! لا أحد يكثر بذلك¹؛ فكيف بالإله. بل يبلغ بهم الأمر أن يطمعوا في نيل "تاج الحياة الأبدية"²، كل هؤلاء الناس البسطاء من الأقاليم؛ ولكن لماذا؟ وعلام؟ لا يمكن للمرء أن يبلغ في التكبر إلى أبعد من ذلك. بطرس "خالد": من بإمكانه تحمّل ذلك؟ إنّ لهم طموحا يحمل على الضحك: الذي ما فتى يلوّك شؤونه الخاصة جدا وحقايقه وأحزانه وهمومه التافهة، كأنّ الأشياء-في-ذاتها³ ملزمة بأنّ تعبأ بها؛ والذي لا يتعب من زجّ الإله ذاته في أصغر أسى قد يقع فيها. وهذا التخاطب النذّ للنذّ الذي لا ينقطع مع الربّ، الذي ينمّ عن ذوق رديء! هذه الصفاقة اليهودية، وليس اليهودية فقط، إزاء الإله في ليّ الشّدق وضرب الحافر... ثمّة "شعوب وثنية" صغيرة حقيرة في شرق آسيا، منها كان يمكن للمسيحيين الأوائل أن يتعلموا شيئا جوهريًا، شيئاً من أدب⁴ الإجلال؛ فأولئك لا يميزون لأنفسهم، كما يشهد بذلك المبشّرون النصاري، حتى أن يضعوا اسم إلههم على ألسنتهم. هذا أمر يبدو لي محرّجا كفاية؛ ومن المؤكّد أنّه ليس بالنسبة إلى المسيحيين "الأوائل" فحسب هو جدّ محرج؛ بل على المرء، متى أراد أن يشعر بالفارق، أن يتذكّر لوثر⁵، هذا البدوي "الأكثر فصاحة" والأقلّ تواضعا من بين كلّ الذين احتضنتهم ألمانيا، ونوع النغمة اللوثرية التي كانت محبّبة إلى قلبه دونها منازع لاسيا في أحاديثه مع الربّ. إنّ مقاومة لوثر ضدّ وسطاء الكنيسة القديسين (وبخاصة ضدّ "خنزير الشيطان، ضدّ البابا") إنّما كانت في آخر المطاف، ليس في ذلك من شكّ، مقاومة جِلْفٍ أزعجته مراسيم اللياقة⁶ الكنسيّة، ذاك النوع من مراسيم الإجلال ذي الذوق الكهنوتي، التي لا تقبل في قدس الأقداس إلّا أقدس المقدّسين والصّموت من الصّامتين وتنغلق دون الأجلاف، فهؤلاء لا يجب أبدا ولاسيا هاهنا أن تكون لهم كلمة، - لكنّ لوثر، البدوي، [395] أراد الأمر على نحو آخر تماما، إذ لم يكن ألمانيّا كفاية بالنسبة إليه: كان يريد قبل كلّ شيء أن يتكلّم رأساً، أن يتكلّم بنفسه، "بغير

1 - kein Hahn kräht darnach. بالمعنى الحرفي: "لم يصح أيّ ديك بسبب ذلك".

2 - قارن: إنجيل يوحنا، 1: 12.

3 - das An-sich-der-Dinge

4 - der Takt

5 - عن لوثر، قارن: المقالة I، § 16 والمقالة II، § 2؛ إنساني، مفرط في إنسانيته I، § 237؛ المعرفة المرحّة، §§ 129، 146، 359؛ المسيح المضاد، § 53.

6 - die gute Etiquette

ما كلفة" مع إلهه... حسنٌ، لقد فعلها. -إنّ المثل الأعلى النسكي، ولا بدّ أنّ المرء قد استشعر ذلك، لم يكن أبداً في أيّ مكان مدرسة للذوق الرفيع، ناهيك بآداب اللياقة¹، - لقد كان في أحسن الأحوال مدرسة لآداب الكهنوت-؛ ذلك بأنّه يحمل في صلبه شيئاً يجعله عدوّاً لدوداً لكلّ آداب اللياقة، - سوء في التقدير، نفور من التقدير، بل هو ذاته "non plus ultra"².

23.

إنّ المثل الأعلى النسكي لم يفسد الصحة والذوق فحسب، بل هو قد أفسد أيضاً شيئاً ثالثاً ورابعاً وخامساً وسادساً- سوف أتخاشى أن أقول كم هي في الجملة (هذا إذا كان يمكن أن آتي عليها!). ليس ما فعله هذا المثل الأعلى، هو ما يجب أن أكشف النقاب عنه؛ بل بالأحرى ما يعنيه فحسب، ما يجعلنا نستشعره، ما يقبع مستتراً وراءه، تحته، فيه، ما يعبر عنه تعبيراً مؤقتاً، غامضاً، مثقلاً بضروب شتى من الاستفهام وسوء الفهم. وإنّما من زاوية هذا الغرض فحسب أنا لم أستطع أن أبخل على قرّائي بإطلالة على الأمر العظيم الذي في مفاعيله، بل في مفاعيله الأكثر شؤماً؛ لاسيما حتى نهيتهم للمنظر الأخير والأكثر فرعاً الذي أراه في السؤال عن دلالة هذا المثل الأعلى. آية دلالة إذن للسلطان³ الذي يتمتع به هذا المثل الأعلى، آية دلالة لعظمة سلطانه؟ لم أفسح له كلّ هذا القدر من المكان؟ لم تتمّ مقاومته على نحو أفضل؟ إنّ المثل الأعلى النسكي إنّما يعبر عن إرادة ما؛ فأين هي الإرادة المضادة، التي يعبر فيها مثل أعلى مضادّ عن نفسه؟ إنّ المثل الأعلى إنّما له هدفٌ ما، - وهو كونيٌّ إلى حدّ بحيث أنّ كلّ مصالح الكيان الإنساني إنّما تبدو بالقياس إليه صغيرة وضيقة؛ إنّهُ يتأوّل العصور والشعوب والبشر بلا هوادة بالنظر إلى هذا [396] الهدف الوحيد، إنّهُ لا يقبل بأيّ تأويل آخر، ولا يسوغ عنده أيّ هدف آخر، وهو لا يرفض أو ينفى أو يثبت أو يؤكد أمراً إلّا في معنى التأويل الذي يخصّه (- وهل وُجدت يوماً ما منظومة

1 - die gute Manieren -

2 - باللاتينية في النص الألماني: "ليس أبعد من ذلك" والأغلب أن ترجمه في معنى: "ما يفوق كلّ تقدير".

3 Macht -

4 das Ungeheure -

تأويل أكثر إحكاماً؟؛ إنّه لا يخضع لأيّ سلطان¹، بل هو يؤمن على الأرجح بميزته على كلّ سلطان ويُعدّ مرتبته المطلق بالنظر إلى كلّ سلطان، - هو يؤمن بأنّه ليس هناك على الأرض من سلطان لا يستمدّ منه أولاً معناه وحقّه في الوجود وقيمة ما، بوصفه أداة لعمله، بوصفه طريقاً ووسيلة نحو هدفه، نحو هدف واحد وحيد... فأين هو الضدّ المقابل لهذه المنظومة المترابطة إرادةً وهدفاً وتأويلاً؟ لماذا كان الضدّ المقابل مفقوداً؟... أين هو "الهدف الوحيد" الآخر؟... وعلى ذلك قد يقول قائل، إنّه ليس مفقوداً، وهو ليس فقط قد خاض صراعاً طويلاً مع ذلك المثل الأعلى وأبلى فيه بلاءً حسناً، بل هو في الأمور الرئيسة جميعاً قد نجح بعدّ على الأرجح في بسط سيادته عليه: إنّ علمنا الحديث² برمته لهو شاهد على ذلك، - هذا العلم الحديث الذي، من حيث هو ضرب أصيل من فلسفة الواقع، هو لا يؤمن على نحو جليّ إلاّ بنفسه، وعلى نحو جليّ هو يملك الشجاعة على أن يكون ذاته ويملك إرادة أن يكون ذاته، وأنّه إلى حدّ الآن قد نجح في البلوغ إلى مراده من دون إله ولا آخرّة ولا فضائل سلبية. لكنّ المرء بهذا النحو من الضجيج وهراء المشاغبين لن يفوز متيّ بباطل؛ إنّ الذين اتخذوا من الواقع بوقاً ونفيراً هم موسيقيون سيئون، إنّ أصواتهم، كما نسمع ذلك جيّداً، لا تأتي من الأعماق، وإنّ هاوية الضمير العلمي لا تتكلّم عبرهم - إذ أنّ الضمير العلمي هو اليوم ضرب من الهاوية-، إنّ لفظة "العلم" هي في أفواه هكذا أبواق مجرّد بغاء وتعسف وفحش. لكنّ الحقيقة هي بعين الضدّ تماماً يزعمون: فإنّ العلم اليوم³ ليس له أيّ إيمان بنفسه، ناهيك بمثل أعلى أرفع من ذاته⁴، - وحيثما هو على العموم لا يزال حماساً ومحبة وحرارة وعذاباً، هو ليس بالضدّ من ذلك المثل الأعلى النسكي، بل على الأرجح هو [397] صورته الأقرب عهداً والأكثر وجاهة. هل لهذا وقع غريب؟... أجل ثمة، حتى من بين علماء اليوم، جمعٌ كريم ومتواضع من العمّال⁵، أعجبه الركن الصغير الذي يقبع فيه، ولأنّه فرح بما عنده، هو في بعض الأحيان يرفع صوته بعض الشيء في نحو من التكبر، مطالباً بأنّ المرء يجب أن يكون على العموم راضياً، ولا سيّما في العلم، - فهنا تحديداً ثمة

1 - قارن: القديس بولس، رسالة رومة، 1: 13. وكذلك المقالة I، § 14.

2 - في الفقرات 23-27 سوف يكشف نيتشه عن خضوع العلم لوطأة المثل النسكية.

3 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 207.

4 - über sich

5 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 211.

عدد جَم من الأشياء المفيدة ينبغي فعلها. هذا رأي لا أخالفه؛ وليس لي أدنى رغبة في أن أفسد على هؤلاء العمال الشرفاء ما يجدون من لذة في صناعتهم: ذلك أنني مسرور بهذا العمل. ولكن أن في العلم الآن ثمة من يعمل بكد وأن هناك عاملاً قد وجد في ذلك مَرْضاته وراحته، فهذا ليس حجة أبداً على أن للعلم في كليته يملك اليوم هدفاً وإرادةً ومثلاً أعلى وحماسة الإيمان العظيم. إن الأمر، كما قلنا، هو بعين الضد: فحيث لا يظهر بوصفه الشكل الأحداث عهداً من المثل الأعلى النسكي، - يتعلق الأمر بحالات جد نادرة وجد نبيلة وجد مختارة بحيث لا يمكن أن نبذل من الحكم العام شيئاً - فإن العلم هو اليوم غطاء لكل ضرب من الضجر وعدم الإيمان وديب الندامة و²despectio sui والضمير المعبذب، - هو الانزعاج من الافتقاد أصلاً إلى مثل أعلى والتألم من غياب الحب الكبير والتذمر من قناعة إجبارية. آه كم من الأشياء لا يخفيها العلم اليوم! كم من الأشياء قد يجب على الأقل أن يخفيها! إن كفاءة أفضل علمائنا ومثابرتهم إلى حد الإغماء ورؤوسهم التي تنفث الدخان ليلاً ونهاراً وفن الاحتراف ذاته التي يجدوهم - كم أن كل ذلك إنما يجد معناه الأصيل في أن المرء يمنع نفسه من أن تصبح له بعض الأشياء جليّة! العلم بوصفه وسيلة تحدير للنفس: هل تعرفون هذا؟... إن المرء - ومن عاشر العلماء له عن ذلك خبر- ليجرحهم بالهين من اللفظ جرحاً يخالط اللحم والعظم، وإنه ليحمل سخط رفقاءه من العلماء في اللحظة التي يظن أنه يُنيلهم شرفاً، وإنه ليدفعهم إلى الخروج عن طورهم لمجرد أنه قد تهاون في تخمين مع من من الناس كان له شأن، مع المعذّين، الذين لا يريدون الاعتراف لأنفسهم [398] بما يكونون³، مع المخدّرين والمغمى عليهم، الذين لا يخشون إلا شيئاً واحداً: أن يعودوا إلى الوعي⁴...

24.

-والآن لينظر المرء على الضد من ذلك إلى تلك الحالات النادرة التي تحدث عنها، إلى آخر المثاليين الذين يوجدون اليوم ما بين الفلاسفة والعلماء: لعل المرء واجدٌ فيهم الخصوم المبحوث عنهم للمثل الأعلى النسكي، المثاليين المضادين له؟ في

1 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 6.

2 - باللاتينية في النص الألماني: "احتقار النفس". سبق أن وردت هذه العبارة في الفقرة 18.

3 - was sie sind

4 - عن نفسية العلماء، قارن: ما وراء الخير والشر، §§ 206 و 207.

الواقع، هم يعتقدون أنهم كذلك، هؤلاء الذين "لا عقيدة لهم" (وإنهم لذلك جميعاً)؛ ويظهر أن ذلك تحديداً هو الفصل الأخير من إيمانهم، أن يكونوا خصوم هذا المثل الأعلى، ويقدر هالة الجدّ التي تعلوهم في موقفهم هذا، بقدر ما تصبح كلماتهم وحركاتهم هاهنا تحديداً حارّة جارفة: - هل كان ذلك ضرورياً حتى يكون ما يؤمنون به صحيحاً؟... نحن "طلاب المعرفة" قد بتنا آخر الأمر في ريبة من كلّ أنواع المؤمنين؛ إنّ ربّتنا قد درّبتنا شيئاً فشيئاً على أن نستنتج بالعكس ممّا كان المرء يفعل قبل؛ أنّه في كلّ مكان حيثما تبرز قوّة إيمانٍ ما إلى الصدارة، علينا أن نستنتج ضعفاً معيّناً في إمكانية البرهنة عليها، بل حتى عدم مصداقية¹ موضوع الإيمان. نحن أيضاً لا ننكر أنّ الإيمان "يمنح الخلاص"؛ وإنّما لهذا السبب نحن ننكر أنّ الإيمان يبرهن على أيّ شيء، - إنّ إيماننا قوياً، يمنح الخلاص، فهو تهمة ضدّ ما يؤمن به، إذ هو لا يؤسّس "حقيقة"، بل يؤسّس مصداقية معيّنة - للوهم. والآن كيف هو الأمر في الحالة التي تهتمنا؟ - هؤلاء المكذّبون² والواقفون اليوم على حدة، هؤلاء الذين لا يقبلون قيداً ولا شرطاً في شيء واحد ووحيد، في مطلب النزاهة الفكرية، هاته العقول الشديدة على نفسها، الصارمة، المسككة المتعفّفة، البطولية، التي تمثّل موضع الفخر في عصرنا، كلّ أولاء الملاحة بلا لون ولا طعم، المضادّون للمسيحية³، المعادون للأخلاق⁴، العدميون، الريبون، المعلقون الحكم⁵، الذين ضربت حمّى المسلول⁶ في أرواحهم (والأمر الأخير يشترك فيه كفاة ودون استثناء، بمعنى أو بآخر)، هذا الرهط الأخير من مثالي المعرفة، الذين فيهم وحدهم اليوم [399] يجد الضمير الفكري⁷ موطناً والذين فيهم وحدهم قد تجسّد، - هم يعتقدون بأنفسهم في واقع الأمر أنهم قد تخلّصوا كأقصى ما يكون التخلّص من المثل الأعلى النسكي، هاته "الأرواح الحرة، الحرة جداً"⁸؛ وعلى

Unwahrscheinlichkeit - 1

2 - die Verneinenden. بالمعنى الدقيق: "النافون" من النفي: يجيبون بـ"لا" النافية.

3 - Antichristen.

4 - Immoralisten

5 - Ephektiker. من "ephexis" - تعليق الحكم. هم "الإفكتيقيون": "المعلقون الحكم".

6 - Hektiker. "الهكتيقيون" - مصطلح طبي يعني "متواصل"، ويشير إلى نوع من الحمّى التي تأخذ المريض بالسل. وددت أن أقول: "ضربت حمّى المتنبّي في عقولهم" (لولا فضول التراجع).

7 - عن الضمير في الأمور الفكرية، قارن: المعرفة المرحّة، §§ 2 و 335.

8 - وضع نيتشه هذه العبارة بين هالين تحفظاً وتهكماً. وهذا مثال حيّ على اللغة المضاعفة التي يكتب بها نيتشه: أن يستعمل نفس العبارة تارة في معنى موجب وإثباتي أي أرسقراطي (مثلاً

ذلك، وحتى أكشف لهم عما لا يستطيعون هم أنفسهم رؤيته - إذ هم يقفون جُذ قريباً من أنفسهم- إن هذا المثل الأعلى هو بالتحديد أيضاً مثلهم الأعلى، فهُم بالذات، ولا أحد آخر على الأرجح، يمثله اليوم، إنهم هم أنفسهم صنيعة الأكثر روحانية، كتيبة الحربية والاستطلاعية الأكثر تقدماً، شكله الإغرائي الأكثر مزالق، الأكثر تلطفاً، الأكثر استعصاء على الإمساك:- لو كنت بأي شكل اتفق قارئاً للألغاز، إذن لأردت أن أكون ذلك بهذه القولة!!! إنهم لا يزالون بعيداً عن أن يكونوا أرواحاً حرة: إذ لا يزال لديهم إيمان بالحقيقة¹... عندما حدث للصليبيين النصارى أن اصطدموا في الشرق مع فرقة الحشاشين² التي لا تُقهر، هذه الفرقة من العقول الحرة³ par excellence، حيث كان الأدنون درجة يعيشون في ضرب من الطاعة، لم تبلغ إلى مثله أئمة فرقة من الرهبان، هم قد أخذوا أيضاً على أي نحو اتفق إشارة ما إلى ذلك الرمز والحرف المنقوش الذي كان حكراً على الأعلين درجة بمثابة Secretum⁴ محفوظ فيما بينهم: "لا شيء حقيقي، كل شيء مباح"... حسنٌ، ذلك كان ضرباً من حرية العقل، وبهذا أعلن عن إلغاء⁵ الإيمان بالحقيقة نفسها... هل سبق لعقل حر أوروي، مسيحي، أن تاه يوماً وتحير في هذه القولة وتوابعها المتشعبة؟ هل عرف مينوتروس⁶ هذا الكهف عن تجربة؟... أنا أشك في ذلك، بل أكثر من ذلك، أنا أعرف أن الأمر يجري على نحو آخر:- لا شيء أبداً أكثر غربة عن هؤلاء المتعلقين دون قيد أو شرط بشيء واحد ووحيد، عن هاته "الأرواح الحرة" المزعومة، من الحرية والتخلص من القيود في كل معنى، ومن كل الوجوه هم ليسوا على وجه التخصيص أوثق قيداً تماماً هم في إيمانهم بالحقيقة تحديداً، كما لم يكن أحدٌ، على نحو راسخ ولا مشروط. وأنا على الأرجح أعرف كل ذلك عن كثب: هذا الامتناع الفلسفي الذي

وصف الفلاسفة بأنهم "أرواح حرة" وطورا في معنى ساخر ومضاد، أي في وصف العبيد والأنباط الارتكاسية (مثلاً: وصف الكهان بأنهم "أرواح حرة جداً"). قارن: ما وراء الخير والشر، § 44 (حيث تطلق العبارة على الفلاسفة).

1 - قارن بخاصة: ما وراء الخير والشر، § 1.

2 - der Assassinen-Odren. تعني لفظة "der Orden" الطريقة أو الفرقة بالمعنى الديني.

3 - بالفرنسية في النص الألماني: "بامتياز".

4 - باللاتينية في النص: "سر".

5 - gekündigt. هو "إعلان" (künden) دوناً "إلغاء" (kündigen) حقيقي.

6 - der Minotauros. كائن خرافي نصف بشري ونصف حيواني (ثور) في الميثولوجيا اليونانية.

قارن: ما وراء الخير والشر، § 29.

يستحق الثناء، الذي يستوجبه هكذا إيمان، هذا النوع من رواقية العقل¹، الذي يمنع نفسه في آخر الأمر بنفس الصرامة من قول لا كما من قول نعم، هذا النحو من إرادة البقاء عند الوقائع، عند *factum brutum*²، هذا الضرب من جبرية الـ "petits faits"³ (petit faitalisme) [400] ce⁴، كما أسميه)، التي فيها أخذ العلم الفرنسي يبحث اليوم عن ضرب ما من الأولوية الأخلاقية على العلم الألماني، هذا الامتناع عن القيام بأي تأويل بعامة (بأي عنف أو تعديل أو اختصار أو حذف أو سدّ للثغرات أو اختلاق أو تزيف وسائر ما يدخل في ماهية كلّ تأويل) - كلّ ذلك إنّما يعبر، متى أخذ في جملته، عن نُسْكِة⁵ الفضيلة، بنفس القدر الذي يعبر به عنها أي نفي لشهوة الحس (لا يتعلق الأمر في الأساس إلا بضرب⁶ من هذا النفسي). لكنّ ما يُكره عليها⁷، هذه الشاكلة من إرادة الحقيقة غير المشروطة، إنّما هو الإيمان بالمثل الأعلى التسكي ذاته، حتى وإن كان ذلك في شكل أمر قطعي لا يعي به، على المرء ألا يغترّ في هذا الأمر، - إنه الإيمان بقيمة ميتافيزيقية، قيمة ما للحقيقة في ذاتها، كما لا يمكن أن تُكفّل أو تُقنّن إلا في حضن هذا المثل الأعلى وحده (قيمة تقوم وتسقط مع هذا المثل الأعلى). ومتى أخذنا بالصرامة في ما نحكم، فإنّه ليس ثمة أي علم "بلا فرضيات"⁸، إنّ فكرة من هذا النوع هي ممّا لا يمكن التفكير فيه، وأمر مجانب للمنطق: إنّّه لا بدّ أن يكون هناك قبل على الدوام "فلسفة" ما، "عقيدة" ما، حتى يمكن للعلم أن يأخذ منها وجهة ما، معنّى ما، حدّاً، منهجاً ما، وحقّاً ما في الوجود. (أمّا من يفهم الأمور عكساً، من أعدّ العدة على سبيل المثال لإرساء الفلسفة "على قاعدة علمية صارمة"، إنّما سيكون عليه أولاً أن يضع ليس الفلسفة فحسب بل الحقيقة ذاتها أيضاً رأساً على عقب: وهذا أصبح سلوك مشين يمكن أن يُقترف بإزاء امرأتين شريفتين بهذا القدر!) أجل،

1 - der Stoicismus des Intellekts -

2 - باللاتينية في النص: "الواقعة الخام".

3 - بالفرنسية في النص: "الوقائع الصغيرة".

4 - بالفرنسية في النص الألماني: "الوقائعية الصغيرة".

5 - der Ascetismus -

6 - modus -

7 - الضمير يعود على "نُسْكِة الفضيلة".

8 - "voraussetzungslos" -

9 - eine Grenze. الحدّ بالمعنى المكاني.

ليس ثمة من شك - وفي هذا أنا أترك الكلمة لكتابي "المعرفة المرحّة"، قارن الكتاب الخامس، ص 263¹ - "إنّ الصادق، بهذا المعنى الجريء والتام على النحو الذي يفترضه الإيمان بالعلم، إنّما يثبت بذلك عالماً آخر غير عالم الحياة والطبيعة والتاريخ؛ ومن جهة ما يثبت هذا "العالم الآخر"، كيف؟ أليس عليه بذلك - أن ينفي الطرف المقابل، هذا العالم، عالمنا؟...² إنّ إيماناً ميتافيزيقياً ما هو ما عليه على الدوام كان وما زال يقوم إيماننا [401] بالعلم، - نحن أيضاً، عارفي اليوم، نحن الذين لا إله لهم³ والمضادين للميتافيزيقا، نحن أيضاً لازلنا نأخذ شرارتنا من هذا الحريق الذي كان أشعله إيمان له من العمر ألف سنة، هذا الإيمان المسيحي، الذي كان أيضاً إيمان أفلاطون، بأنّ الإله هو الحقيقة، أنّ الحقيقة إلهية... ولكن ماذا لو أنّ هذا الإيمان بالتحديد ما فتى يصير أكثر فأكثر غير خليق بأن يؤمن به، لو تبين أن لاشيء إلهي، إلّا أن يكون الخطأ والعمى والكذب، - لو تبين أنّ الإله ذاته هو كذبتنا الأطول أمداً؟" - - عند هذا الموضع حقيق علينا أن نتوقّف وأنّ تتمعّن في ذا الأمر طويلاً. إنّ العلم ذاته يحتاج منذ الآن إلى ضرب من التبرير (على أنّ ذلك لا يعني أبداً أنّه يتوقّف على هكذا تبرير). ولننظر المرء من جهة هذا السؤال إلى الفلسفات الأقدم كما الأحداث عهداً؛ إنّها جميعاً لا تعي إلى أيّ مدى تحتاج أولاً إرادة الحقيقة ذاتها إلى تبرير، وهنا توجد ثغرة في كلّ فلسفة، من أين تأتي ذلك؟ لأنّ المثل الأعلى النسكي قد بسط سيادته إلى الآن على الفلسفة، لأنّ الحقيقة قد وُضعت وضعاً بوصفها كينونة، بوصفها إلهاً، بوصفها الهيئة العليا ذاتها، لأنّ الحقيقة لا يحقّ لها أبداً أن تكون مشكلاً. هل فهم المرء "بحقّ" هذه؟ - فمذ اللحظة التي يُنفى فيها الإيمان بالإله المثل الأعلى النسكي، ثمة أيضاً مشكل جديد: إنّّه ذاك الذي يخصّ قيمة الحقيقة. - إنّ إرادة الحقيقة إنّما تحتاج إلى نقد - ولنعيّن بذلك مهمّتنا الخاصة -، إنّّه ينبغي مرة واحدة وعلى سبيل التجربة وضع إرادة الحقيقة⁵ موضع سؤال... (أمّا من بدا له هذا القول مقتضياً، فإنّ عليه أن يعيد قراءة تلك الفقرة من "المعرفة المرحّة" التي تحمل عنواناً لها: "بأيّ وجه نحن أيضاً

1 - يحيل نيتشه هنا على طبعة المعرفة المرحّة (§ 344) التي ظهرت سنة 1887 مزيدة بكتاب خامس هو المشار إليه هنا.

2 - يقوم نيتشه هنا بحذف جملة صغيرة من هذا الشاهد المقتطف من كتاب المعرفة المرحّة، الفقرة 344.

3 - Gottlosen

4 - dürfen. هذا فعل خطير منذ كانط الذي استعمله في صياغة سؤاله النقدي الثالث: "ماذا يحقّ لي أن أرجو؟". راجع أيضاً الفقرة 1 من المقالة الثانية.

5 - قارن بخاصة: ما وراء الخير والشر، § 1.

لازلنا أتقياء" ص 260 وما بعدها¹، والأفضل أن يأتي على جملة الكتاب الخامس من المؤلف المذكور، وكذلك على تصدير "الفجر".

[402]

25.

كلّا! على المرء ألاّ يأتيني بالعلم، حينما أبحث عن المعارض الطبيعي للمثل الأعلى التّسكي، حينما أسأل: "أين هي الإرادة المعاكسة التي من خلالها سيعبّر المثل الأعلى المعاكس عن نفسه؟" هذا أمر لازال العلم بعيدا عن أن يعتمد فيه على نفسه كفاية، فهو يحتاج قبل من كل الجوانب إلى مثل أعلى للقيم، إلى قدرة خلاقة للقيم، في خدمتها فحسب يحقّ له أن يؤمن بذات نفسه، - إذ هو ذاته لم يكن أبدا خلاقا للقيم. إنّ علاقته بالمثل الأعلى التّسكي هي لا تزال في ذاتها بريئة تماما من أنحاء المعارضة، بل هو في الأساس يمثل حتى القوة التي تدفع تشكّله الداخلي قُدْماً. إنّ معارضته وكفاحه لا يتعلّقان، متى تُقْضَى الأمر، بهذا المثل الأعلى أبدا، وإنّما فقط بتأثيره الخارجي وما يتّخذ من لبوس وما يلعبه من أقنعة، وفي بعض الأحيان بتحقّره وتخشبه² وتحوّله إلى عقائد جامدة³ - إنّه ما يجعل الحياة فيه⁴ حرة مرة أخرى، وذلك بأن ينفي ما هو دخیل عليه. هذان الاثنان، العلم والمثل الأعلى التّسكي، إنّما هما قائمان على أرضية واحدة - ذلك أمر قد بات مفهوماً: - نعني تحديدا على نفس الاسراف في تقدير الحقيقة (بشكل أصح: على نفس الإيمان بأنّ الحقيقة شيء لا يُقدّر، شيء لا يقبل النقد)، إنّها بذلك حليفان ضرورة، - بحيث لو فرضنا أنّ ثمة مدعاة لخوض حرب ضدهما، فإنّه لا يمكن دوما محاربتهما أو وضعهما موضع سؤال إلّا سوية. إنّ أيّ تقدير لقيمة المثل الأعلى التّسكي إنّما يجزّ أيضا وراءه على نحو لا مردّ له تقديرا ما لقيمة العلم: هذا أمر على المرء أن يتسلّح له للتوّ بعيون ثابتة وآذان حادة! (إنّ الفنّ، حتى نقول ذلك استباقا، إذ أنّي سوف أعود إلى هذا الأمر في وقت ما على نحو أكثر إسهابا، -

1 - المعرفة المرحلة، § 344.

2 - Verholzung -

3 - Verdognatisierung -

4 - الضمير يعود على "العلم".

5 - الضمير يعود على "المثل الأعلى".

الفنّ الذي فيه بالتحديد صار الكذب مقدّساً، وتوفّرت إرادة الخداع من جانبها على ضمير نقّي السريرة، إنّها يقف ضدّ المثل الأعلى التّسكي على نحو أرسخ وأعمق ممّا يفعله العلم بكثير¹؛ إنّ ذلك هو ما استشعرته غريزة أفلاطون، هذا العدو الأكبر للفنّ، الذي أنتجته أوروبا إلى حدّ الآن. أفلاطون ضدّ هوميروس²؛ هذا هو التعارض التام، الأصل [403]- هناك، "الأخروي" الذي تحرّكه أفضل إرادة، المجدّف الكبير على الحياة، وهنا، مؤلّهُها غير المتعمّد، الطبيعة الذهبية. إنّ استغلال الفنان في خدمة المثل الأعلى التّسكي هو لذلك أكبر نوع من الفساد الذي يمكن أن يصيب الفنان يوماً، ومن المؤسف أنّه من بين الأكثر شيوعاً: ذلك بأنّه لاشيء أكثر قابليّة للفساد من فنّان. وكذا الأمر أيضاً متى فحصناه على نحو فزيولوجي، فإنّ العلم والمثل الأعلى التّسكي إنّما يقفان على الأرضية عينها: إنّ تفقيراً معيّناً للحياة هو الشرط السابق هنا كما هناك، - المشاعر التي صارت فاترة، السرعة المتباطئة، الجدل³ في مكان الغرائز، الجّد الذي يعلو الوجوه والحركات (الجّد، هذه الأمانة التي لا يمكن أن نخطئها عن ذلك الشكل الشاقّ من التّغذي⁴ الذي تعاني منه الحياة العاملة التي تكافح جُهدَ نفسها). فليُنظر المرء في العصور التي مرّت على شعب، حيث برز العالم إلى موقع الصدارة: إذن لألفاها عصور التعب، وفي أكثر الأحيان عصور الغروب والأفول، - أمّا القوة الغامرة والثقة بالحياة والثقة بالمستقبل فقد صارت أثراً بعد عين. - إنّ غلبة المثقّفين المتنفّذين⁵ لا تدلّ أبداً على شيء جيّد: ليس أقلّ من صعود الديمقراطية ومحاكم سلمية بدلا عن الحرب والمساواة في الحقوق مع المرأة وديانة الشفقة وكلّ ما هناك من أعراض الحياة الذاهبة إلى حتفها. (العلم مأخوذاً بوصفه مشكلاً؛ ماذا نعني بالعلم؟- قارن في هذا الشأن مع تصدير⁶ "مولد التراجيديا"). - كلا! هذا "العلم الحديث" - فلتفتحوا أعينكم على هذا!- إنّها هو الساعة أحسن حليف للمثل الأعلى التّسكي، وذلك تحديداً من أجل أنّه الحليف الأقلّ وعياً بما يجري

1 - قارن: المعرفة المرحلة، §§ 57-60.

2 - اشتغل نيتشه على هوميروس وهزبود نحو 1869. قارن: مولد التراجيديا، § 8.

3 - قارن: أفول الأصنام، فصل "مشكلة سقراط".

4 - der Stoffwechsel. مصطلح فزيولوجي يعني تحوّل الغذاء إلى طاقة.

5 - der Mandarin. لفظة شهيرة تعني "وزير صيني". ثمّ شاعت لتشير إلى "المثقّف المتنفّذ" في بلده، كما كان حال "علماء" الملة.

6 - هو النص الذي كتبه نيتشه سنة 1886 تحت عنوان: "محاولة في النقد الذاتي".

والأقلّ تعمّدا لما يفعل، الأكثر تكتمًا والأعمق غورا! هم قد لعبوا إلى حدّ الآن لعبة واحدة أولاء "فقراء الروح"¹ والمعارضون العلميون لهذا المثل الأعلى (وليحذر المرء، لنقل ذلك دون إلحاح، من أن يظنّ أنهم على النقيض من هذا المثل الأعلى، كأن مثلاً أغنياء الروح:- هم ليسوا كذلك، وقد سمّيتهم أولئك الذين ضربت حمى المسلول أرواحهم²). تلك الانتصارات الشهيرة لهؤلاء: دون شك، هي انتصارات- ولكن على ماذا؟ إنّ المثل الأعلى النّسكي هو [404] لم يُنتصر عليه فيها أبدا ولا بوجه من الوجوه، بل هو قد ازداد بذلك قوّة أعني قد صار أكثر فأكثر يُطلب فلا يدرّك، روحياً أكثر ومُربكاً أكثر، وذلك كلّما تعرّض سور من أسواره أو واجهة أضافها إلى بنائه وأدخلت بعض الخشونة على مظهره، إلى هجوم من قبل العلم نقض أسسه بلا رحمة. هل يظنّ المرء بالفعل أنّ هزيمة الفلك اللاهوتي مثلاً تعني هزيمة هذا المثل الأعلى؟...هل صار الإنسان بذلك ربّما أقلّ حاجة إلى حلّ أخرويّ للغز كيانه من قبل أنّ هذا الكيان قد أخذ يبدو منذئذ أكثر اعتباطاً وأكثر انزواءً وأكثر خصاصة في النظام المنظور للأشياء؟ أليس تصغير الإنسان لنفسه وإرادة تصغير نفسه بخاصة أمراً في تقدّم لا مردّ له منذ كوبرنيك؟ آه، إنّ الإيمان بكرامته وفرداته وكونه لا يُعوّض في سلّم الكائنات، هي أمور قد ولّت، - لقد صار حيواناً، حيواناً، بلا صورة³ ولا قيد ولا تحفّظ، هو، الذي كاد يكون في إيمانه السابق هو الله ("ابن الله"، "الإنسان-الإله")... منذ كوبرنيك يبدو الإنسان وكأنّه على بساط مائل، - إنّه يتعدّد دوماً عن مركزه بشكل أسرع فأُسرع من ذي قبل- إلى أين؟ إلى العدم؟ إلى "الشعور الثاقب بالعدم"؟... حسن! إنّ هذا قد يكون هو الطريق المستقيم- نحو المثل الأعلى القديم؟ كلّ علم (وليس الفلك وحده إطلاقاً، هذا الذي عن تأثيره المُهين والمُنزل إلى الحضيض، كان كانط قد سجّل اعترافاً جديراً بالملاحظة، "هو يقضي على أهمّيّتي"...)، كلّ علم، أكان طبيعياً أو غير طبيعيّ- كذا أسَمّي النقد الذاتي للمعرفة- إنّما همّ اليوم أن يجرّد الإنسان تماماً يملكه من احترام أمام ذاته إلى حدّ الآن، كأنّ هذا الاحترام ما كان إلّا نزوة وغرورا؛

1 - فارن: إنجيل متى، 5: 3.

2 - die Hektiker des Geistes. راجع: الفقرة 24.

3 - das Gleichnis . يبدو لنا أنّ نيتشه يستعمل هذه اللفظة مع الإيحاء بالمضمّر التالي: "nach dem Gleichnis Gottes" - في معنى "خلق آدم على صورة الربّ".

4 - يعرّض نيتشه هنا بمقطع من خاتمة نقد العقل العملي.

بل قد يمكن للمرء أن يقول إنه قد وضع كبرياءه وشكله الخاص المر من السكينة¹ الرواقية في هذا، أن يُبقي على هذا النحو من عدم احترام الإنسان لنفسه، الذي لم يبلغ إليه إلا بشقّ الأنفس، بوصفه المطلب الأخير والأكثر جدية عن الاحترام لذاته (وهو على حق، في [405] واقع الأمر: إذ أن الذي لا يحترم هو على الدوام لا يزال شخصاً "لم ينس أصول الاحترام"...). هل أن ذلك يعمل حقاً ضدّ المثل الأعلى التّسكي؟ هل مازال المرء بالفعل يظنّ بكلّ ما أوتي من جدّ (كما تحيّل علماء اللاهوت في وقت ما)، أن انتصار كانط²، مثلاً، على العقيدة المفهومية للاهوت ("إله"، "نفس"، "حرية"، "خلود") قد أدّى إلى انكسار هذا المثل الأعلى؟- لا يجب أن يهتّمنا الآن ما إذا كان كانط ذاته قد كان في نيته أصلاً شيء من هذا القليل. ما هو مؤكّد هو أن كلّ أنواع الترنسندنتالين³ هم منذ كانط قد كسبوا اللعبة من جديد، - لقد تحرّروا من اللاهوتيين: يا لحظهم السعيد!- فهو قد كشف لهم عن ذلك الممرّ السري الذي من خلاله يحقّ لهم منذ الآن أن يتبعوا "رغبات قلوبهم" من تلقاء أنفسهم وبحسب أفضل السلوكات العلمية. كذلك: من بمقدوره حقاً أن يؤاخذ اللاأدرين⁴، حين يعمدون، هم عبّاد المجهول والسّر المكنون في ذاته، إلى عبادة علامة الاستفهام ذاتها بوصفها إلهاً؟ (تكلم كسافير دودان⁵ ذات مرة عن *les ravages*⁶ التي خلّفتها "عادة الإعجاب باللامعقول بدل البقاء عند المجهول فحسب"⁷؛ وهو يعتقد أن القدماء قد أفلحوا في تفادي ذلك.). ولو فرضنا جدلاً أن كلّ ما "يعرفه" الإنسان لا يلبي رغبته، بل هو على الأرجح يضادّها ويحملها على أن تقشعرّ منه، فأني مخرج إلهي يسمح لنا بالبحث عن الذنب الناجم عن ذلك ليس في "الرغبة" وإنّما في "المعرفة"!!! "ليس ثمة معرفة: إذن- ثمة إله": أيّ ضرب جديد من الـ *elegantia syllogismi*! وأيّ انتصار للمثل الأعلى التّسكي!

Ataraxie - 1

2 - قارن: المسيح المضاد، §§ 10-11؛ الفجر، التصدير § 3.

3 - die Transcendentalisten

4 - die Agnostikern

5 - Xaver Doudan. سياسي وكاتب فرنسي من النصف الثاني من القرن التاسع عشر. له: *مفترقات ورسائل* (1876)

6 - بالفرنسية في النص الألماني: "الأضرار المدمرة"

7 - هذا الشاهد أورده نيتشه بالفرنسية دون أن يترجمه.

- أم أنّ الكتابة التاريخية الحديثة برمتها قد كشفت عن موقف أكثر ثقة بالحياة، أكثر ثقة بالمثل الأعلى؟ إنّ مطلبها الأكثر نبلا هو الآن أن تكون مرآة؛ إنّها تستهجن كلّ غائيّة؛ ولم تعد تريد أن "تبرهن" على أيّ شيء؛ إنّها [406] تأبى أن تلعب دور القاضي، وتجد في ذلك آية على ذوقها الرفيع، - إنّها لا تثبت ولا تنفي إلا قليلا، هي تعين و"تصف"... كلّ ذلك إنّما هو على درجة عالية من التّشكك؛ إلاّ أنّه في نفس الوقت على درجة عليا أيضا من العدميّة، على المرء ألاّ ينجذع نفسه حول هذا الأمر! يرى المرء إذ يرى نظرة حزينة، حادة، ولكن ذات حزم واعتزام، - عيناً تحدّق إلى بعيد، كما يحدّق مسافر متوحد في القطب الشمالي (ربما حتى لا يحدّق إلى الداخل؟ حتى لا يحدّق إلى السوراء؟...) هنا يوجد ثلج، هنا الحياة قد صمتت؛ والغربان الأخيرة التي ستبعث بأصواتها ههنا إنّها تسمّى "ما الفائدة؟"، "لا جدوى"، "Nada!" - ما عاد هاهنا شيء لينمو أو لينبت، اللهم إلاّ ميتابوليطيقا بيترسبورغ² و"شفقة" تولستوي³. أمّا ما يخصّ ذلك الصنف الآخر من المؤرخين، صنف ربّما هو "أكثر حداثة"، صنف مُعَيّ، سهوانيّ، مغازلٌ للحياة تماما كما للمثل التّسكي، يستخدم كلمة "فنان" كما قفاز ويستأثر اليوم لنفسه كلفة بتقريب التأمل: أه أيّ ظمأ متنسّكين ومناظر شتويّة يثيره هؤلاء الظرفاء أنفسهم! كلا! ليذهب هذا الشعب "التأمل" إلى الجحيم! وكم أحبّ إليّ أن أهيّم مع أولاء المؤرخين العدميين عبر أجواء الضباب الباردة، الأكثر عبوساً والتي تدفع على الفرع! - أجل، ليس لي أن أهتمّ، متى فرضنا أنّه عليّ أن أختار، حتى لو أنّني أطرقت السمع للتأريخين، للمضادين لكلّ ما هو تاريخي (مثل ديهرينغ هذا، الذي سحر بطنينه في ألمانيا الراهنة نوعٌ لازال إلى حدّ الآن خجولا وغير معترف به من "النفوس الجميلة"، الـ *Species anarchistica* داخل البروليتاريا المثقفة). إنّ "التأمّلين" أسوأ مائة مرة: فأنا ما عرفت شيئا يدفع على التقرّز من هكذا كراسٍ "موضوعية"، من طالب متعة متعطر يكتب التاريخ، نصف

1 - بالإسبانية في النص الألماني وتعني: "لا شيء". عن السباق نحو العدم، قارن: المسيح الضاد، §§ 4-6.

2 - Metapolitik Petersburg. قارن: المسيح المضاد، § 7.

3 - تعريض واضح بما آل إليه أدب تولستوي بعد 1882، من تحول ديني، يعتنق الدفاع عن نمط عيش يقوم على الطيبة والبساطة قريب من حياة المزارعين البسطاء.

4 - باللاتينية في النص: "النوع الفوضوي". وهو مصطلح يعود إلى تصنيفات علماء الطبيعة.

كاهن، نصف جَنِّي، من parfum رينان¹، الذي من النشاز الحاد لتهاليله، يرشح بعدُ ما ينقصه، أين ينقصه، وأين عبثت يدُ القدر² في هذه الحالة بمقصّها القاسي أه! على نحو جراحيّ، جراحيّ جدًّا! ذا أمر يمجّه [407] ذوقي ويُعيل صبري؛ فليطق صبراً أمام هكذا مناظر، من ليس له هاهنا ما يخسره، - أمّا أنا، فإنّ هكذا منظراً يقبض نفسي، إنّ هكذا "متفَرّجين" يدفعون بي إلى السخط على "الفرجة" أكثر ممّا أسخط على ما تنفَرّج عليه (التاريخ نفسه، لا بدّ أنّكم فهمتم قصدي)، ومن حيث أدري ولا أدري شعرت بمزاج أنكرُيُونطِيقي³. يا لهذه الطبيعة التي أعطت الثور قرونا والأسد χάρμ' ὀδόντων⁴، لماذا أعطتني قدماً؟ ... - للركل، كما يقول أنكريون المقدّس! وليس فقط من أجل الهروب؛ لركل كلّ الكراسي المتداعية للسقوط والهدوء التأمليّ⁵ الجبان وكتابة التاريخ بشهوة الخُصيان ومغازلة المثل العليا التّسكّيّة ورياء العدالة الذي يعتور العاجزين وكلّ ذي عتّة! كلّ الاحترام للمثال التّسكّي، شريطة أن يكون جديراً بالاحترام! شريطة أن يؤمن بنفسه وألاّ يكون بنا هازئاً! بيد أنّي لا أحبّ كلّ هذا البقّ المتأنّق الذي يطمع بشكل نهم في أن يستنشّق اللّامتناهي إلى حدّ بحيث أنّ اللّامتناهي يقبل في نهاية الأمر أن يستنشّق البقّ؛ لا أحبّ الأضرحة المطليّة التي تحاكي الحياة؛ لا أحبّ المتعبين والمنهكين الذين يلتحفون بالحكمة وينظرون "بشكل موضوعي"؛ لا أحبّ المشاغبين المتزّيين كالأبطال، الذين يضعون قُبعة سحرية⁶ من المثل على مكنسة القشّ التي يحسبونها رؤوساً؛ لا أحبّ الفنّانين الطامحين الذين يريدون أن يمثّلوا النّسّاك والكهّان وهم في واقع الأمر ليس سوى مهرّجين تراجيديين؟ كذلك أنا لا أحبّهم، أولاء المضاربين الجدد في المثالية، المعادين للسامية، الذين زاغت أعينهم اليوم وقد ظهروا في مظهر الرجل-المسيحيّ-الآرّي-المُخلص،

Renan - 1

2 - die Parze. بالمعنى الأدبي: يد الموت أو القدر. وفي الميثولوجيا، هي إحدى الربّات الثلاث اللواتي ينسجن خيوط الحياة البشرية.

3 - anakreontische Launen. من اللاتينية "anacreonticus" من اليونانية "Anakreôn" و"ontos"، نسبةً إلى الشاعر Anacréon الذي اشتُهر حوالي 540 ق.م. وعُرف بأشعار غنائية.

4 - باليوناني في النص: chasm' odontôn، "شِدْق فاغر بأنياب معقوفة".

5 - Beschaulichkeit.

6 - die Tarnkappe. طاقة تُستعمل للاختفاء عن الأنظار.

7 - صورة العالم الحديث وقد أخذ هيئة الكاهن. ولذلك علينا أن نأخذ لفظة "تراجيدي" هنا في معنى ارتكاسي أو نفسي، وليس في المعنى الخلاق للقيم.

في جنولوجيا الأخلاق

وباستخدام سيء لوسائل التحريض التي ينفذ معها كل صبر أو أناة، للتصنّع الأخلاقي، هم يسعون إلى استثارة كل عناصر الشعب من ذوات القرون (-) أن كل ضرب من تضليل الأرواح¹ في ألمانيا الحالية لا يبيء بالفشل، إنما يرتبط بما وقع من خراب للروح الألماني على نحو صار لا جدال فيه بل وبات ملموساً، أنا أبحث عن أسبابه في غذاء محصور بشكل مفرط في الجرائد والسياسة والجمعة وموسيقى فاغتر²، بالإضافة إلى ما [408] يمثل الشرط المسبق لهذه الحمية: الانحصار والغرور القومي، والمبدأ القوي ولكن الضيق الأفق "ألمانيا، ألمانيا فوق كل شيء"³، ولكن أيضاً ال *paralysis agitans*⁴ لك "الأفكار الحديثة"⁵. إن أوروبا اليوم هي غتية وخلاقة ولكن بالأساس في وسائل الإثارة، ويظهر أنه لاشيء أكثر ضرورة لها من الـ *stimulantia* والمشروبات الحارقة: من هنا أيضاً هذا التزييف الهائل في المثل، وهذه المشروبات الأكثر حرقاً للروح، ومنه أيضاً هذا الهواء الكريه، المثير للغثيان، الكاذب، شبه الكحولي، المنتشر في كل مكان. وأنا أود أن أعرف كم من حولة من المثالية المزيفة⁷، من أزياء الأبطال والصفائح المجلجل بالكلمات الرنانة، كم من الأطنان من التعاطف الكحولي المحلي بالسّكر (شركة: *la religion de la souffrance*)، وكم من عكاكيز من "السخط النبيل" لمساعدة الأقدام المسطحة على صعيد الروح، كم من كوميدّي المثال الأخلاقي المسيحي قد ينبغي اليوم أن يُصدّر خارج أوروبا حتى يفوح هواؤها من

1 - Schwindel-Geisterei. التضليل الفكري في مقابل "die Freigeisterei" - حرية التفكير الخاصة بالفلاسفة.

2 - موسيقى تعمل مثل الحماسة المدمرة لذاتها، حماسة السكير، ولذلك يجتذ الألمان إدانة "الحماسة" كما فعل كانط. قارن: الفجر، § 207.

3 - من قصيدة الشاعر الألماني أوغست هاينريش فون فالرسلين (Fallersleben)، يحمل عنوان "نشيد الألمان"، والذي صار فيما بعد هو النشيط الوطني.

4 - باللاتينية في النص: "شلل الارتعاش". وما صار يسمى في طب اليوم "مرض باركينسن".

5 - طريقة ساخرة لدى نيته في نقد قيم الحداثة، كما فعل ذلك في كتاب ما وراء الخير والشر. وهي أفكار يردها نيته بالأساس إلى قرارات من هذا القبيل: 1. رفض التراتب بين الأنماط البشرية؛ 2. نبذ أي قيم تدافع عن المعاناة البشرية؛ 3. الدفاع عن قيمة المساواة الأخلاقية والسياسية؛ 4. الحس الديمقراطي؛ 5. الشفقة على المعذبين... وهو يحكم عليها بأنها تربة خصبة للعدمية: فقدان كل القيم صلاحياتها ومجيء "الإنسان الأخير"، الحيوان العدمي الذي لم يعد يحركه أي هدف كبير على الأرض.

6 - باللاتينية في النص: "المبتهات"، "المؤثرات".

7 - nachmachen. في معنى تزييف العملة أو الحلي.

8 - بالفرنسية في النص الأصلي: "ديانة العذاب".

جديد أكثر نقاء... من البينّ أنّه توجد بالنسبة إلى هذا الإنتاج المفرط إمكانية مفتوحة لتطوير تجارة جديدة، ومن البينّ أنّه يمكن أن نعقد "صفقة" جديدة بواسطة أصنام مثالية صغيرة و"مثاليين" مناسبين- على المرء ألا يُغفل هذا التلميح! من له ما يفي من الشجاعة على ذلك؟ نحن نملك بين أيدينا أن "نؤمّل" الأرض برمتها!...ولكن ما لنا وللشجاعة: ليس من حاجة هنا إلا لأمر واحد، اليد، تحديدا، يد غير مرتبكة، غير مرتبكة تماما...

27.

- كفى! كفى! دعونا من فضوليات ومركبات الروح الحديثة، هذه، التي هي عندنا مدعاة للضحك كما للانزعاج؛ فإنّ المشكل الذي يَخْصُنَا إنّما يمكنه الاستغناء عنها، المشكل الذي يتعلق بدلالة المثال التّسكّي، - ماذا عساه يفعل بالأمس واليوم! تلك أشياء قد يجب عليّ أن أفحص عنها في سياق آخر على نحو أشدّ عمقا وأكثر حدّة (تحت عنوان "في تاريخ العدمية الأوروبية"؛ وأنا أحيل حول [409] هذا الأمر على عمل أنا بصدد إعداده: إرادة الاقتدار، محاولة في قلب جميع القيم²) إنّ ما يهمني فحسب أن أكون قد أشرت إليه هنا هو هذا: أنّ المثال التّسكّي مازال يملك الساعة حتى في الدائرة الأكثر تعلّقا بشؤون الروح نوعا واحدا على الدوام من الأعداء والمُضْهِرين الحقيقيين: ألا وهم كوميديو هذا المثل الأعلى، - وذلك لأنهم يثيرون الارتباب. أمّا في أيّ مكان آخر، حيثما يكون الروح اليوم منهمكا في عمله، صارما، مقتدرا وبلا تزييف، فهو الآن في غنى عن المثال بعامّة- والعبارة الشعبية لهذا النحو من الإمساك هي "الإلحاد"³-: باستثناء إرادته للحقيقة. لكنّ هذه الإرادة، هذه البقية الباقية

1 - idealisiren

2 - عنوان كتاب صرنا نعرف اليوم أنّ نيتشه لم يكتبه بل ربما تخلى عن فكرة كتابته بعد أشهر قليلة من نشر جنياولوجيا الأخلاق. را:

- Mazzino Montinari, "La Volonté de puissance" n'existe pas (Paris : Édition de l'Eclat, 1996).

3 - "Atheismus" der. يبدو لنا أنّ استعمال الهالين هنا للتأكيد على المعنى العامّي والشعبي ومن ثمّ غير النظري والخطأ لهذا المصطلح: "الإلحاد" أو "الزندقة" أو "الكفر" بالمعنى اللاهوتي وكجزء من المعجم الديني نفسه. ولذلك يجدر بنا أن نبحت عن ترجمة أخرى، محايدة، غير لاهوتية، أي غير مشحونة بحكم قيمة ديني، لتأدية المعنى النظري والفلسفي لمصطلح Atheismus تحت قلم نيتشه ولاسيا حين يستخدمه من دون هالين. وهو ما سيفعله بعد أسطر قليلة، حيث يكون

في جنيا لوجيا الأخلاق

من المثال، إنّها هي، متى أراد المرء أن يصدّقني، هذا المثال ذاته في صياغته الأكثر صرامة والأكثر روحانية، الباطنية كليةً، المجردة من كلّ إضافة خارجية، بحيث هي ليست بقيته بقدر ما هي نواته. إنّ الإلحاد غير المشروط والنزبه (- وإنّ هواءهُ هو الوحيد الذي تنتفّسه، نحن الأناس الأكثر روحانية من غيرنا في هذا العصر!) لا يقف بذلك في تعارض مع هذا المثل الأعلى، كما قد يظهر لنا؛ بل ما هو على الأرجح سوى واحد من الأطوار الأخيرة من تطوّره، وأحد أشكاله النهائية واستتبعاته الصميمة، - إنّ الكارثة التي تفرض الاحترام الناجمة عن ألفي سنة من التدريب على الحقيقة، أدّى في نهاية الأمر إلى الامتناع عن أكذوبة الإيمان بالإله. (نفس مسار التطور في الهند، بشكل مستقلّ تماماً، ولهذا السبب هو دليل على شيء ما؛ نفس المثال الذي يجبر على استنتاج مائل؛ وقد تمّ البلوغ إلى النقطة الحاسمة خمسة قرون قبل تقويم الزمن¹ الأوروبي، مع بوذا، على وجه الدقة؛ بل قبل ذلك مع فلسفة السانخيا² التي عمل بوذا من بعدُ على نشرها لدى جمهور الناس وجعل منها ديناً). ما الذي، متى سألنا بكلّ صرامة، قد انتصر حقاً على الإله المسيحي؟ إنّ الجواب عن ذلك لموجود في كتابي "المعرفة المرحّة" ص 290³؛ "إنّ الخلق المسيحي ذاته، ومفهوم الصدق المأخوذ في معنى أكثر فأكثر صرامة، وتلطّف⁴ الضمير المسيحي بين أيدي قساوسة الاعتراف، مترجماً ومسموّباً⁵ في الضمير العلمي، في الاستقامة الفكرية بكلّ [410] ثمن. النظر إلى الطبيعة وكأنّها هي⁶ دليل على رحمة إله ما ورعايته؛ وتأويل⁷ التاريخ على شرف عقل إلهي ما، كشاهد دائم على نظام أخلاقي للعالم ومقاصد أخلاقية أخيرة؛ وتفسير⁸ التجارب الخاصة في الحياة، كما كان فسرها أناس متّقون منذ أمد

علينا أن نعيد المصطلح إلى عناصره الفيلولوجية الجذرية: أي "الآ-تأليه" أو "عدم التأليه". فهو معنى نظري محض يشير إلى التفكير "بلا إله". قارن: المقالة II، § 25.

Zeitrechnung - 1

die Sankhyam-Philosophie - 2. "سانخيام" (Sankhyam) واحدة من المدارس الروحية الست للبراهمة.

3 - يحيل نيتشه هنا على الطبعة التي كانت بين يديه، وعلى كلّ فهو يستشهد بمقطع من الفقرة 357.

4 - Feinheit. اللطافة في معنى الدقة والتلطّف في معنى التدقيق.

sublimirt - 5

6 - als ob. عبارة اشتهرت تحت قلم كانط.

interpretiren - 7

auslegen - 8

طويل، كما لو أنّ كلّ شيء مقدّر، أنّ كلّ شيء إشارة، أنّ كلّ شيء قد كان متصوّراً ومرسّلاً حبّاً في خلاص النفس: هذا أمر هو منذ الآن قد تولى؛ إنّ الضمير قد صار ضده، ذلك ما تعدّه جميع الضمائر المتلطفة أمراً غير مهذب وغير شريف، أكذوبة ونزعة نسوية وضعفاً وجبناً، - بفضل هذه الصرامة، إذا كان لابدّ أن ندين بذلك لجهة ما، إنّنا نحن بالتحديد أوروبّيون جيّدون¹ وورثة التغلّب على النفس² الأطول أمداً والأكثر جرأة الذي قامت به أوروبا... كلّ الأشياء العظيمة من شأنها أن تذهب بذاتها إلى العدم، بعملية هدم لذاتها: كذا يريد قانون الحياة، قانون "التغلّب على النفس" ضرورةً الثاوي في ماهية الحياة، - أبداً يبلغ النداء في آخر الأمر إلى مشرّع القانون ذاته: "patere legem, quam ipse"³، فعلى هذا النحو ذهبت المسيحية من حيث هي عقيدة إلى العدم، بسبب أخلاقها الخاصة⁴؛ وعلى هذا النحو ينبغي الآن أيضاً أن تذهب المسيحية من حيث هي أخلاق إلى العدم، - نحن نقف على عتبة هذا الحدث. بعد أن قام الصدق المسيحي بالاستنتاج تلو الآخر، فإنّه في النهاية سوف يأتي إلى الاستنتاج الأشدّ قوّة، استنتاجه ضدّ نفسه؛ لكنّ ذلك لن يحدث حتى يطرح السؤال: "أيّ معنى لكلّ ضرب من إرادة الحقيقة؟" ... وها أنا أعود من جديد إلى المشكل الذي يخصّني، إلى المشكل الذي يخصّنا، يا أصدقائي الذين لا أعرفهم (-ذلك بأنّي لا أعرف أيّ صديق إلى حدّ الآن): أيّ معنى سيكون لوجودنا برمته، إنّ لم يكن، أنّه في ذات أنفسنا إنّما تبلغ كلّ شاكلة من إرادة الحقيقة إلى الوعي بنفسها بوصفها مشكلاً؟... أن تصبح إرادة الحقيقة واعية بنفسها، هذا أمر - وليس في ذلك من شكّ - سيقود الأخلاق إلى العدم: هذه المسرحية الكبيرة في مائة مشهد، التي تظّل ذخراً للقرنين القادمين⁵ من أوروبا [411]، المسرحية الأكثر فزعا، الأكثر مدعاة للسؤال وربما الأوسع أملاً...

1 - gut. "جيد" في معنى أنّه من "نمط" أخلاقي "كريم" في معنى كرم أو كرامة الروح الحرة. وليس في معنى الإيمان بـ "الأفكار الحديثة"، الصيغة المتعالية من القيم المسيحية.

2 - Selbstüberwindung. التغلّب على النفس هي طابع إرادة الاقتدار الإثباتية، تغلباً من أجل هدف أكبر وأجلّ، وليس قمعاً (صادراً على إرادة اقتدار مريضة) لما تريده الحياة في طباعنا من طموح أوسع فأوسع نطاقاً. قارن: حدّث زرادشت قال، الكتاب الثاني، حديث "التغلّب على النفس".

3 - باللاتينية في النص الأصلي: "عليك أن تتحمّل القانون الذي وضعته بنفسك".

4 - قارن: المعرفة المرحّة، § 357.

5 - قارن: ما وراء الخير والشر، § 55.

لو صرفنا النظر عن المثال التّسكي: إذن لما كان للإنسان، للحيوان البشري، أيّ معنى إلى حدّ الآن. إنّ وجوده على الأرض لا ينطوي على أيّ هدف؛ "لماذا الإنسان بعامة؟" - كان سؤالاً بلا إجابة؛ كانت الإرادة التي تريد الإنسان والأرض مفقودة؛ وراء كلّ قدر إنساني عظيم ينبعث صوت كأنه جواب¹ له قائلاً على نحو أعظم منه "دون جدوى!" ذلك هو بالتحديد ما يعنيه مثال التّسك: أنّ شيئاً ما مفقود، أنّ نقصاً هائلاً يلفّ الإنسان، -إنّه لا يعرف كيف يبرّر نفسه، كيف يفترّ نفسه، كيف يوافق على نفسه، إنّه يعاني من المشكل المتعلق بمعناه. وهو يعاني أيضاً فيما عدا ذلك، فهو بالأساس حيوان مريض؛ ولكن ليس المعاناة ذاتها هي المشكل عنده، بل أنّه يفتقد إلى الجواب عن صرخة السؤال "لماذا يعاني؟" إنّ الإنسان، الحيوان الأكثر جسارة والأكثر تعوّداً على المعاناة، لا يرفض المعاناة بحدّ ذاتها؛ هو يريدّها، بل هو يفتّش عنها، شريطة أن نبين له أنّ لها معنى، أن نبين له من أجل ماذا نعانى. إنّ خلق المعاناة من المعنى، وليس المعاناة، هو اللعنة التي ألقت بظلالها على الإنسانية إلى حدّ الآن، - وأعطى المثل الأعلى التّسكي معنى لها! لقد كان إلى حدّ الآن هو المعنى الوحيد؛ أيّ معنى اتفق هو أفضل من ألا يكون ثمّة معنى أبداً؛ لقد كان المثال التّسكي بهذا الاعتبار الـ *"faute de mieux" par excellence*، الذي توفّر إلى حدّ الآن. فيه وجدت المعاناة تفسيرها؛ والفراغ الهائل يبدو أنّه عثر على ما يملأه؛ إنّ الباب قد سُدّ أمام أيّ عدمية انتحارية. إنّ التفسير - ليس في ذلك من شك - ليحتمل معه معاناة جديدة، أكثر عمقا، باطنية أكثر، مسمومة أكثر، وأكثر نهشاً للحياة؛ هو يحمل كلّ معاناة من منظور الذنب... ولكن على الرغم من كلّ ذلك - فإنّ الإنسان بذلك قد تمّ إنقاذه، لقد صار له معنى، إنّه لم يعد منذئذ ورقة في مهبّ الريح، لعبة [412] للامعنى، للذي "لا معنى له"، إنّه يستطيع منذ الآن أن يريد شيئاً ما، - سيّان عنده بادئ الأمر نحو ماذا، لماذا، بماذا هو قد أراد: إنّ الإرادة ذاتها قد تمّ إنقاذها. لا يمكن للمرء دون ريب أن يخفي عن نفسه عما تعبّر كلّ هذه الإرادة تحقيقا، التي إنّما من المثل الأعلى التّسكي هي قد أخذت وجهتها؛ هذا الكره إزاء الإنساني، وأكثر من ذلك إزاء الحيواني، وأكثر من ذلك إزاء ما هو مادّي، هذا التفرّز من الحواس، من العقل² ذاته، هذا الخوف

1 - بالمعنى الموسيقي: der Refrain

Vernunft - 2

من السعادة والجمال، هذه الرغبة في الابتعاد عن كلّ مظهر أو تغير أو صيرورة أو موت أو أمنية، وعن الرغبة ذاتها- كلّ ذلك إنّما يعني، لنملك الجرأة على أن نفهم ذلك، ضربا من إرادة العدم، نفورا من الحياة، تمرّدا على الشروط الأساسية للحياة، لكنّ ذلك هو ويبقى ضربا ما من الإرادة!... و، حتى أقول في الخاتمة مرة أخرى، ما قلته في البداية: لازل أحبّ إلى الإنسان أن يريد العدم من الّا يريد...

انتهى

جنيالوجيا الأخلاق

كتاب سجالي

إنّ المقالات الثلاث التي منها تتألف هذه الجنيالوجيا، إنّما هي على الأرجح، بالنظر إلى العبارة والقصد وفنّ المفاجأة، من أكثر الأشياء رهبة، ممّا كان قد كُتب إلى حدّ الآن. إنّ ديونيزوس هو، كما نعرف ذلك، إله الظلام أيضا. - في كلّ مرة، بداية يجب أن تُضَلّ القارئ، باردة، علميّة، بل حتى متهكّمة، في الصدارة قصداً، مُماطلة قصداً. شيئا فشيئا قلقٌ أكثر؛ بروقٌ متقطّعة؛ حقائقٌ جدّ مزعجة يعلو صوتها من بعيد في دمدمة خرساء، - حتى نبلغ في النهاية إلى *tempo feroce*، حيث يندفع كلّ شيء إلى الأمام في توتّر هائل. وفي خاتمة المطاف، في كلّ مرة، تحت وابل انفجارات تُرجف الأوصال كلّية، حقيقةٌ جديدةٌ تترأى وسط غيوم داكنة. - أمّا حقيقة المقالة الأولى فهي دراسة نفسانية للمسيحيّة: مولد المسيحيّة من روح الضغينة، وليس، كما يُعتقد غالبا، من "الروح" - حركة عكسيّة طبقا لماهيتها، أكبر تمرد على سيادة القيم النبيلة. وأمّا المقالة الثانية فتقدّم دراسة نفسانيّة للمضمير: فإنّ هذا ليس، كما يُعتقد غالبا، "صوت الربّ في الإنسان" - بل هو غريزة القساوة التي ارتدّت إلى الخلف، إذ صارت لا تستطيع أن تضع حملها في الخارج. القساوة بها هي إحدى أقدم خلفيات الثقافة والتي لا يُمكن أن تُتصوّر من دونها، قد تمّ رفع النقاب عنها لأول مرة. وأمّا المقالة الثالثة فإنّها تقدّم الإجابة عن السؤال: من أين يتأتّى السلطان الهائل للمثل الأعلى التّسكّي، المثل الأعلى للكاهن، على الرغم من أنّه المثل الأعلى الضارّ *par excellence*، إرادة النهاية، المثل الأعلى للـ *décadence*؟. الجواب: ليس، لأنّ الربّ هو الذي يدبّر الأمر من وراء الكّهان، كما يُعتقد غالبا، بل *faute de mieux* - لأنّه كان المثل الأعلى الوحيد إلى حدّ الآن، لأنّه لم يكن له من منافس. "ذلك بأنّ الإنسان أحبّ إليه أن يريد العدم على ألا يريد..." -

وقبل كلّ ذلك لآتّه يُفتَقَد إلى مثل أعلى مضاد- إلى حدّ زرادشت.- إنّ المرء قد فهمني. ثلاثة أعمال أولية حاسمة لعالم نفساني من أجل قلب قيميّ¹ لجميع القيم.- إنّ ذا كتاب يحتوي على أوّل دراسة نفسانية للكاهن.

فريدريش نيتشه

هذا هو الإنسان، "جنيا لوجيا الأخلاق"

ثبت في مؤلفات نيتشه المذكورة في الكتاب

- إرادة الاقتدار، محاولة في قلب جميع القيم: III، 27
إنساني، جدُّ إنساني: تصدير، 2، 4
الفجر: I، 4؛ II، 2، 6؛ III، 9، 10، 24
ما وراء الخير والشر: I، 7، 17؛ II، 6؛ III، 9
المسافر وظلّه: تصدير، 4
المعرفة المرحّة: III، 24، 27
مولد التراجيديا: III، 25
هكذا تكلم زرادشت: تصدير 8

ثبت في المصطلحات الأساسية الواردة في الكتاب

(تشير الأرقام الرومانية إلى رقم المقالة والعربية إلى رقم الفقرة، أما التصدير فيذكر بحرفه. وقد أثبتنا المقابلات الألمانية في مواضعها من الترجمة أو من هوامشها)

اجترار: تصدير 8

اختلاف المنظورات والتأويلات: III، 12

الآخر، الآخرون: II، 18

إخصاء: III، 21

أخلاق: تصدير، 3، 4؛ II، 2؛ III، 9؛ الأصل اللغوي: I، 17؛ أخلاق العبيد: I، 10؛ تمرد العبيد في الأخلاق: I، 7، 10، 11؛ حكم مسبق: تصدير، 2؛ بثّ عدوى الأخلاق، تلويث أخلاقي، اضطباع بالأخلاق: II، 7؛ III، 17، 19، 20؛ بناء أخلاقي: II، 21؛ غير أخلاقي، لا أخلاقي: تصدير، 3؛ أخلاق التقاليد والأعراف: تصدير، 4؛ II، 2؛ III، 9

إرادة: III، 27؛ إرادة المعرفة: تصدير 2؛ إرادة حرة: II، 2؛ III، 10؛ إرادة الذنب والعقاب: II، 22؛ إرادة الحياة: II، 11؛ الإرادة والتمثل: III، 6؛ الإرادة الأخيرة للإنسان: III، 14؛ إرادة الجماعة: III، 18؛ إرادة الحقيقة: III، 27؛ إرادة الاقتدار: II، 12، 18؛ III، 18؛ إرادة المرضى للاقتدار: III، 14؛ إرادة العدم: III، 14، 28

ارتكاسي: II، 11؛ III، 10

أرستقراطي: I، 2، 7، 16؛ II، 20

استبداد: II، 20

استبطان: II، 16

استطقي: III، 6؛ استطقيون (أناس): III، 4؛ إنسان لا جمالي: III، 6

استقلال: II، 2؛ III، 7

أسلاف: II، 19

أصل: تصدير 3، 4، 5

إصلاح: I، 16؛ III، 19
أضحية، أضاح: II، 19
اعتبار: III، 8
اغتراب: II، 14
أغلبية / أقلية: I، 16؛ I، 16
اقتدار: II، 11؛ اقتدار، إرادة اقتدار: III، 11؛ اقتدار، شعور بالاقتدار: III، 7؛ اقتدار، قوة: III، 13؛ إرادة الاقتدار: II، 12، 18؛ III، 18؛ إرادة المرضى للاقتدار: III، 14
إلحاد: II، 20؛ III، 27
ألم، وجع: II، 4، 5، 7؛ III، 11، 16، 19، 20
إله، رب: تصدير، 3؛ I، 6-8، 13-15؛ II، 7، 15، 19، 20-24؛ III، 1، 8، 9، 17، 22-25، 27؛ آلهة: II، 7، 19، 20، 21، 23؛ III، 6، 10، 15؛ إله مسيحي: III، 26
أمارات: II، 12
أمر قطعي: II، 6
أمومة: III، 8
أناني / لأناني: I، 2، 3؛ II، 18
إنسان: تصدير 1؛ I، 6، 11، 12؛ II، 1، 3، 4، 6-8، 16، 28؛ III، 28؛ معتدي: II، 11؛ عامي: I، 5، 10؛ أوروپي: I، 12؛ خير: I، 14؛ III، 19؛ قادر على الوعد: II، 1-2؛ إنسان المستقبل: II، 24؛ ارتكاسي: II، 11؛ مخلص: II، 24؛ لا إنسان: I، 16؛ فوق الإنسان: I، 16؛ إنسان أعلى: I، 2، 11؛ إنسان لا جمالي: III، 6؛ أنسنة: II، 4
إنصاف: II، 8، 11
انعدام الشخصية: III، 18
انهيار عصبي، اكتئاب: III، 17
أنوار باطنية: III، 17
أوروبيون جيّدون: III، 27
أوليغرشية: III، 18
إيمان: III، 24؛ إيمان بالحقيقة: III، 24
براءة: II، 20؛ III، 19؛ براءة كبرى: III، 19
بهجة صغيرة: III، 18، 19
بهيمة الفعل: II، 22؛ بهيمة الفكرة: II، 22
تاريخ، علم التاريخ الحديث، روح تاريخية: I، 2؛ III، 26؛ مؤرخ، مؤرخون: III، 26
تأملي، التأمليون: III، 10؛ تأمل، متأمل: III، 26

تأويل، تفسير: تصدير 8؛ I، 17؛ II، 12؛ III، 16، 24، 28؛ تأويل ديني: III، 20
 تبرير: III، 20
 تحرّرية: III، 8
 تحوّل مفهومي: I، 4
 تخدير الألم بالمشاعر: III، 15
 تراتب: I، 17،
 ترقيق العواطف: II، 7
 ترنسندناليون، تعالويون: III، 25
 التسامي: II، 7
 تشاؤم: II، 7؛ III، 7، 17
 تضحية، تضحيات: II، 19؛ تضحية بالنفس: تصدير، 5؛ II، 1؛ III، 11
 تضليل الأرواح: III، 26
 تعذيب: III، 7، تعذيب النفس: II، 24؛ III، 10
 تعقل، حكمة: I، 10،
 تغلب على النفس: II، 10؛ III، 27
 تفكّر: II، 3
 تقديس: II، 19
 تقويم: تصدير، 4؛ I، 2، 7، 10، 17؛ III، 5، 11، 12
 تكبّر: III، 9
 تكوين القطعان: III، 18
 تكيف: II، 12
 تلطف: II، 7
 تمثيل: III، 14
 تمرّد: I، 7
 تنسّك: I، 3، 13؛ II، 3؛ III، 8، 9، 24؛ المنتسك: III، 11
 تهكّم: III، 3
 تهيج المشاعر: III، 19-21
 تواضع: III، 8
 توحيدية: II، 20
 ثأر، انتقام: I، 7، 8، 14؛ II، 6، 11، 12؛ III، 9، 14، 20
 ثقافة: I، 11

جان، جناية: II، 10
 جدّ: III، 11، 25
 جماع: III، 8
 جماعة: I، 11؛ II، 9، 10، 13؛ III، 9، 14، 18، 19
 جمال وقبح: II، 18؛ III، 6؛ مفهوم كانط عن الجمال: III، 6
 جماليات، فزيولوجيا الجماليات: III، 8
 جموع، غريزة الجموع: I، 2
 جنس، إثارة جنسية: III، 6، 8
 جنيالوجي، جنيالوجيا: تصدير 4، 7؛ I، 2، 4؛ II، 4، 12
 حاضر، أبناء الحاضر: II، 19
 حديث، محدث: I، 4، 5، 9؛ II، 19، 24؛ الكينونة الحديثة: III، 9؛ حديث، نفوس
 حديثة وكتب حديثة: III، 19؛ حديثة، روح: III، 27؛ أفكار حديثة: III، 26
 حرب، محاربون: I، 5، 7؛ II، 19؛ III، 1
 حرية: II، 1، 2، 4، 7، 17، 18، 25؛ III، 2، 8، 10؛ غريزة الحرية: II، 18
 حسن، تحسين الإنسان: III، 21
 الحق في السعادة: III، 14
 حقيقي، حقيقة: I، 5؛ III، 8، 24؛ إرادة الحقيقة: III، 27؛ حقانيون: I، 5
 حكم مسبق لا هوتي، أخلاقي: تصدير 3؛ I، 4
 حماس: III، 19
 مُحَقِّق، جنون: II، 23؛ III، 9
 حياة: II، 22؛ حياة: III، 11
 حيوان: I، 6، 11؛ II، 1، 3، 4، 7، 8، 15، 16، 22، 23؛ III، 7، 8، 25؛ الإنسان هو
 الحيوان المريض: III، 13
 خالص، غير خالص: I، 6
 خجل: II، 7
 خرافات مفهومية: III، 12
 خطأ: III، 12
 خطيئة أصلية: II، 21؛ III، 9، 15، 16؛ مقترف الخطيئة: III، 16، 20، 21؛ خطيئة
 أصلية: II، 21؛ III، 9
 خلاص: I، 9؛ II، 24؛ III، 17، 20؛ بالمحبة: II، 22؛ خلاص الواقع: II، 24
 خوف: II، 19؛ III، 10، 14

خَيْرٌ، رجل خيرٌ، خَيْرُون، أخيار: تصدير، 3، 4، 6؛ I، 2-5، 7، 10-11، 16؛ II، 3،
 7، 8، 15، 20، 24؛ III، 17، 18، 19.
 دابة شقراء: I، 11،
 دولة: II، 16، 17، 18، 22
 ديمقراطي: I، 4، 5، 10؛ II، 12؛ III، 25؛ هراء ديمقراطي: III، 8
 دَيْن، الدائن، المدين: II، 5، 8، 9، 19، 20، 21، 22
 دين، ديانة: II، 3؛ III، 5، 17؛ والذنب: II، 20، 21؛ طقوس دينية: II، 3؛ عصاب
 ديني: III، 21
 ذات: I، 13
 ذاكرة: II، 1، 3، 5، 13، 14
 ذنب، مذب: II، 4، 6، 8، 14، 17، 20، 21، 22، 23؛ III، 28؛ شعور بالذنب: II،
 14؛ شعور بالذنب: III، 20؛ مذب: III، 15، 16، 19
 راهن: III، 8
 روح، أرواح: I، 2؛ III، 8، 10، 15، 27؛ روح حرة: I، 9؛ III، 7، 24؛ روح تاريخية: I، 2
 زواج: III، 7، 9
 سخط نبيل: III، 26
 سعادة: I، 10؛ III، 6، 14
 سلطة: II، 13؛ سلطان: III، 23
 سلطة: III، 5
 سياسة كبرى: I، 8
 سيد، أسياد: I، 2، 4، 5، 7، 9، 13؛ II، 5، 12، 17، 18؛ قانون الأسياد: II، 5
 سيرة ذاتية: III، 19
 سيطرة على المعذّبين: III، 15
 سيميوثيقي، مسار: II، 12
 شر، شرير: تصدير، 3، 4، 6، I، جملة المقالة: II، 7، 15، 20، 23؛ III، 14، 17، 21
 شعب من المفكرين: II، 3
 شعبية: I، 4
 شعور بالذنب: II، 14؛ شعور بالذنب: III، 20
 شعور، مشاعر: I، 10؛ II، 3؛ III، 15، 16، 20، 21
 شفقة: تصدير، 5، 6؛ I، 10؛ III، 14
 الشهرة والملوك والنساء: III، 8

شهوة الحس: III، 2، 3، 6-8، 10، 24
 صحة، صحي، غير صحي: تصدير، I، 2؛ 6؛ II، 24؛ III، 14-16، 21-23؛ صحة /
 مرض: III، 15؛ صحة كبرى: II، 24؛ صحة نفسية: III، 22؛ تاريخ الصحة: III، 21
 صحراء: III، 7-8،
 صديق، أصدقاء: II، 7؛ III، 27
 صورة، صورة الرب: III، 25
 ضعيف، ضعفاء: I، 10، 13، 14؛ III، 18
 ضغينة، اضطغان: I، 10، 11، 13، 14، 16؛ II، 11، 17؛ III، 11، 14-16
 ضمير: II، 2، 3، 5، 6، 11، 14، 21، 24؛ III، 14، 27؛ ضمير معذب: II، 4، 11، 14-
 19، 21-24؛ III، 20، 23؛ ضمير نقى: III، 20؛ ضمير علمي: III، 23؛ ضمير فكري:
 III، 24؛ مقاومة الضمير: III، 9؛ تأنيب الضمير، وخز الضمير: II، 14، 15، 16
 طبيب، الكاهن بوصفه طبيباً: III، 17
 طغيان: III، 18
 الطفل: II، 16
 ظلم: II، 14
 عامي: I، 3، 4، 5، 10
 عبد، عبيد: I، 7، 9، 10، 11
 عجز جنسي، عتة: I، 7، 10، 13؛ II، 4
 عدل، عدالة: تصدير، I، 4؛ II، 4، 8، 10، 11، 12، 14؛ III، 14
 العدم: I، 6؛ II، 24؛ III، 14، 17، 25، 27؛ إرادة العدم: III، 28؛ الشعور بالعدم:
 III، 25؛ عدمي مضاد: II، 24؛ عدمية: تصدير، I، 5؛ II، 12؛ III، 14، 26، 27؛
 عدمية إدارية: II، 12؛ عدمية انتحارية: III، 28؛ عدميون: III، 26
 عدو: I، 10، 11
 عذاب: II، 6، 7؛ III، 9، 11، 15، 17، 18، 20، 23، 28؛ لذة في الإيلام: II، 5، 6؛
 "ديانة العذاب": III، 26
 عقّة: III، 2، 8؛ عقّة الفلاسفة: III، 8
 عقائد جامدة: III، 25
 عقاب: تصدير، II، 3-5، 7، 9، 10، 12-16، 22؛ III، 20؛ بما هو احتفال: II،
 6، 7، 13؛ أبدي: II، 21؛ حق الأسياد في: II، 5
 عقل: II، 3؛ III، 8، 9، 12؛ عقل محض: III، 12
 عقيدة: III، 27

علم: I، 13؛ III، 23-25؛ علم حديث: III، 23، 25؛ علماء: III، 24،
 غريزة غالبية، مهيمنة: III، 8
 غريزة، غرائز: II، 2، 4، 7، 16، 17، 18، 22؛ غريزة الحرية: II، 17، 18؛ غريزة
 الجموع: I، 2؛ غرائز الفلاسفة: III، 9
 غلبة وسيادة: II، 12
 فرد: II، 2، 10،
 فزيولوجيا الجماليات: III، 8
 فعل، فاعل، فعال، نشط: I، 2، 10، 13؛ II، 1، 10، 11، 18؛ III، 12؛ فعل، ردّ
 الفعل: I، 10؛ فعالية / انفعالية: II، 12
 فقراء الروح، أغنياء الروح: III، 25
 فلاسفة: تصدير 2، 5؛ I، 15، 17؛ II، 7؛ III، 1، 5، 7، 8-10، 12، 17، 24؛ فلسفة: III،
 5، 9، 10، 24؛ فلاسفة الأخلاق اليونان: II، 7؛ فلاسفة هنود: III، 8، 17؛ الفلاسفة
 والزواج: III، 7؛ "متفرجون" على الجمال: III، 6؛ موقف الفيلسوف: III، 10
 فلک، علم: III، 25
 فن: III، 25؛ فنان، فنانون: III، 2، 4، 5
 فوضوية، فوضويين، نوع فوضوي: I، 5؛ II، 11؛ III، 26
 فيلولوجيون: I، 17
 قانون: II، 5، 6، 10، 11، 12، 13؛ III، 9؛ خضوع للقانون: III، 9
 القبلي: تصدير 3
 قبيلة: II، 19
 قداسة: III، 17
 قدّيس: III، 8
 قراءة: تصدير، 8
 قساوة: II، 5-7، 9، 18، 22؛ III، 10، 19، 20؛ روحنة القساوة وتألّيفها: II، 6
 قطع: I، 9؛ II، 2؛ III، 13، 15، 18، 19
 قلق، شعور بالقلق: III، 17
 قناع: تصدير، 6؛ III، 10
 قوة: III، 14؛ قوة النفس: III، 19
 قيمة، قيم: تصدير 3-6؛ I، 2، 7، 8، 17؛ قلب القيم: I، 7، 10؛ III، 10؛ قيمة القيم:
 تصدير، 6؛ قيمة الحقيقة: III، 24؛ عدم القيمة: تصدير، 5
 كآبة، "ألم العالم": III، 17

كاهن متنسك: III، 11
 كاهن، كهان: I، 6، 7، 16؛ III، 1، 9، 10؛ فنان في مشاعر الذنب: III، 20؛
 كاهن نسكي: III، 10، 11، 13، 15، 17-22، 26؛ عجز الكاهن: I، 7
 كبت فزيولوجي: III، 17
 كبرياء: II، 8
 كحول، مشروبات، منبهات: III، 26
 كذب: III، 19، 24، 25؛ كذب، حقيقي، شريف، غير شريف: III، 19
 كراهية: I، 7، 8، 15، 16
 كريم: I، 2، 3، 4، 6، 10، 16، 17..
 كفر: II، 14
 كنيسة: I، 9، 16؛ III، 15، 16، 22
 كوكب متنسك، الأرض: III، 11
 كيان، وجود: II، 7، 21؛ III، 4، 7، 13؛ إرادة الوجود: III، 7؛ كيان معذب: III، 18
 لؤم: III، 15؛ لئيم: I، 2، 3، 4، 6، 10، 16، 17...
 لا معنى: II، 7
 لاهوت، لاهوتيون: III، 25
 لغة: I، 13، 17
 لياقة، أدب، مراسيم: III، 22
 متعة: II، 5
 متفرّج: III، 6
 مثالية: III، 19؛ مثالية مزيفة: III، 26
 مثقفون: III، 19؛ مثقفون متنفّذون: III، 25
 مثل أعلى، مثل عليا: I، 14، 16؛ II، 24؛ مثل أعلى مضاد: III، 23؛ مثل أعلى
 نسكي: I، 6؛ II، 3؛ III، جميع الفقرات
 محبة: I، 8، 10؛ II، 21، 22
 مخلص: I، 8؛ III، 17
 مرأة، نساء: III، 1، 8، 11، 14، 18
 مرض: II، 22؛ مريض، مرضى: I، 11، 12؛ II، 22؛ III، 9، 13، 14، 16-18، 20، 21
 28؛ المريض: III، 14، 15، 18؛ مرضى / أصحاء: III، 14؛ حالة مرضية: III، 13، 14
 مرض، كينونة مريضة: III، 17
 مسؤولية: I، 13؛ II، 2، 17؛ III، 10

- مسافة، الشعور بالمسافة: I، 2
- مستقبل: تصدير، 6؛ II، 1، 16؛ III، 14
- مسيح مضاد: II، 24
- مشاعر مؤثرة: III، 17
- مشكل: I، 5؛ III، 27؛ مشكل صامت: I، 5؛ مشكل جمالي: III، 6
- مصادقية، عدم مصداقية: III، 24
- مصدر: تصدير 2؛ I، 4.
- مصلحة / لا مصلحة: III، 6
- معاناة: III، 28
- معبد: II، 24
- معذب، عذاب: III، 6، 7؛ معذبون: III، 23
- معرفة: تصدير 1؛ معرفة مرحلة: تصدير، 7
- معنى: II، 12، 13؛ III، 2، 15، 28
- مفهوم، مفاهيم: I، 6، 17؛ II، 6،
- مَنْ، السؤال من: I، 7، 11؛ II، 21
- منظور، منظورية، منظورات: III، 12، 17
- منفعة: I، 2، 3؛ II، 12، 14
- موسيقى: III، 5، 26
- موضوعية: II، 8؛ III، 26
- ميتافيزيقي: III، 24
- نبيل، نبلاء، نبالة: تصدير، 4؛ I، 2، 4، 5، 7-11، 16؛ II، 19، 20، 23؛ III، 9؛
- الاستياء النبيل: III، 14؛ الإنسان النبيل: I، 10، 11
- نحن: III، 14
- نسيان: I، 2، 3؛ II، 1، 3
- نشاط آلي: III، 18، 19.
- نعم ولا: I، 10، 3؛ II، 22؛ III، 13
- نفس: I، 13؛ II، 16؛ خلاص النفس: III، 9؛ نفسه، ذاته، أنفسنا: تصدير، 1؛ II
- 16، 18؛ III، 9، 20
- نكران الذات: III، 17
- نقد: تصدير 6
- نمط: II، 23؛ النمط "إنسان": تصدير، 6

نهضة: I، 16
نية الإرهاب: تصدير، 4
هرطقة: III، 9
هيروغليفي: تصدير، 7
واجب: II، 6، 21
وعد: II، 1، 2، 3، 5؛ III، 6
وعى: II، 1، 10، 16
وهم: III، 24
وهن نمطي: III، 4

**ثبت في أسماء الأعلام
والشعوب والبلدان والمعتقدات
(تشير الأرقام الرومانية إلى رقم المقالة
والعربية إلى رقم الفقرة، أما التصدير فيذكر بحرفه)**

- أبيقور: III، 6، 17
أثوس (جبل): III، 17
أثينيون: I، 11
أخيلوس: III، 4
آدم: II، 21
أرتيميس: III، 8
آري: I، 5؛ III، 26
آسيا: III، 22
اشتراكيون: I، 5
إصلاح (Reformation): I، 16؛ III، 19
إغيستوس (Ägisthos): II، 23
أفلاطون: تصدير، 5؛ I، 1؛ III، 7، 18، 19، 24، 25
ألمانيا، الألمان، ألماني: I، 5، 11، 16؛ II، 3، 9؛ III، 2، 3، 5، 14، 17، 19، 21، 22، 24، 26
إنجلترا: III، 7
إنجليزي: تصدير، 4، 7؛ I، 1، 2، 3، 16، 17؛ III، 22
إنجيلية، حرية: III، 2
أنكريون (Anacreon): III، 26
أوروبا، أوروبي، أوروبيون: تصدير، 5؛ I، 2، 5، 11، 12، 16، 17؛ II، 3، 7، 13،
23؛ III، 5، 14، 21، 24، 25، 26، 27
إيطاليا: I، 5
إيفازيون (die Ephesier)، نسبة إلى إيفاز، بلدة هرقليطس: III، 8

- إيكسيون: III، 6
 إينوسونس الثالث: II، 7
 بارسيفال (Parsifal): III، 3، 4
 باسكال: III، 17
 براهمة: I، 6؛ III، 10، 17
 بربر: I، 11
 بطرس، القديس: I، 16؛ III، 22
 بوذا: III، 7، 27
 بوذي: تصدير 5؛ I، 6؛ II، 21؛ III، 17
 بوغوس: III، 14
 بوكل (هنري توماس): I، 4
 بولس، القديس: I، 16
 بيتر، القديس: I، 16؛ III، 22
 بيتهوفن: III، 19
 بيرون: III، 19
 بيرون، اللورد (Lord Byron): III، 19
 بيريكلس (Perikles): I، 11
 بيغماليون: III، 6
 تان، هيبوليت (Taine): III، 19
 ترتوليان (Tertullian): I، 15
 تلمود: I، 15
 تولستوي: III، 26
 توما الإكويني: I، 15
 تيار، أليكسندر ويلوك (Alexander Wheelock Thayer): III، 19
 تيريز دافिला، القديسة (Thérèse d'Avila): III، 17
 ثيوغنيس (Theognis)، الشاعر الميغاري: I، 5
 جانسن، يوحنا: III، 19
 جرمان، قدامى (die alten Germanen): I، 11
 حافظ (Hafiz): III، 2
 حشاشين: III، 24
 خلاص، جند الخلاص: III، 22

- داروين: تصدير، 7
- دانتي، أليغييري (Dante Alighieri): I، 15
- دودان، كسافير (Xaver Doudan): III، 25
- دون كيشوت: II، 6
- دوهرينغ: II، 11؛ III، 14، 26
- دويسون، بول: III، 17
- ديكارت: III، 7
- ديونيزوسية، دراما: تصدير، 7
- رؤيا، سفر يوحنا عن رؤيا نهاية العالم (die Apokalypse): I، 16
- رادمانت (Rhadamante): I، 15
- رانكه، ليوبولد: III، 19
- راي، بول (Rée Paul): تصدير، 4، 7
- رهولا، (Râhula) ابن بوذا: III، 7
- روس: II، 15
- روما، روماني: I، 5، 11، 15، 16؛ II، 5؛ III، 18
- رينان، إرنست: III، 26
- زرادشت: II، 25
- زوس (Zeus): II، 16، 23
- زنوج: II، 7
- سامية، معاد للسامية: II، 11؛ III، 14، 26
- سانخيام، فلسفة (die Sankhyam-Philosophie): III، 27
- سبنسر، هيربرت: I، 3؛ II، 12
- سينوزا: تصدير، 5؛ II، 6، 15؛ III، 7
- ستونداال (Stendhal): III، 6
- سقراط: III، 7
- شارل الجسور (Karl der Kühne، من الفرنسية Charles le Téméraire): III، 9
- شانكرا: III، 17
- شكسبير: III، 17، 22
- شوبنهاور: تصدير، 5؛ III، 4، 5، 6، 7، 19
- صين: I، 12، 16؛ القانون الصيني: II، 13
- عرب (نبالة العرب): I، 11

- عهد جديد: III، 22
- عهد قديم: III، 22
- غفينر (Gwinner): III، 19
- غوته: II، 18؛ III، 2، 4، 20
- غوط: I، 5، 11
- غولينكس، أرنولد (Geulincx): III، 18
- فاغنر (Wagner): III، 2، 3، 4، 5، 19
- فاوست: III، 4
- فاير ميتشال، سيلاس (Silas Weir Mitchell): I، 6
- فايكنغ (Wikinger): I، 11
- فُرس: III، 8
- فرنسا، فرنسي: I، 16؛ III، 24
- فلاسفة: تصدير 2، 5؛ I، 15، 17؛ II، 7؛ III، 8-10، 12، 17، 24؛ فلسفة: III، 5، 9، 10، 24
- فویرباخ: II، 3
- فيدانتا (Vedānta): III، 12، 17
- فيرشو (Virchow): I، 5
- فيسفاميترا (Viṣvāmitra): III، 10
- فيشر، كينو: II، 15
- فيلولو جيون: I، 17
- قدر، ربة القدر عند اليونان (die Parze): III، 26
- قدّيسون: III، 1
- كاثوليک: III، 3
- كالفان: II، 7
- كانط: تصدير، 3، 5؛ II، 6؛ III، 6، 7، 25
- كانطي: I، 13؛ III، 6، 12؛ كانطي مضاد: تصدير، 3
- كريستوف، آل: III، 17
- كليون: III، 7
- كوبرنيكوس: III، 25
- لأدريين: III، 25
- لاروشفوكو (La Rochefoucauld): تصدير، 5

لوثر: II، 7؛ III، 2، 19، 20، 22
 لويس الرابع عشر: III، 9
 ليبينتز: III، 7
 مريم: I، 16
 مسيح: I، 15
 مسيح، المسيح الدجال: III، 24
 مسيحي، مسيحية: I، 1، 9، 12، 15، 16؛ II، 7، 20، 21، 23؛ III، 3، 17، 18، 22،
 24، 26، 27
 مسيحي، مضاد: III، 24
 مصريون: II، 5
 مور، طوماس: III، 19
 ميرابو (Mirabeau): I، 10
 مينوتورس: III، 24
 مينوس: I، 15
 نابليون: I، 16
 نباتيين: III، 17
 نهضة: I، 16
 هرفيغ، جورج: III، 5
 هرقل: II، 7
 هزيود: I، 11
 هند، هندي: III، 7، 8، 17، 27
 هوميروس: I، 11، 14؛ II، 7؛ III، 4، 25
 هيرقليطس: II، 16؛ III، 7، 8
 هيغل: III، 7
 يابانيين: I، 11
 يسوع: I، 8، 16
 يهود، يهودي: I، 7، 8، 9، 15، 16؛ III، 22
 يهودا: I، 16
 يهوذا: I، 15
 يوحنا، القديس: I، 16؛ III، 21
 يونان، يوناني: I، 5، 10؛ II، 7، 17، 23؛ II، 7، 23؛ III، 9، 18، 22

الفهرس

7	مقدمة الترجمة العربية: "جنيالوجيا الأخلاق" و"الأنوار الجديدة".....
31	تصدير
43	المقالة الأولى: "الخَيْرَ والشرير"، "الكريم واللئيم"
81	المقالة الثانية: "الذنب"، "الضمير المعذب" وما جانس ذلك
135	المقالة الثالثة: "أيّ معنى لمُئَلّ التنسّك؟"
215	جنيالوجيا الأخلاق، بقلم نيتشه (من كتاب هذا هو الإنسان)
217	ثبت في مؤلفات نيتشه المذكورة في الكتاب
219	ثبت في المصطلحات الأساسية
229	ثبت في أسماء الأعلام

الإنجاز الفني
المركز الوطني للترجمة - تونس

الطباعة:
أوربيس للطباعة
1، نهج العربيّة السعدويّة - 1002، تونس
الهاتف: 71 280 229 (+216) - الفاكس: 71 280 231 (+216)
البريد الإلكتروني: orbis@gnet.tn

في جنياولوجيا الأخلاق

علينا أن نحترس من أيّ فهم «أخلاقي» لكتابات نيتشه: مثلاً أن نعتبره معارضا يائسا للأنوار الحديثة أو داعيا خطيرا إلى البربرية أو عدواً للسامية أو قومياً متعصباً أو جماعوياً حزينا ضدّ المكاسب الحقوقية للدولة اللبرالية... تلك أفكار مسبقة أخرى، أو ضروب مريضة من الفضول. - إنه فقط يمارس «أنواراً جديدة» يدفع بها بعيداً عن أيّ أنوار سابقة، بما فيها تلك التي سمّيت راهناً باسم «الأنوار الجذرية»، وهي ليست جذرية إلّا بقدر ما تظنّ أنّ «الإلحاد» الحديث هو الطور الأعلى من كلّ «غريزة حرة». والحال أنّ نيتشه قد فضح حتى الإلحاد نفسه بوصفه لا يملك توضيحاً جذرياً حول قيمة الحرية التي يفاخرنا بها. إنّ الإلحاد لم يكن إلى حدّ الآن إلّا إيماناً أو «مثالاً نُسَكّيّاً» مقلوباً: استيلاء صفيقا على مكان الإله الأخلاقي الذي صار شاغراً، في خلط مزر بين «الإنسان الأعلى»، الذي استولى على الأسماء الحسنى للإله التوحيدي، وبين الإقدام على الذهاب الجسور إلى «ما فوق الإنسان»، بوصفه مطلب الحياة الحرة، التي تتمتع بصحة ميتافيزيقية جيدة، والتي لا تطلب أقلّ من هذا: خلق «نمط بشري» من نوع جديد.



فريدريتش نيتشه (1844-1900)

فيلسوف ألماني اشتهر بكلماته الأساسية مفكراً للعدمية وإرادة الاقتدار والانسان الأعلى... من أمهات كتبه: مولد التراجيديا (1871/1872)، حدّث زرادشت قال (1883/1884)، ما وراء الخير والشر (1886)، العلم المرح (1882/1887).

فتحي المسكيني

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة في الجامعة التونسية. من مؤلفاته: هيغل ونهاية الميتافيزيقا (1995)، فلسفة التوابت (1997)، الهوية والزمان (2001)، نقد العقل التأويلي (2005)، من ترجماته: الكينونة والزمان لمارتن هيدغر (2010).



9 789973 084392

20 د.د.
20 دولار أو ما يعادلها